

تفسير القرآن الكريم

للخطيب النيدى

تفسير جزء عم

ويتضمن :

- فصل في فضل القرآن الكريم وكيفية وآداب التلاوة والإستماع
- تفسير فاتحة الكتاب

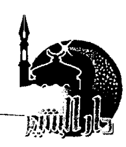
تحت إشراف فضيلة الشيخ

محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

رئيس جمعية شاعر الرسول





للثقافة والعلوم

اسم الكتـــاب : **تفسير جزء (عمّ) .**
التـــــأليف : **محمد خليل الخطيب النيدى .**
الصف التصويرى : **الندى للتجهيزات الفنية .**
عدد الصفحات : **240 صفحة .**
قياس الصفحة : **17 × 25**
عـدد الطبعـات : « الطبعة الثانية »
التـوزيع والنشـر : **دار البشير للثقافة والعلوم .**
طنطا ـ 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس040/3305538 - 040/3316316
Dar elbasheer@hotmail.com

الإيداع القـانونى : **2745 / 2005**
الترقـيم الدولى : **I . S. B. N. 977 -278 -282- 0**

1426 هـ
2005 م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد . . . . .

فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى يسر لنا جلَّ شأنه إصدار الطبعة الثانية من كتاب تفسير جزء «عمَّ» للخطيب النيدى متضمنًا فصلاً فى فضل القرآن الكريم وآداب التلاوة والاستماع ثم تفسيرًا لفاتحة الكتاب .

وتتميز هذه الطبعة بتصحيح الأخطاء المطبعية التى حدثت فى الطبعة الأولى لبعض الكلمات أو سقوط بعض العبارات مما أثر فى تسلسل المعانى ورغم أن ذلك كان قليلاً إلا أنه لزم التنويه والاعتذار .

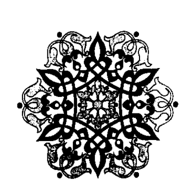
نفعنا الله بشيخنا الإمام محمد خليل الخطيب «النيدى» وغفر الله لنا وله .

المراجع

فضيلة الشيخ / محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

ورئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ





بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا التفسيـر

الحمد لله الذى أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله عليه توكلت وإليه أنيب، لا غنى لأحد عن فضله ورحمته، ولا طمع فى الفوز بجنته إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً وإلى دار السلام داعيا، وللخليقة هادياً، ولكتابه مبينا وتاليا، وفى مرضاته ساعيا، وبالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهياً، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أوضح السبل وافترض طاعته ومحبته، وسدَّ إلى الجنة كل طريق إلا طريقته فهى موصدة إلا على من كانوا له تابعين. دعا إلى الله سراً وجهراً، وأذَّن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً إلى أن أشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن وبطلت دعوى الشيطان واهتدى كل حيران، فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى. وبعد:

فمنذ بداية الستينيات تقريبا بدأ الشيخ محمد خليل الخطيب شاعر الرسول ﷺ تفسير القرآن الكريم لتلامذته ومريديه يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع فى جلستين تستغرق كل واحدة منهما ثلاث ساعات تقريبا واستمر فضيلته فى التفسير حتى أتمه سنة ١٩٨٥م تقريبا ولم تدون إلا بعض السور فى حياة شيخنا الجليل وترك تفسيره للقرآن الكريم فى شُرُط كاسيت ألقاها فى محاضرات على تلامذته ولهذا كان من الصعب جمع هذا التراث وخاصة أنه مضى زمن غير قليل عليها وهى موزعة فى مختلف أرجاء مصر، ولكن بفضل الله ورحمته تم تيسير كل أمر عسير وها هو ذا تفسير «جزء عم» لشيخنا الجليل قد أفرغ تلامذته شرُطَه، وراجعه وحققه تلميذه عبد اللطيف محمود القاضى من موجهى اللغة العربية بالتربية والتعليم بالغربية.

كما قام حضرة المحاسب الشيخ/ محب محمد باشا مدير المصرف الإسلامى بطبع الجزء الأول من التفسير على نفقته. فلهما جزيل الشكر والتقدير. والله أسأل

أن يجزيهما عن عملهما هذا خير الجزاء وما ذلك على فضله بعزيز .

وقد واجهتنا بعض المشكلات منها فقد بعض الشُرُط التى نأخذ منها . وتلف بعض أجزائها فكان لنا بعض التصرف معتمدين فى ذلك على منهج حضرة الشيخ وكتبه العديدة التى بيننا لذا سرعان ما كنا نجد ما نبحث عنه .

ولما كان جزء عم فى صدور الكثيرين والنفع به أعم بدأنا به تفسير القرآن الكريم للخطيب النيدى مع مقدمة مباركة فى آداب تلاوة القرآن الكريم وسماعه لفضيلة المفتى الأسبق الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ رحمه الله ـ والتى اختارها المغفور له شيخنا الجليل لتكون نعم العون للقارىء الكريم مع إضافة تفسير الفاتحة والأمل فى الله كبير أن يرزقنا التوفيق ونتمكن من نشر بقية تفسير القرآن الكريم للخطيب النيدى وبالله التوفيق .

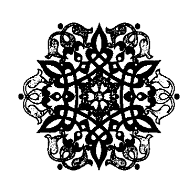
والى كل من شارك فى إبراز هذا العمل الجليل شكر جمعية شاعر الرسول ﷺ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

الخيرية الإسلامية بطنطا



ترجمة المؤلف

هو الإمام اللغوى الفقيه المحدث الفاضل النقى الطاهر/ محمد خليل الخطيب النيدى شاعر الرسول ﷺ.

كان رحمه الله من أكابر العلماء الأعلام العاملين حافظا كتاب الله تعالى عن ظهر قلب متمكنا من أحاديث النبى ﷺ أعظم تمكن متضلعا من المعقول والمنقول جامعاً بين العلم والزهد وله اليد الطولى فى تعليم العلوم الدينية والعربية جليل القدر مسموع الكلمة يعزه أهل زمانه لعلمهم بتقواه وفضله، له مروءة تامة يعمل الخير ويسعى فيه بين الناس محافظا على تعاليم الإسلام ناشراً بالقول والعمل ما يُرغِّب الناس فى دين الله، إتصف رحمه الله بعلوٍّ الهمة ومكارم الأخلاق، يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم وكان عمله التدريس بالأزهر الشريف، حنفى المذهب صوفى المشرب، له مدرسة كبرى فى التصوف قائمة على الكتاب والسنة والذكر وتوظيف النفس عليه، والاقتداء بأكمل الخلق محمد ﷺ.

تتلمذ عليه بالأزهر الشريف وفى مدرسته الكبرى الآلاف من الأبناء وها هم أولاء ينقلون تعاليم الإسلام السمحة المضيئة بأنوار المصطفى ﷺ كما أخذوها عن شيخهم غفر الله لنا وله.

ولد رضي الله عنه فى «نيدة» إحدى قرى مركز أخميم محافظة سوهاج سنة 1327 هجرية سنة 1909 م وعائلته شهرتها بالعلم قديمة.

وقد طلب صاحب الترجمة العلم بمعهد أسيوط سنة 1341 هجرية وحصل على شهادة العالمية من الجامع الأزهر سنة 1350 هـ - 1933 م وشهادة التخصص فى اللغة العربية «الدكتوراة الحالية» سنة 1354 هـ - 1936 م وقام بالتدريس بالمعهد الأحمدى الثانوى بطنطا التابع للأزهر الشريف فى هذه السنة وتوطن مدينة طنطا حيث كانت مدرسته الكبرى، واشتغل بما يتعلق بالكتاب والسنَّة والفقه واللغة وقرأ أمهات الكتب فى الحديث والفقه للعامة والعلماء بمسجده الجامع، وألف المؤلفات العديدة النافعة ومعظمها إضافات جديدة للمكتبة الإسلامية له فيها فضل السبق؛ منها تفسير الخطيب النيدى للقرآن الكريم وها هو ذا تفسير «جزء عم» للخطيب النيدى بين يدى القارئ.

وسوف تصدر تباعاً إن شاء الله باقى هذه السلسلة «تفسير الخطيب النيدى للقرآن الكريم» التى التزم بنشرها أولاده وأحبابه .

ومن الاطلاع على مؤلفات الشيخ الجليل يعرف قدر فضله وسعة درايته بالعلوم والمعارف .

ولشيخنا غفر الله له مدرسته الشعرية الفريدة حيث وقف أشعاره على خدمة الإسلام وبث تعاليمه ونشر القيم والفضائل بين الناس . ولفضيلته مدرسة كبرى في التصوف أعادت لنا الصورة المضيئة النقية لما كان عليه المسملون الأوائل ، أركانها العلم والذكر والقدوة الحسنة ، ويسير عليها الآلاف من تلامذته المخلصين ومازالوا ينقلونها إلى كل مكان .

كان غفر الله لنا وله مقتفياً آثر النبى ﷺ وأصحابه الكرام لا يخرج عما كانوا عليه ، وقصده إحياء سنته وإقامة طريقته وتوضيح منهجه ، الله غايته ووجهته ، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاده وعدته ، ومحبته للنبى ﷺ هى روحه وسر قوته .

ومن أراد المزيد من المعرفة عن روائع الشيخ الخطيب غفر الله له فعليه بقراءة كتاب «نفحة القبول فى سيرة شاعر الرسول ﷺ » فهى صفحات مباركات علّها تفى بما يريد القارئ معرفته فى مختلف جوانب حياته المباركة الروحية منها والأدبية والعلمية .

وفى هذه المناسبة يسرنى توجيه الشكر إلى نجله المبارك فضيلة الشيخ محمود محمد خليل الخطيب شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية على هذا العطاء الجيد وحسن تناوله لجوانب الشيخ فى ذلك الكتاب ، هذا وقد استمر الشيخ الإمام فى نشر تعاليم الإسلام بين الناس بالقول والعمل والعطاء حتى لقى ربه عن سبعة وسبعين عاماً عشية مغرب يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من شهر فبراير سنة 1986 م وكان مثواه المبارك بمسجده العامر بمدينة طنطا (مسجد المحافظة) . حيث أسس طريقته وكانت إقامته الكريمة الحافلة بكل أوجه الخير .

غفر الله لشيخنا الجليل وجزاه عنا خير الجزاء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محب محمد باشا

مدير المصرف الإسلامي الدولى بطنطا

فضل القرآن وتلاوته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد، فالله المستعان على أن أتعاون معكم على تفسير القرآن ولا بأس بمقدمة تقدَّم لمستمعيها قبل تفسيره.

القرآن الكريم هو كلام رب العالمين المنزل بوساطة الروح الأمين على خاتم النبيين هدًى ونوراً وإعلاماً وتذكيراً وإنذاراً وتبشيراً وعلماً وعرفاناً قرآناً عربياً مبيناً فى أعلى طبقات البلاغة، معجزاً فى نظمه وأسلوبه ومعجزةً للنبى ﷺ فى صدق رسالته، له أبهى طلاوة وفيه أعظم حلاوة كلما زدته تلاوة. فيه من الأسرار عجائب ومن العلوم غرائب، آيات بينات وحكَم بالغات وضحت به الحجة وقامت به الْمَحَجَّة [1] على الثَّقَلَين [2] كافة ويهدى الله لنوره من يشاء وفى الحديث «**هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم – هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس[3] به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق[4] على كثرة الرَّد ولا تنقضى عجائبه من عَلِمَ عِلْمَه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أُجِر ومن دعا إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم**»

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخارى. وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذى يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه [5] وهو عليه شاق له أجران**» [6] رواه البخارى ومسلم. وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل**

---

(1) الطريق المستقيم.

(2) الإنس والجن.

(3) لا يختلط به غيره فيشتبه الأمر ويلتبس الحق بالباطل.

(4) لا يبلى، فمع كثرة تلاوته وتكراره لا يبتذل ولا تسأمه النفوس.

(5) يريد حفظه وهو شديد عليه.

(6) أجر القراءه وأجر التعب.

الأُترجَّة[1] **ريحهاطيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**». رواه البخارى ومسلم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين**»رواه مسلم. وعن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**». رواه مسلم، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» رواه البخارى ومسلم. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» رواه الترمذى. وقال حديث حسن صحيح، وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يقول الله تعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين - وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خَلْقه**[2]» رواه الترمذى وقال حديث حسن، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارْتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**[3]» رواه أبو داود والترمذى والنسائى، وقال الترمذى حديث حسن صحيح. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن وعمل بما فيه أُلْبسَ والده تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم. فما ظنكم بالذى عمل بهذا**[4]» رواه أبو داود. وروى الدارمى بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليُبشَّرْ**». وعن الحميدى قال سألت سفيان الثورى عن الرجل يغزو أحب إليك أو

---

(1) ثمرة حلوة الطعم طيبة الريح جميلة اللون.

(2) ثوابه أعظم من كل شىء.

(3) فلصاحب القرآن درجات فى الجنة بعدد ما يحفظ منه، وسيطلب منه فى الجنة أن يقرأ ويرتل ليسمعوا منه.

(4) لاشك أن درجة حافظ القرآن العامل به أعظم من درجة أبيه الذى لم يحفظ القرآن.

يقرأ القرآن فقال: يقرأ القرآن لأن النبى ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وفى الحديث «**أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن**» وفى حديث آخر «**إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**» فقيل يا رسول الله فما جلاؤها؟ فقال: «**تلاوة القرآن وذكر الموت**». قال ابن الصلاح: «وقراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر» فوجب التدبر فى معانيه والتأمل فى حكَمه ومناحيه والعملُ بأوامره ونواهيه وتلاوتُه وسماعُه بما هو أعون على ذلك وأحفظ لجلاله وقدسه وأفضله ما أثر عن الرسول ﷺ.

كيفية تلاوة القرآن وسماعه:

تلقى الرسول ﷺ جميع كلمات القرآن وآياته وسوره عن جبريل عليه السلام عن ربه جل شأنه كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)** ﴾ [الشعراء: 193-195] وقوله تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(١٨)**﴾ [القيامة: 16-18]. فكان ﷺ يُنصت له غاية الإنصات متأملاً واعياً حتى يتم جبريل رسالة ربه ثم يقرأ ما أنزل عليه من القرآن كما سمع ثم يبلغه إلى الناس كافة، وكانت قراءته قراءة مفسرة مرتلة حرفاً حرفاً كما ورد فى الحديث تستبين فيها الحروف وتتجلى فيها صفاتها وتعطى فيها حقوقها وترتب فيها كلماتها ترتيباً لطيفاً على أعلى هيئة من غير إسراف ولا تكلف فى النطق والأداء كما قال تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: 4]] أى اقرأه على تُؤَدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف لأن ذلك أعون على فهمه وتدبره وأقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيراً فى القلب، وقال تعالى: ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ**﴾ [الإسراء: 106] أى عل تمهل وتثبت ليتيسر لهم تلقيه وحفظه وروايته عنك وكان ﷺ يَمُدُّ فى قراءته الحروف المدَّ الطبيعى وهو الذى لا يمكن النطق بالحرف إلا به من غير زيادة فيه ولا مبالغة وقد سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ فقال «كان صوته مداً» وقال السِّندى فى شرح سنن النسائى أى يطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر والتذكر وتذكير من يتذكر.

وروى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يحب أن يُقْرأ القرآن كما أنزل**» أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه. وقد قرأه ﷺ على أَبَى بن كعب بأمر من ربه

لتعليمه وإرشاده إلى كيفية أدائه ومواضع الوقوف وصيغ النغم فإن نغم القرآ قدَّرَهُ الشرع بخلاف نغم غيره ولكل ضرب من النغم أثره فى النفوس. وكان ﷺ يتلو القرآن بخشوع وقد تفيض عيناه من الدمع حين التلاوة إجلالاً لربه ورهبة من عظمته واستعظاماً لقدرته وإشفاقاً على أمته وقد تلقى الصحابة عن النبى ﷺ القرآن والتلاوة ونقلوهما إلى مَنْ بعدهم كما سمعوا من فمه الشريف وكانوا يتلونه كذلك بخشوع وخضوع ويَسْمعونه فى صمت وكمال سَمْت، قُلُوبُهُمْ فى بحار معانيه عائمةٌ وعقولُهُم حَوْلَ اكْتنَاه أسراره حائمةٌ وعلى أبواب علومه ومعارفه جاثمةٌ وألسنتُهم وجوارحُهم عن اللَّغو واللهو صائمةٌ وكذلك كان السلفُ الصالحُ فى تلاوة القرآن وسماعه؛ أدب وخشوع ورهبة وخضوع وطمع ورجاء وخشية وبكاء وكان منهم من يقوم معظم الليل بآية واحدة يكررها متأملاً فى معانيها متبحراً بفكره فى مراميها ومنهم من كان يُصْعَق أو يقضى نحبه عند سماع آية إنذار ووعيد خوفاً من الله عز وجل. كيف لا وقد قال تعالى: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾** [الحشر: 21] وكلما زاد العبد قرباً من ربه ازداد منه خوفاً وخشية كما يشير إليه قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**[فاطر: 28]. قال حجة الإسلام الغزالى «كانوا يتلونه حق تلاوته، تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تدبر المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالأنزجار والائتمار. فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ».

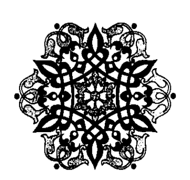
وجوب تلاوة القرآن بالتجويد:-

التجويد حلية القراءة وهو كما فى (الإتقان) إعطاءُ الحروف حقوقَهَا وترتيبُهَا وردُّ كلِّ حرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة إبن أم عبد**» يعنى ابن مسعود وكان رضي الله عنه قد أوتى حظاً عظيماً فى تجويد القرآن، وعن إبن مسعود رضي الله عنه قال: «جودوا القرآن». وقال فى «الإتقان» إن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة

حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاه عن أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية وقد عدَّ الأئمة القراءة بغير تجويد لحناً وهو كالخطأ الظاهر فى الإعراب وكلاهما محرمٌ شرعاً وقال الأستاذ محمد حسنين مخلوف : «وقد أجمعوا على أن النقص فى كيفية القرآن وهيئته كالنقص فى ذاته ومادته فترك المدَّ والغُنَّة والتفخيم والترقيق كترك حروفه وكلماته ومن هنا وجب تجويد القرآن وقد سمى رسول الله ﷺ قارىء القرآن بغير تجويد فاسقاً» .

تحسين الصوت بالقرآن:

ذهب جمع من الصحابة والتابعين والأئمة إلى إباحة تحسين الصوت بالتلاوة بل إلى استحبابه لكونه أوقع فى القلوب وأشد تأثيراً وأرق للسامعين حتى قالوا : إذا لم يكن القارئ حسن الصوت بطبعه فليحسنه ما استطاع وقد امتدح النبى ﷺ قراءة أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه فقال : «**يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**» وكان داود عليه السلام أحسن الناس صوتاً فشبُه حُسْنُ صَوْت أبى موسى وحلاوة نغمته بصوت هذا المزمار . وقال أبو عثمان النهدى : «دخلت دَار أبى موسى فما سمعت صوت صَنْج ولا بَرْبَط [1] ولا ناى أحسن منْ صوته . ولا ريب أن امتداح النبى ﷺ لصوت أبى موسى وتلاوته ، وتَنَزُّل الملائكة لتلاوة أسيد لا يتصور إلا إذا كان قد اجتمع فى التلاوة مع حسن الصوت كمال الأداء وإتقانه وإلا فإن الإخلال به مهما حسن الصوت منكرٌ لا يرضى الله ولا رسوله ، يأثم فاعله ويُنْهَى عنه ويُعَزَّر [2] شرعا .



(1) البربط : العود (من آلات الموسيقى) .
(2) التعزير : العقوبة التى يوقعها ولى الأمر على من ارتكب محرما ليس له حد مقرر فى الشريعة .

آداب التلاوة والاستماع

لتلاوة القرآن الكريم وسماعه آداب بعضها واجب لا محيد عنه والإخلال به محرم وبعضها مستحب لا ينبغى تركه والإخلال به نقص وسوء أدب ولنذكر هنا أهمها :

ينبغى أن يتمثل التالى والسامع كلمات التنزيل وآياته ينطق بها جبريل حين يبلغ رسالة ربه إلى أفضل أنبيائه ثم حين يقرؤها بعده رسول الله ﷺ بلسانه ثم يبلغها لأصحابه وأن يستحضر التالى أنه إنما يحرك لسانه بعين ما نطق به الرسول ﷺ من الآيات والكلمات ويستحضر السامع أنه إنما يسمع نفس الألفاظ التى سمعها الرسول الكريم بأذنه النبوية من جبريل عليه السلام فإذا استطاع أن يتمثل ذلك ويستحضره وهو مقام العارفين لآن قلبه وخشعت جوارحه واستولت على حواسه مخافة الله وخشيته وجلاله وعظمته وسلطانه وهيبته وربما غاب عن حسِّه وفَنِىَ عن نفسه ودنا حتى كان قاب قوسين من حضرة أنسه فعندئذ تتجلى له الأنوار وتنكَشف له الأسرار وكلما رق الحجاب وشَفَّ نَهِلَ من عذب هذا المورد وارتشف . وإذا ضعفت قوّته عن تمثُّل ذلك واستحضاره فليجتهد أن يقارب ويحاول ثم يحاول «وكل من سار على الدرب وَصَل» .

ومن اداب التلاوة والسماع حضور القلب والخشوع وتدبر معانى التنزيل وحكمة تَناسق كلمه وتعانق آيه وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب وهو المقصود والمطلوبَ . قاَل تعَالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص:29] وقال تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء:82] ومن آدابهما إجتناب كل ما يخل بالمقصود من تلاوة القرآن وسماعه من نحو اللهو واللغو والضحك والعبث بالأيدى ونحوها ومد البصر إلى ما يلهى ويبدد الفكر فى أثناء التلاوة والسماع إلا كلاماً يسيراً تدعو إليه الضرورة . ومن آداب السماع الإصغاء والإنصات كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف :204] ليتمكن السامع أفضل تمكن من التدبر والتأمل والفهم فيفوز بالرحمة والإنعام .

اجتناب شرب الدخان فى مجلس القرآن:

ومن آدابه إقبال السامع على القرآن بقلبه وحواسه وترك التشاغل عنه بما فيه حظ نفسه كالتفكه بالحديث وشرب الدخان فإن المقام مقام عبادة لله تعالى بسماع كلامه والتفهم فى معانيه ومقام تعلم لأوامره ونواهيه. فكيف يعرض فيه العبد عن سيده؟! ويتشاغل عنه بشهوته وإذا كان مما تواضع عليه الناس من الآداب العامة ألا يتلهى الإنسان عمن يحدثه وألا يشرب الصغير الدخان فى حضرة الكبير العظيم توقيراً له وإجلالاً أفلا يكون من الأدب مع الله تعالى ألا يتلهى العبد بالحديث مع غيره عن سماع خطابه وألا يشرب هذا الدخان فى حضرة كتابه والله الذى أنزل القرآن أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم. قال صاحب الإحياء يقول الله : «**يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أنا كف، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدثك وأنت تعرض بقلبك عنى أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك!!**».

وينبغى أن يجتنب اللهو وشرب الدخان حال سماع القرآن من المذياع كما يجتنب ذلك حال سماعه من القارئ فى المجلس إذ لا فرق بين الحالين فالمتلو فيهما قرآن والمجلس مجلس سماعه وموطن عبادة لله واللهو وشرب الدخان ملهاة عنها وإعراض إلى ما فيه حظ النفس وشهوتها.

ومن آداب التلاوة:

التؤدة والترتيل فى القراءة لأنه كما قدمنا أعون على التدبر وأقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيراً فى القلب. وعن عبد الله بن مسعود قال: لا تنثروه نثر الدَّقل ولا تهذُّوه هَذَّا كهذِّ الشِّعر [1] قفُوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة وذلك مع تَحسين الصوت قدر المستطاع وبلا تكلف مع التزام الحدود المرسومة فى فن القراءة وألا يقرأ بألحان الغناء كالأغانى الهزلية المعروفة ولا يترنم به الترنُّم الكنائسى ولا يُناح به نوْح الرهبان فإن كل ذلك زيغ وضلال.

(1) نثر الشيء: رماه متفرقا، والدَّقَل: أردأ التمر، والهذ: الإسراع. وكانوا يسرعون فى إنشاد الشعر.

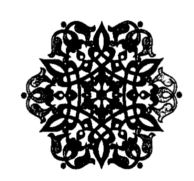
ومن آداب التلاوة التفخيم والمراد به ألا يرقق التالى بالقرآن صوته ترقيق النساء أصواتهن فى القول والغناء .

ومن آدابها : ألا تقطع التلاوة بالحديث مع الناس لغير ضرورةملجئة كما يفعل بعض القراء بل توصل حتى تتم التلاوة والعبادة .

ومن آداب التلاوة أن تقرأ الآيات متصلة بعضها ببعض كما أنزلت ولا يترك منها شيء فى البَيْن كما يدل عليه حديث زيد بن ثابت فإن ذلك تقطيع لما وصله الله وفيه إخلال بناحية هامة من نواحى عظمة القرآن وبلاغته وهى تناسق نظمه وتعانق آياته وكلمه . ولا يخلو من استظهار على الترتيب الذى أمر الله به بين الآيات والسور لحكم بالغة وأسرار عجيبة ولم يُعْهد ذلك فى عهد النبى ﷺ ولا فى عهد الصحابه والتابعين فهو بدعة ذميمة إبتدعها بعض القراء . والتلاوة اتباع لا ابتداع ويعظم الخطب فى هذه البدعة إذا كان الحامل عليها استحسان عدم صدع قلوب السامعين وأسماعهم بتلاوة آيات الوعيد والترهيب بعد آيات الوعد والترغيب أو أن القارئ أقدر فيما يتخيَّره من الآيات على تحسين الصوت به وإجادة النغم إرضاءً للعامة دون ما يتركه منها ثم كيف يتدبر السامع القرآن ويقف على مقاصده ومراميه ويفهم حكمه وأحكامه إذا ابتدأ القارئ بسورة ثم قفز إلى آيات فى وسطها ثم إلى آيات فى آخرها ثم إلى آيات من سورة أخرى بلا فاصل ولا تناسب بين الآيات وأكثر السامعين لا يحفظون القرآن عن ظهر قلب! أليس فى ذلك تشويش عليهم ولو كانوا من الحفاظ ، وتضليل لهم وإخلال بالنظم المتسق البديع؟ وكيف الحال إذا سجلت هذه التلاوة بآلة التسجيل وأذيعت على الناس؟ ألا يفهم أكثرهم منها أنها هى القرآن المنزل ثم لا يجدون بين أجزائها اتصالاً وتناسقاً ، فيظنون بالقرآن ما نبرأ إلى الله منه . إن القرآن إنما يتلى بترتيب الله لا بترتيب العباد ، وترتيب الله هو الذى دارس جبريل به النبى ﷺ فى رمضان كل عام مرة ، وفى عامه الأخير مرتين ، وهو المكتوب فى المصاحف ، وهو الذى أمر الرسول بالقراءة به وعلمنا إياه بقوله : «**اقرءوا القرآن كما علِّمتم**» وعن ابن سيرين : «تأليف الله خير من تأليفكم» وسُئل عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذ من غيرها فقال : «ليتِّق أحدكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر» .

وقال البيهقى : «إنَّ هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام فليقرأ القارىء على التأليف المنقول المجمع عليه» وقال الحكيم الترمذى فى الصحابى الذى مرَّ عليه الرسول ﷺ وهو يقرأ بهذه الطريقة فقال له : «**إذا قرأت السورة فأنفذها**» إنه ﷺ أمره أن يقرأ السورة كما أنزلها الله تعالى فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم، ولو شاء لصنفها أصنافاً كل صنف على حدة ولكنه مزجها لتصل القلوبَ بنظام لا يُمل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباء فى «بسم الله» للاستعانة وما معنى أن الباء للاستعانة؟ أى أن المبتدئ فى أمر يبغى الحصول عليه يقول ياألله إنى ضعيف ولا حول عندى ولا قوة، وإنما الحول منك والقوة بك، فأتوجه إليك بضعفى أن تعيننى بقوتك، وتيسر لى ما سعيت فى حصوله مبتدئاً باسمك فإنى ألجأ إليك بضعفى، وأنت القوى لأنك الله الذى لا يعجزك شىء تبغى أن يحدث، وأنا العاجز وقد توجهت إليك من باب ضعفى لاجئاً إلى قوتك فهيئ لى من باب إحسانك ما ابتغيه ورجوته، وما ذلك على فضلك يا ربى بعزيز.

«بسم الله» علمنا أن الباء للاستعانة وبفضل الله لعلنا فهمنا معناها.

بقى أن نتأمل فى كلمة اسم. لم جىء بكلمة اسم وقد كان يمكن أن يقال بالله؟ يا أيها الكرام لو لم نأت بكلمة اسم ما حصلنا على النتيجة التى نحصل عليها إذا ذكرنا كلمة اسم، ولعلكم تذكرون أن القاضى إذا حكم يقول إذا كان فى قلبه ربه باسم الله أحكم، ما معنى باسم الله أحكم؟ معنى هذا أنى لا أملك أن أفصل بين المتخاصمين، ولا أن أقضى لأحدهما بحقه ولا أن أعاقب الجانى لكنى أملك هذا باسم الله، أحكم باسمه واسم الله تعالى يخضع له كل خلق ولا يستطيع أن يخرج عليه خارج فكأنى إنما أحكم بالمصدر القوى الذى لا ينازَع ولا يغالَب، والكل يخضع لسلطانه، ولذا أحكم عليكما أو عليكم يأيها المتخاصمون لا منى فإنى أنا ضعيف، ولكن أحكم عليكم باسم الله الذى قوانى وآتانى هذه المئونة لأنى أنفذ أحكامه فيكم باسم الله. ما معنى الله؟ الله لو عقلنا معناها لسكرنا وأخذتنا نشوة، وأخذنا خوف يكاد يُقَطِّع قلوبنا، الله خالق كل شىء، متصف بالأسماء الحسنى، - منتقم جبار، غفور رحيم، ذو البطش الشديد، حليم عليم - كل الأسماء الحسنى ما هى إلا صفات لله جل شأنه فأنا أبتدؤه مستعينًا بمن له الأسماء الحسنى، والذى يَغلب ولا يُغلب، ويَنتصر ولا يُنتصر عليه، ومن لجأ إليه أعانه على خصمه، وقواه

على عدوه، لماذا عقب لفظ الجلالة وهو الله بالرحمن الرحيم؟ لأننا لو وقفنا عند ذكر الجلالة لأخذتنا الرهبة وكدنا نخر صرعى ولطف الله بنا إذ ذكر عقب اسم الجلالة الرحمن الرحيم فكأنه يقول: إنما ألجأ إليك يا الله لأنك قوى عظيم من باب إحسانك ورحمتك اللتين أستدل بهما لأنك ذكرتهما فى فاتحة كتابك وهما الرحمن الرحيم.

ما معنى الرحمن وما معنى الرحيم؟ تأملوا يأيها الكرام الرحمن معناه المنعم بالنعم العظيمة كالخلق والإيمان والتكريم.

وما معنى الرحيم؟ الرحيم: المنعم بالنعم الدقيقة وما معنى النعم الدقيقة؟ النعم الدقيقة: زيادة الإيمان. الأساس موجود وهو الإيمان، ولكن زيادته نعمة دقيقه يعنى لو لم يزد كان الموجود منه كافياً فى النجاة، سمعك نعمة عظيمة ما مصدرها؟ الرحمن، زيادة السمع مصدرها الرحيم، لأن الرحيم هو المنعم بالنعم الدقيقة والنعم الدقيقه نعم فرعية يمكن أن يستغنى عنها لكن فضل الله آتاها عباده زيادة فى تكريمهم ونشراً لنعمه عليهم «بسم الله الرحمن الرحيم» تأملوا يا كرام: لمَ قدم الرحمن على الرحيم؟ لأن النعم العظيمة الأصيلة هى الأساس والنعم الدقيقةَ هى فروع والأصل يتقدم على الفرع. ولما كان الرحمن هو المنعم بالنعم العظيمة، كان المناسب أن تتقدم لأنها الأسس التى تبنى عليها الفروع. ولما كان الرحيم هو المنعم بالنعم الدقيقة، جئ به عقب الرحمن للإشارة إلى أن كل نعمة دقت أو جلت، وكل فضيلة عظمت أو قلت، وكل خير فى الدنيا والآخرة عظم أو لم يعظُم إنما هو ناشئ عن الرحمة الإلهية والإحسان السرمدى الأبدى. تأملوا أيها السادة هذا معنى واضح وحسن، ولعلنا جميعاً ذقنا حُسنه وتجلى لنا هناك معنى أدق، وهو أوقع وأحسن - ما هذا المعنى الأحسن؟ كلكم مثقف، وأخذتم شيئاً من علم اللغة العربية، وفى علم اللغة العربية اسم فاعل وصفة مُشبهة. ما الذى يدل عليه اسم الفاعل؟ وما الذى تدل عليه الصفة المشبهة؟ إذا تأملنا فى معنى اسم الفاعل؛ قام محمد - محمد قائم - حدث القيام من محمد، أنا حامد ربى - صدر الحمد منى - أنتم حاضرون الدرس - حصل حضور الدرس منكم. اسم الفاعل لا يدل إلا على أن الفاعل حدث منه الفعل؛ فإذا قلنا قائم

حدث منه القيام، قلت صائم حدث منه الصيام. الصفة المشبهة تدل على أن الوصف صفة لازمة لصاحبها مثل «فرحان» «غضبان» بصيغة «فعلان» التى هى صيغة رحمن وصيغة «فعيل» مثْل رحيم. إذا نظرنا إلى صيغة رحمن وتأملنا فيها وجدنا أن معناها أن الله هو المنعم بما ظهر على عباده من النعم. وهل ما ظهر على عباد الله من النعم وما بطن بالشيء القليل؟ لا يحيط به إلا الله **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾** [إبراهيم: 34] ونعمة الله إما ظاهرة وإما باطنة. ولا يحصى النعم الظاهرة سوى الله ولا يحصى النعم الباطنة سوى الله، فالرحمن هو مصدر تلك النعم الظاهرة والباطنة «بسم الله الرحمن الرحيم». الرحيم: لو تأملنا فى لفظة «فعيل» لوجدناها تدل على أن المتصف بها الوصف قائم به وإن لم تظهر آثاره فى الظاهر. فمع أن المتصف بها الوصف قائم به ومتمكن منه ولكنه فى الظاهر لا يظهر.

مثلاً فى صيغة فعلان، الحاكم على شعبه غضبان. فاقد الماء عطشان – من شرب الماء ريان – إذا نظرنا إلى «غـضـبـان» وإلى «عطشـان» وإلى ريان رأينا آثار هذه الصفات واضحة على من اتصف بها. أليس الغضب يبدو على وجه صاحبه؟ أليس العطش يبدو على وجه صاحبه وعلى جسده؟ أليس الرِّى يظهر أثره جلياً واضحاً على من روى. إذن صيغة «فعلان» تدل على أن المتصف بها وصفه واضح فيه وظاهر على وجهه وجسده. صيغة «فعيل» يأيها الكرام هى أخت لصيغة فعول. إذا نظرنا إلى صيغة فعيل وصيغة فعول نجد أن المتصف بهما لا يظهر أثرهما عليه. إن المتصف بهما لا يبدو أثرهما على ذاته ولكنْ مَلَكةٌ مستقرة فى النفس راسخة فيها تصدر عنها أفعالها بيسر وسهولة ودون أن تظهر على السِّحْنَة والهيئة. قد تقول إن فلاناً كريمٌ- انتبهوا- إن فلانا كريم لأنه تصدق بمنح طائلة وقد أقول إن فلاناً غضوب وما معنى غضوب؟ يعنى الغضب ملكةٌ متمكنة منه. إذا قلت إن فلاناً غضبان - أثر الغضب ظاهر. وإذا قلت إنه غضوب أى صفته الغضب إلا أنه لم يحدث منه الغضب فقد يحلم الغضوب فيقول القائل إنه مع حلمه هذا غضوب. ما معنى غضوب؟ يعنى الصفة المتمكنة منه إنما هى الغضب ولكنه لأمر ما كان منه الحلم؛ وقد يعطى الرجل عطاءً واسعاً ومع عطائه الواسع يقول بعض الناس إنه مع عطائه هذا بخيل وشحيح. بخيل وشحيح وقد دفع آلافاً مؤلفة فى سبيل الخير – لعله إنما دفع

الآلاف المؤلفة لعلة فى نفسه ظهرت أو لم تظهر ومع هذا فالبخل والشح طبيعة متغلغلة فى نفسه وتكَرُّمُه وبَذْلُه هذا المقدار إنما هو لعلة ومع هذا البذل فهو بخيل وشحيح وليس عنده من الكرم ذرة . لعلنا فهمنا الفرق بين «رحمن» وبين «رحيم» بالأمثلة التى ذكرتها لكم من غضبان وعطشان وريان ومن غضوب وشحيح وبخيل

فلنفهم رحمن ورحيم على هذا الميزان . ما معنى رحمن؟ رحمن . هو المنعم بالنعم ظاهرة أو خفية وآثار نعم الله لا تعد ، ونحن فى بطون أمهاتنا ما أسبغ نعمه علينا ، وبعد أن وجدنا حرك قلوب أمهاتنا وآبائنا على خدمتنا ، فما أعظم نعمه علينا ، وبعد أن دخلنا ميادين الحياة ما أسبغ فضله علينا آتانا قوة وآتانا عقلاً وحملنا على التدبير وهو المدبر لنا ، ونعم الله لا يعدها عاد ولا يحصيها محصى ، تأملوا الرحمن الرحيم ـ الرحيم نتيجة للرحمن ، فكأنه من تقديم الدليل على النتيجة . ما الدليل على الرحمة وتمكنها منه جل شأنه؟ لأنه رحمن ، «ورحمن» ظاهرة على الرجال وعلى النساء وعلى المواشى وعلى الدواب وعلى كل ما خلق الله «الرحمن» دليل . ما نتيجة هذا الدليل نتيجته أنه رحيم كأنه إنما ظهرت آثار رحمته على عباده لأنه رحيم صفة الرحمة راسخة فيه ومتمكنة منه وكل رحيم أوتى ذرة من الرحمة فإنما هى من تفضل الله عليه وإيتائه إياها . إذَنْ هو «رحمن» وآثار رحمته واضحة لمَ؟ لأنه رحيم .

ما معنى رحيم ولله المثل الأعلى أن الرحمة مَلكةٌ متمكنة منه تنشأ عنها آثار الرحمة وهى ما عبر عنها بالرحمن . هذا الكلام يأيها الكرام لا يليق فى جانب الله ولكن لتوضيح المقام ذكرت هذا .

الله لا مَلَكَةٌ له وإنما قلت مَلَكَة لأن الملكة معناها الصفة الراسخة فى النفس التى تصدر عنها أفعالها دون تكلف . هل لله ملكة؟ حاشاه جل شأنه ولكن يقال هذا لتوضيح ما دق بإظهاره فى صورة المحسوس حتى يتضح المعنى المقصود ، أملى أن يكون واضحاً ولو بعض الوضوح ، لو سلكنا هذا المسلك البسملة تحتاج إلى دروس ولكن حسبنا هذا القدر من البسملة ولننتقل إلى المقصد .

إنما ابتدأ بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» كما ابتدأ بقية سور القرآن بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»؛ لنستعين بالله تعالى فى تسهيل القرآن علينا حتى تتمكن منه قلوبنا، ويتيسر فهمه على أذهاننا، لمَ؟ لأن القرآن قديم ونحن حوادث، ولا مناسبة بين القديم والحوادث، فنلجأ إلىَ القديم منزِّل القديم وهو القرآن ليعين هؤلاء الحوادث بتجليه عليهم بإقراء كتابه فى قلوبهم، ولتفهيم عقولهم معناه، ما معنى سورة يأيها الكرام؟

السورة طائفة من القرآن لها مبدأ ونهاية معلومتان بالتوقيف من الله جل شأنه، أقل سورة ثلاث آيات سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ إذن السورة معناها طائفة من القرآن لها مبدأ ونهاية حددهما الله جل شأنه، أقلها ثلاث آيات، ولا يمكن أن يزاد فى السورة ولا ينقص. لمَ؟ لأن السورة مأخوذة من السور، والسور الحصن، والحصن إذا أغلقت أبوابه لا يمكن أن يؤخذ شيء مما فى داخله، فالسورة محصنة بتحديد الشارع، لها مبدأ وختام فكأنها فى داخل الحصن الذى حدده الشارع لها، وإذا كانت فى داخله لا يمكن أن يزاد عليها ولا ينقص منها؛ لأنها داخلة فى سور الشارع الذى حدده لها.

الذى فى داخل الحصن أليس فى مأمن؟ نعم فى مأمن. إذن حافظ السورة فى مأمن، والسورة فى مأمن: مأمن السورة ألا يزاد عليها ولا ينقص، ومأمن حافظها أنه حفظ شيئاً له منزلة عالية عند الله، وله منزلة سامية فى قلوب بنى آدم، وفى أرواح الملائكة فمن حفظ مقداراً يسمى سورة ولو صغيرة، عَظُم منزلةً، وازدادت مكانته عند ربه وملائكته، وازدادت منزلته فى قلوب عباده؛ لأنه حفظ شيئاً له منزلة عظيمة وأحاط به قلبه وإن كان ما يليه مطلوباً لأنك إذا حفظت «قل أعوذ برب الناس» مطلوب منك أن تحفظ «قل أعوذ برب الفلق» كلما حفظت سورة زدت منزلة وهكذا حتى تنتهى إن كنت من كرام الموفقين إلى حفظ كتاب رب العالمين. لمَ؟ هذا يشحذ همتك، ويقوى عزيمتك لعلمك أن لك عند الله منزلة. فعلمك أن لك عند الله منزلة، وشهودك أن عباد الله يعظمونك لأنك حفظت شيئاً من كتاب ربك يحملك على أن تجدَّ وتجتهد حتى تحصل على مقدار مرموق - إذا حفظته - ينظر إليك الله أكثر. وتأملوا يا أيها الكرام يا طالبى الدرجات عند ربكم - «إن درجات الجنة

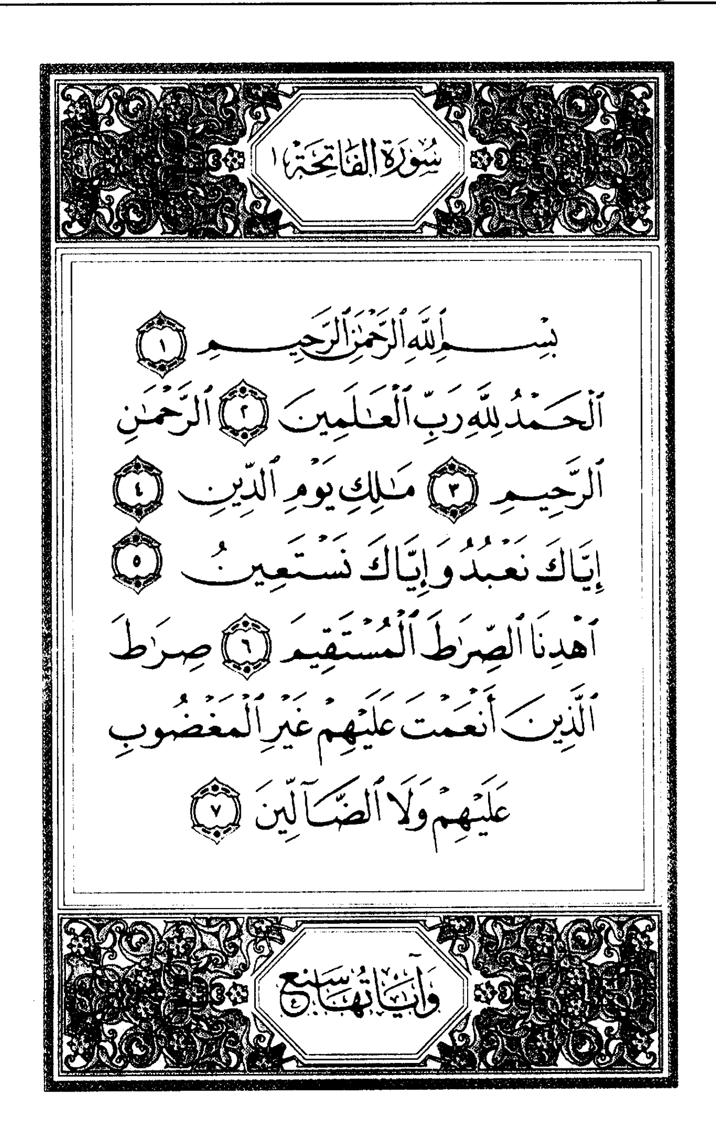
بعدد آيات القرآن» فمن حفظ ثلاث آيات نال عند الله ثلاث درجات ومن حفظ ست آيات نال عند الله ست درجات، ومن حفظ ألف آية نال ألف درجة، ومن حفظ القرآن نال الدرجات التى بعدد آيات القرآن وبين الدرجتين كما بين السماء والأرض. إذن خلق الله لا يحيط به إلا الله. القرآن كم آية فيه؟ فيه آلاف الآيات والدرجات مرتفعات ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، إذن ما أسمى خلق الله وما أعظمه! ـ وما يدرى خلق الله إلا الله ـ ويمكن أن نقول إن السورة معناها المنزلة .

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

هل فى السورة القرآنية المعنى اللغوى وهو المنزلة الذى جاء فى هذا البيت؟ نعم إذا حفظت آية نلت منزلة كريمة ودرجة عند ربك عظيمة، لمَ نلت الدرجة عند ربك؟ لأنك حفظت بعض كلامه، ولمَ نلت الدرجة عند عباد الله من ملائكة وإنس وجن؟ لأنك حفظت شيئاً يحبه ربك إذن يمكن أن تأخذ السورة أيضاً من المنزلة والمكانة. والمنزلة والمكانة يمكن أن تكون حسية ويمكن أن تكون معنوية. معنوية لأنها رفعة وعظمة عند الله وعند عباده، وحسية لأنك ترى أن المقدِّرين لأنهم حفَّاظ كتاب الله ـ منزلتهم عند الخلق سامية ومعروفة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





سورة الفاتحة ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وآياتها سبع



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

الفاتحة أفضل دعاء وأحسن دواء، لأنك تبدؤها بالاسم الأعظم وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» وتأتى بعده بحمد الله لنفسه إذ علم عجز خلقه عن حمده. « الحمد لله رب العالمين ».

ثم تصفه بأنه الرحمن الرحيم، ثم تصفه بأنه مالك الجزاء للمطيعين والعاصين يوم الدين، وهو يوم القيامة ثم تطلب المعونة منه.

إذا كنت مريضاً فتطلبها لشفائك، عاصياً فتطلبها لاهتدائك ثم تستعين به على عبادتك وتفوض أمرك إليه؛ إذ لا قوة لك بنفسك وإنما القوة لك به منه جل شأنه ثم تطلب منه أن يهديك الصراط المستقيم فى أمر دينك وفى أمر دنياك وفى أمر صحتك وفى أمر ولدك وفى كافة ما تحتاج إليه من أمور دينك ودنياك.

الصراط المستقيم صراط من؟ ليس بصراط اليهود لأنهم مغضوب عليهم، وليس بصراط النصارى، لأنهم ضلوا الطريق المستقيم.

فالفاتحة هى الدواء، والفاتحة هى الشفاء، فإذا قرأتها على مريض أو لمريض وكنت تحسن العلاج شفاه الله، وإذا قرأتها لعاص أو على عاص هداه الله، وإذا قرأتها لأى أمر من أمور دينك أو دنياك وكنت فاهمًا معناها لاجئاً إلى ربك آتاك سؤلك، وقد قلت لكم قصة من أيام: إن المصطفى ﷺ بعث طليعة من جيشه فمروا على جهة وقد احتاجوا إلى طعام وإلى مبيت فأبى أصحاب الجهة أن يطعموهم وأن يبيتوهم، وإذا بسيد هذه القبيلة يلدغ فيطلبون علاجه ويحاولون شفاءه فلم يتهيأ لهم، وإذا بهم يلجئون إلى هؤلاء القوم، أعندكم من راق لسيدنا فإنه لدغ ؟ وقد

حاولنا أن نرقيه فما تهيأ، فقال بعضهم عندى رُقيةٌ ولكن طلبنا منكم أن تضيفونا وتطعمونا فأبيتم، ولن أرقيه لكم حتى تجعلوا لى جعلا مكافأة على هذه الرقية. فجعلوا له قطيعَ غنم وجيء إليه باللديغ فجعل يقرأ الفاتحة ويتفل، يقرأ الفاتحة ويتفل وبمجرد أن إنتهى من رقياه كأنه لم يلدغ فأعطوه القطيع. أبى من رقاه أن يتناول منه شيئاً حتى يسأل النبى ﷺ أيباح له ما أخذه على طبه أم لا يباح؟ المصطفى ﷺ قال: «**اقتسموا واجعلوا لى معكم نصيباً مما أعطوكم**» ثم قال لهذا الراقى بالفاتحة: «**من أنبأك أنها رقية؟**» يعنى هى رُقْية عظيمة وما أنبأك عن أنها رقية إلا طهارةُ قلبك وسلامة نفسك وتوفيق الله لك، «**فاجعلوا لى معكم نصيبا فى هذا الجُعْل**» وبعد أن يطلب الرسول ﷺ أن يُجْعل له نصيب من هذا الجعل أفى شك من حله؟ إذن الصحابى أدرك أن الفاتحة شفاء وأدرك أنها رُقْية، وإن كثيراً من الناس يلومون من يقرءون الفاتحة وقد أخطأ هؤلاء اللائمون. ما الفاتحة؟ الفاتحة هى أم الكتاب وقد احتوت على كل معانى الكتب السالفة وقد حوت معانى القرآن لأن القرآن أحكام وتاريخ وعظة.

الفاتحة فيها الأحكام. أين الأحكام التى هى فيها؟ اهدنا الصراط المستقيم، وإذا هديت الصراط المستقيم لابد من أن تعلم ما أوجبه عليك الدين حتى تعلم ما الصراط المستقيم وتسير عليه. الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين تحتاج إلى معرفة تاريخ الأنبياء وتاريخ الصالحين لأنهم الذين أنعم الله عليهم ﴿ **فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: 69].

أنت طلبت أن تُهدى إلى الصراط المستقيم وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، لابد من أن تعرفهم، وأن تعرف تاريخهم، ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: 90]. وإن لم تعرفهم فكيف تقتدى بهم؟! ولابد من أن تعرف الضالين والمغضوب عليهم، حتى تتقى أعمالهم التى غضب الله بها عليهم، وأعمالهم التى ضلوا بها فأضلهم الله، ولابد من أن تطلب المعونة من ربك، ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5]، ولابد من أن تجعل عبادتك خالصة لربك حتى يقبلها منك

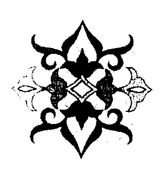
﴿ أَلا للَّه الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3] فالفاتحة فيها كل الكتب السالفة، وفيها إجمالاً ما نزل فى القرآن، فهى الشفاء وهى الدواء، ومن فضلها وعظمتها أن ابتدأ الله بها كتابه وجعلها أمه، ولذا يقولون أم الكتاب. أم الكتاب تعنى ماذا؟ تعنى ما يتفرع عنه معانى الكتاب، لأن أمك هى التى ولدتك وولدت إخوتك وأخواتك فمعانى الكتاب كلها متفرعةٌ وناشئةٌ عن الفاتحة، وأنت بدأت بالاسم الأعظم وهو «بسم الله الرحمن الرحيم»، والمصطفى ﷺ يقول: «**ما بين بسم الله الرحمن الرحيم وبين الاسم الأعظم إلا كما بين سواد العين وبياضها**». هل بين سواد العين وبياضها فاصل؟ إذن بسم الله الرحمن الرحيم هى الاسم الأعظم وبعضهم يقول الاسم الأعظم هو الله، فإن قال قائل إن الاسم الأعظم إذا سُئل به الله أجاب والكثير منا يسأل الله بيا ألله ولمْ يُجَب فالجواب أن من لم يُجَب فاته الشرط لأن الشرط أن تقول ألله وليس فى قلبك سواه، ومتى قلت يا ألله وليس فى قلبك سواه يَسْتَجبْ لك الله فكيف وقد ضممت إلى لفظه الاسمين الكريمين وهما الرحمن الرحيم! ولعل من يعترضون على من يقرأ الفاتحة أخذوا اعتراضاتهم عن الإمام «ابن القيم». ابن القيم ذكر فى كتابه «زاد المعاد» فى باب الأدعية أن الفاتحة أس الدواء وكم مرضَ وعالج بها نَفْسَه فجاءه الشفاء وكم مرض أناس وعالجهم فكان بها الدواء إلا أن الناس لا يحسنون طريق العلاج بها وقد استعملها الصحابى كما ذكرت لكم فى تلك القصة وأقره النبى ﷺ على استعمالها علاجاً إذ يقول: ومن أدراك أنها رُقْيةعظيمة؟! وما أدركتَ أنها رُقية إلا بتوفيق الله لك. فالفاتحة من أفضل العلاج إلا أن من يستعملونها قلَّ أن يحسنوا إستعمال العلاج بها، فمن أحسن استعمال العلاج بها جاءه الشفاء العاجل والآجل من داء الدنيا وداء الآخرة. من استعملها شفاء لداء الآخرة لابد وأن يمشى على منهاجها وما منهاجها؟ منهاجها الصراط المستقيم وما الصراط المستقيم؟ أن تستقيم، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك فقال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، إيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم الاستقامة. الاستقامة ما هى؟ دخل فيها كل أحكام الدين أمراً ونهياً أن تفعل ما أمرت وأن تنتهى عما نهيت والمصطفى ﷺ يقول: «**شَيَّبَتْنى هودٌ وأخواتها**» ما الذى شَيَّبه فى هود؟ ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [هود: 112]. يعنى قف عند الحد الذى أمرك الله

به ونهاك عنه، دخل فى شأن المأمورات الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ودخل فى ترك المعاصى كل المعاصى إذن الفاتحة فى الصراط المستقيم احتوت على كل أحكام الدين أمراً ونهياً وحسبك من شفاء الفاتحة أنك تقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] نخضع لك ونؤمن بك ونستعينك إذا كنا مرضى على شفائنا، وإذا كنا فقراء على إغنائنا، وإذا كنا مطيعين على الزيادة فى طاعتك، وإذا كنا عاصين على البعد عن معصيتك. أفتطلب من ربك وقد خضعت له ولا يؤتيك سؤلك؟ هذا بعيد.

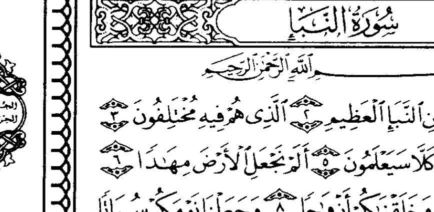
فمن يقول الفاتحة لفلان يعنى يتوسل بأم الكتاب التى تحتوى على الاسم الأعظم، وهى أعظم سورة فيه لينال من يقرؤها له مطلبه سواءٌ أكان حياً أم ميتاً فالمنددون بمن يقرءون الفاتحة لإخوانهم أو لأمواتهم أو لمرضاهم يقينى أنهم مخطئون ولعل هذا واضح.

إذن اقرأ الفاتحة لأنك تتوسل باسم ربك وبحمد ربك وبعبادتك ربك وباستعانتك بربك على أن يؤتيك مطلبك. الشفاء ممن وبيد من؟ من الله وبيد الله، فإذا خضعت له وطلبته منه كذلك كل شىء فى يد الله فإذا خضعت له وطلبته منه أيعقل أن يمنعك؟ اللهم إلا إذا كان مطلبك ليس فى صالحك وما عينته إلا لاعتقادك أن مصلحتك فيه، فيؤجله إلى يوم القيامة، وحينما ترى الجزاء الذى أدى لك تتمنى فى الدنيا ألا تجاب لك دعوة ولعل هذا بَيِّن.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.







سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد وعدتكم من فترة أن نتفهم معاً جزء (عم) ولعل الله تعالى أن يوفقنا إلى الفهم الصحيح والعمل وما ذلك على فضله بعزيز .



ما تشير إليه السورة:

وسورة(عَمَّ) أو سورة النبأ هى سورة مكية آياتها أربعون واحتوت تلك السورة على إثبات البعث وذكر أدلة موضحة له وذكر أهل الجنة والنار وخُتمت آياتها الكريمة بإنذار الكافرين وتخويفهم لعلهم يرجعون إلى ربهم .

أسباب التنزيل:

وسبب نزول هذه السورة الكريمة أن كفار قريش حينما أخبر الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ بيوم القيامة استهزءوا بهذا النبأ وأخذ بعضهم يسأل بعضاً استهزاءً به وتكذيباً للمرسل به فأنزل الله تعالى هذه السورة الكريمة ذاكرًا فيها الأدلة القائمة على أن يوم القيامة واقع لا شك فيه . ولذا يقول الله تعالى فى بدئها : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: 1] أى عن أى شىء يسأل كفار مكة بعضهم بعضاً ويسألون المؤمنين استهزاءً بهم واستهزاء بما جاء به النبى ﷺ فقال الله تعالى : يتساءلون ﴿عَنِ النَّبَأ الْعَظِيم﴾ [النبأ: 2] يسأل بعضهم بعضاً عن الخبر البالغ الغاية فى العظم وهو يوم القيامة ﴿الَّذى هُمْ فيه مُخْتَلفُونَ ﴾ [النبأ: 3] وكيف كان اختلافهم فيه؟ كان بعضهم ينكره ويقول ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[المؤمنون : 37] وكان

بعضهم يظن ﴿ إن نَّظُنُّ إلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[الجاثية : 32] فرد الله على كلتا الطائفتين المنكر منهم والشاك فيه بقوله ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ⑤ ﴾ ﴿كَلاَّ ﴾ ارتدعوا يأيها الشاكون ويأيها المنكرون فإن هذا اليوم لابد واقع «سيعلمون» سيعلمون ما أعده الله لهم من العذاب في هذا اليوم ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد بعد تأكيد والمستفاد من ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ أشد مما أستفيد بقوله ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ بيانه أن كلا سيعلمون حينما يموتون ويشهدون في قبورهم ما أعد لهم فيعلمون أن ما أخبرهم الله به على لسان رسوله حق ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ حينما يبعثون من قبورهم ويحاسبون ويزجون فى نار جهنم وشتان بين من ينظر العذاب المعد له وبين من يقع فى هذا العذاب ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ يشهدون ما أُعد لهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعاقبون فى نار جهنم ولاشك أن المعاقبة بالفعل أشد من مشاهدة ما ينتظرهم من العقاب.

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦

نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾ المهاد ما يُمهَّد حتى يستراح عليه ولاشك أن الأرض جعلها الله تعالى كالمهاد للناس يمشون عليها ويستريحون فيها ويضربون فى جهاتها لمعايشهم ولمختلف أعمالهم فهى ممهدة ميسرة لهم يتأتى لهم فى كل وقت أن يمشوا عليها وأن يقضوا مصالحهم من فوقها وفى قراءة ﴿ألم نجعل الأرض مَهْدا﴾ والمهد ما يمهد للصغير حتى ينام عليه فكأن الله تعالى يقول إنى مهدت لهم الأرض كما تمهد الأم المكان لولدها الطفل حتى ينام عليه أى جعلتها ميسرة سهلة المشى عليها ليقضوا ما يبتغون ويفعلوا ما يريدون دون عناء يعترضهم أو مشقة تلحقهم.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ الوتد معروف وإنما جعل الله تعالى الجبال أوتاداً لأن بعضها

مغروز فى الأرض وبعضها ظاهر كما هو شأن الوتد وإنما كانت الجبال أوتاداً للأرض لماذا؟ لأن الأرض مكونة ظاهرها من طبقة صلبة هذه الطبقة الصلبة عمقها ستون كيلو متراً وفى بعض أجزائها أمكنة غائصة رخوة. الأمكنة الصلبة التى فيها الجبال والأمكنة الرخوة التى فيها المحيطات وتحت الستين كيلو متراً الصلبة قشرة رخوة رقيقة هذه القشرة الرخوة الرقيقة تحفظ توازن الأرض بسبب الجبال من الاضطراب وذلك أن الأرض من الجهة الصلبة إلى الجهة الرخوة تجرى على حسب الرخاوة والصلابة فما كان رخاوته أشد كان جريان القشرة الرخوة أكثر فيحفظ بذلك توازن الأرض.

إذن الأرض لولا الجبال ما أمكنت الحياة عليها؛ لأن فيها مواد دائمة الجيشان والاضطراب فثبت الله الأرض بالجبال التى جعلها كالأوتاد فكما أن بيوتنا تثبت بالحيطان والأعمدة، والخيام تثبت بالأوتاد المغروزة فى الأرض، كذلك الأرض ثبتها الله بالجبال، ولولا الجبال ما أمكنت الحياة عليها؛ لأن فيها مواد كثيرة الذوبان والاضطراب والميَدان، فمن فضل الله ورحمته أن ثبتها بالجبال فاستقرت فأمكنت الحياة عليها.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراً وأنثى لتتأتى راحة الذكر بالأنثى وراحة الأنثى بالذكر وليسكن بعضهما إلى بعض وليتأتى التناسل وخدمته وبقاؤه ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ سُباتا قطعاً للحركة أو موتاً وفى انقطاع الحركة من النائم راحة لأعصابه وراحة لعضلاته وراحة لسائر أجزاء بدنه، لأنه لو دام عمله لضعفت قوته وما أمكنه أن يواصل هذا العمل، فانقطاع حركته بسبب النوم أو موته بسبب النوم فيه تجديد لنشاطه وإعادة لقوته وتمكين له من مواصلة عمله، ولولا النوم ما أمكنه أن يواصل عمله ولضعفت أعصابه وضعف بدنه وأُودَى بحياته سريعاً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وهل إذا نام الإنسان كل أعضائه تتعطل أم بعضها؟ الجواب أن أعضاءه بعضها يتعطل عن الحركة وبعضها لا يزال يشتغل فى أثناء نومة، مثلاً منافذ العرق تؤدى عملها والكليتان تؤديان عملهما والقلب يؤدى عمله، ولو توقفت هذه الأعضاء عن العمل لكان النوم قطعاً عن الحياة وموتاً حقيقياً، إلا أن هذه الأعضاء

بعضها يسكن فلا يعمل، وبعضها يعمل عملاً داخلياً، وبعضها لا ينقطع عمله فالكليتان ومنافذ العرق والقلب وهضم الطعام هذه لا تتعطل بالنوم وإنما تعمل لأنها لو تعطلت لانتهت الحياة.

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ جعلنا الليل كاللباس كما أن اللباس يسترك كذلك الليل يسترك . إذا كان لك عدو وأردت الهرب من عدوك تستعين بليلك لاختفائك فيه فيتأتى لك الهرب، وإذا أردت الاتصال بأهلك فالليل فيه ستر لك، وإذا أردت الكمون فى موضع لتنتقم من عدوك تيسر لك فى ليلك ما لا يتيسر فى نهارك، وكم فى الليل من فوائد أدركها العقلاء، فمن فضل الله علينا أن جعل الليل علينا كاللباس يسترنا ونجد فيه راحة فى منامنا، لأن الأضواء لا يتأتى فيها النوم الهادئ، بخلاف الظلام فالنوم الهادئ يتأتى فيه، وبالنوم تستريح الأعصاب والعضلات، لله علينا نعم فى الليل كما له نعم علينا فى النهار فله الحمد على كل نعمة ظاهرة وباطنة.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتاً تبحثون فيه عن معاشكم ويتهيأ لكم فيه من التصرف فى مكاسبكم وما تحيون به ما لا يتهيأ لكم فى ليلكم. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ما السبع الشداد؟ السبع الشداد السموات السبع ولِمَ وصفها الله بالشداد؟ لأنها قوية محكمة لا يؤثر فيها تطاول الزمن ولا يعتريها خَلل مع طول أمدها حتى يأذن ربها بهلاك العالم فيتبدَّلُ نظامها كما يتبدلُ نظامه.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ السراج معروف والمراد به هنا الشمس وقوله تعالى ﴿وَهَّاجًا﴾ أى مضيئة إضاءة شديدة حارة، والشمس نجم عظيم سقفها فيه ستة آلاف درجة حرارة ومركزها فيه ثلاثون مليون درجة حرارة ولِمَ كان هذا فى المركز؟ لأن فيها مواد كثيرة الالتهاب عظيمة فكانت حرارة مركزها، شديدة، وأشعة سطحها درجتها الحرارية ستة آلاف درجة. وفى الشمس أشعة كثيرة؛ تسعة فوق البنفسجية وست وأربعون درجة ضوئية وخمس وأربعون درجة حرارية هذه هى المائة درجة التى فى الشمس: تسع فوق البنفسجية وست وأربعون ضوئية وخمس وأربعون درجة حرارية . وهل هى شمس واحدة أم شموس؟ الله تعالى أراد فى هذه الآية الكريمة التى معنا

الشمس التى ننتفع بها ولذا وصفها بقوله : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16] أتى بالسراج ليخبر أنها واحدة وأن المراد شمسنا التى معنا وأما قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: 61] وفى قراءة (وجعل فيها سُرُجا) جمع سراج . وقراءة (جعل فيها سرْجاً) والمراد به الشموس . إذن كم لله من شموس حتى أن بعض كبار العلماء قال إن الذى اكتشفه الفلكيون بمناظيرهم المعظمة من الشموس التى خلقها الله فى كونه الفسيح مائتى مليون شمس .

هل القرآن نطق بهذا قبل أن يخبر به الفلكيون الحديثون؟ الجواب نعم ، نطق به فى أى آية؟ فى قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ وفى قراءة (سرُجا) جمع سراج والمراد الشموس وهى جمع ولاشك أن الجمع يدل على متعدد . المناظير الحديثة كشفت من أربعين عاماً مائتى مليون شمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ المعصرات : السحب والغيوم إذا أعصرت أى حان وقتُ أن تعصر ماءها وتنزله ، ويقال فتاة معصر إذا دنا وقت بلوغها ويقال أعصر السحاب إذا دنا وقت إنزال مائه ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ وننزله مندفعاً بكثرة ، والماء الثجاج هو الماء العذب وليس ماء عذب إلا ما تنزله الأمطار علينا ، وما أصل الأمطار؟ أصلها الأبخرة التى تصعد من المحيطات إلى الجو بفعل الله تعالى والأسباب التى أعدها ؛ لذلك تنزل على هيئة البرَدْ [1] أو مطراً ومنها تتكون المياه العذبة التى على وجه الأرض . فمن أعظم فضل الله علينا إنما هو إنزال ماء المطر إلينا ؛ لأنه السبب فى الماء العذب الذى نشربه ، وتحيا به زروعنا ومواشينا ، ولولاه ما أمكنت الحياة على وجه الأرض ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ لنخرج به حباً كالقمح والشعير والفول وهو طعام لنا ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالبرسيم والحشائش والدخن وهو نبات وطعام لمواشينا ، لنخرج به حباً نقتات به ونباتاً تأكله مواشينا ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ وجنات : حدائق وبساتين ؛ أشجارها لارتفاع فروعها وتطاول أفنانها[2] يميل بعضها إلى بعض ويلتف به ، ولَمَ قدم الحب؟ لأنه طعام ابن آدم وهو أهم ووسَّط النبات لأنه طعام مواشيه وأخر الفواكه لأنها يحتاج إليها للتمتع والتنعم فقط وليست بسبب

(1) البرَدْ : الماء الجامد ينزل من السحاب قطعا صغاراً .

(2) أفنان : أغصان .

لحياة الإنسان كالحب، ولا لحياة المواشى كالنبات، وإنما هى للتلذذ والتنعم والتفكه، فكانت منزلتها مؤخرة ولذا جاء بها بعد الحب وبعد النبات.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا** ﴾ هذه أدلة تسعة أو عشرة ذكرها الله تعالى ليدل على أن البعث ممكن ـ فإن من قدر على أن يجعل الأرض مهادا، وعلى أن يجعل الجبال أوتاداً، وعلى خلقنا أزواجاً، وعلى جعل نومنا سباتا، وعلى جعل الليل لباسا، وعلى جعل النهار معاشا، وعلى البناء فوقنا سبعاً شدادا، وجعل السراج الوهاج، وأنزل من المعصرات الماء الثجاج وأخرج به الحب والنبات والجنات الألفاف قادرٌ على أن يبعثنا من مرقدنا لمحاسبتنا ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا** ﴾ يوم الفصل يوم القيـــامة ولمَ سمى يوم الفصل؟ لأنه يوم يفصل فيه بين الظالمين والمظلومين فينكس راية الظالمين ويرفع راية المظلومين ويدخل الظالمين نار الجحيم والمظلومين جنات النعيم، وبالجملة فهذا اليوم يوم يحكم الله فيه وحده ولا تخفى عليه خافية فيعطى كل ذى حق حقه فى يوم الفصل، متى يوم الفصل؟ ﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا** ﴾ ما الصور؟ جاء فى الحديث الصحيح أنه قرن كالبوق ينفخ فيه إسرافيل نفخة أولى فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين، وهذا تمثيل فى أن الله بسرعة يبعث عباده ليلقى كل منهم جزاءه. الجنود إذا أراد قائدهم توجيههم إلى عمل وهم كثرة، ما عليه إلا أن يأمر حامل البوق لينفخ فيه، وإذا بهم يفهمون ما يراد بهذه النفخة فيستعدون. إذن علينا أن نؤمن بأن الله قادر على أن يبعث عباده بسرعة وقد ذكر الله تعالى البوق المعبر عنه بالصور، وما حقيقة هذا الصور؟ ومن أى شىء هو؟ وما اتساعه؟ هذا لم يكلفنا الله بالبحث عنه ولأن نلقى الله جاهلين به أفضل من أن نلقاه مقدرين له تقديراً ليس الواقع له، وحسبنا أن نعتقد أنه صور وأن إسرافيل ينفخ فيه، ولكن ما صفته؟ كِلْ علمها إلى من يعلم حقائق الأشياء ﴿ **أَفْوَاجًا** ﴾ جماعات كل فئة لها عمل

تأتى وقائدها أمامها، جماعات كل طائفة تتبع إمامها محقة أو مبطلة ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ما المراد بفتحت السماء؟ بدلت معالمها وبَدَلَ أن كانت صلبة متماسكة شققت ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشاق : 1] ولكثرة الشقوق التى حدثت فيها يخيل إلى رائيها أن كلها أبواب . أىْ أنَّ الشقوق اتسعت ولم تكن كالشقوق المعروفة لنا وإنما هى شقوق فسيحة وكثيرة حتى جعلت السماء التى هى قطعة واحدة متماسكة كأنها أبواب وفى قراءة (وفُتِّحت السماء فكانت أبوابا) ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ الجبال القارة المتماسكه الثابتة سيرت فى الجو فكانت هباء، فالناظر إليها يحسبها جبالاً وإذا أتى إليها وجدها لا شىء ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل : 88] .

﴿دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر : 21] ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة : 14] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴾ [الواقعة :5،6] ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : 5] الجبال حينما تدك وتصير هباءً تصبح لا جبال وهو المعبر عنه بقوله تعالى ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ لأن السراب يخيل إليك فى الظهيرة أنه ماء حتى إذا جئته لا تجده شيئا، كذلك الجبال حينما تصبح هباء يخيل إليك من بُعد أنها جبال، حتى إذا أتيتها ولمستها لا تجد شيئاً، «سرابا» لا شىء. وسيرت الجبال فكانت سرابا أى لا شىء.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ المرصاد والرصد القوم المعدون فى مكان ليترصدوا من يمر عليهم، تقول فلان ترصد لفلان يعنى انتظره فى مكان لنكاية به وأذية له،

فجهنم أعدها الله تعالى مرصادا للطاغين ترصدهم خزنتها لتلقى الظالمين فيها ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ مرجع الطاغين إليها ومآبهم دخولهم فيها. ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لابثين أى الطاغين (فيها) فى جهنم (أحقابا) جمع حُقْب وحِقْبَة.

الحقب والحقبة قال بعضهم ثمانون سنة واليوم الواحد كألف سنة مما نعد ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : 47] والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما نعد، فالثمانون سنة أو الثمانون ألف سنة ما مقدار ما فيها من أيام الدنيا؟ لا يعمله إلا الله، كلما انتهى حقب جاء حقب آخر ولا نهاية لأحقابها ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ المجرمون الطاغون لابثون فيها أحقاباً مُدداً متطاولة لا نهاية لها لا يذوقون فيها برداً ينفس عنهم عذاب جهنم، ولا شرابا يسكن ما بهم من عطش إلا حميما وغساقا؛ ماءً بالغ الغاية فى الحرارة. «وغساقا» صديدا يسيل من أجسامهم ومن أعينهم فيكون شراباً لهم.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾الحميم والغساق جازاهم الله تعالى بهما جزاء موافقا لأعمالهم لأن أعمالهم كانت أعمال كفرة فجرة فجازاهم الله تعالى بالحميم والغساق جزاء موافقا لأعمالهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لا يؤمنون بيوم الحساب وإذْ لم يؤمنوا بيوم الحساب ألقوا حبالهم على غواربهم، وتفننوا فى مشتهياتهم، ونفذوا ما تحدثهم به أنفسهم فلم يرقبوا ربهم، ولم يلاحظوا قيامهم أمامه، فكان جزاؤهم من ربهم ما سمعتم مما أعده لهم ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ حينما جاءهم النبى بالقرآن كذبوه تكذيباً شديداً ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ كل ما عملوه قيدناه عليهم تقييدا مضبوطًا لا يشذ شيء عنا مما عملوه، بل قيدنا جميع ما أتوا به ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : 49] ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ بعض الناس يقولون يؤخذ من قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أنَّ جهنم لها نهاية وأنهم مهما عذبوا فيها فسيأتى يوم ولا يعذب فيها أحد ولا تكون باقية إلا أنهم

جهلوا لأن الله تعالى يقول بعد أن قال ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلاَّ عذابًا ﴾ أى إنّ عذابكم مستمر وكلما انتهى نوع من العذاب تجدد نوع آخر من العذاب لكم وهكذا ﴿فلن نزيدكم إلاَّ عذابًا﴾ .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

﴿إنَّ للمُتَّقينَ مفازًا ﴾ بعد أن انتهى الله تعالى من الكافرين وما أعد لهم من عذاب تعرض للمتقين وما أعد لهم من ثواب فقال : ﴿إنَّ للمُتَّقين مفازًا ﴾ فوزاً ﴿حدائق وأعنابًا ﴾ حدائق : بساتين فيها نخيل وأشجار (وأعنابا) كروما عنبا وإنما ذكر كروم العنب مع أنها داخلة فى الحدائق لأن العنب كانت له منزلة خاصة عند العرب وعند سائر الناس فاستحق أن يذكر مخصصاً بعد أن شمله التعميم فى قوله حدائق .
﴿وكواعب أترابًا ﴾ الكواعب جمع (كاعب) وهى البنت التى استدار ثديها فبدا وقت بلوغها باستدارة ثديها .

﴿ أترابًا﴾ فى ذات السن ؛ أسنانهن واحدة يعنى أنشأنا لهم بنات أثداؤهن استدارت وسنهن واحدة ولا شك أن التمتع بالنساء فى الدنيا له قيمته . الله تعالى أعد لأهل الجنة هذا المتاع ، وشتان بين الحور العين وما أعده الله للمتقين من نساء فى الجنة وبين نساء الدنيا فى التمتع واللذة ﴿وكأسًا دهاقًا﴾ الكأس الإناء من بلور ودهاقا ممتلئة ﴿لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذَّابًا﴾ أراد الله تعالى أن يقول إن مما اعده للمتقين فى الجنة الخمر التى كئوسها ممتلئة ، وعقول شاربيها ثابتة ، لا تسمع منهم لغوا فى أثناء شربها كما هو الشأن فى خمر الدنيا ، ولا تسمع منهم من يكذب بعضهم بعضاً ، بل يشربون وعقولهم ثابتة لا لغو يحدث منهم ، ولا تكذيب لبعضهم من بعض ﴿جزاءً من ربِّك عطاءً حسابًا﴾ جزاء أعده الله تعالى للمتقين كافيهم لأن معنى حسابا : كافياً .

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ الله تعالى حينما يفصل بين عباده يوم القيامة يفصل بما يراه، ويحكم لا معقب لحكمه، فلا يستطيع أحد أن يرد عليه حكمه، ولا أن يراجعه فيما فعل **﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾** يوم يقوم الروح: جبريل والملائكة صفا يصطفون **﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾** الروح والملائكة ـ إلا من أذن الله له بالكلام ـ **﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾** وكان كلامه حقاً صائباً. من يأذن الله تعالى له بالكلام من الملائكة يتكلم بشرط أن يكون الكلام صوابا ولا يعقل أن يقول الملك إلا الصواب، وبعض العلماء يقول: إن المشفوع له يشترط أن يكون قال فى الدنيا القول الصواب، وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن لم يقل هذه الكلمة فى الدنيا، لا يأذن الله لأحد أن يشفع له.

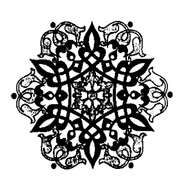
وهل الشفاعة هناك تبدل ما أراده الله؟ الجواب: لا تبديل لما أراده الله؟ وإذا كان لا تبديل لما أراده الله فَلِمَ هذه الشفاعة؟ الجواب هذه الشفاعة يتبين بها منزلة الشافع، وتدرك قيمته ويرتفع بها شأنه، وإن كانت غير مبدلة لما قضاه ربه، ولكن يأذن لأناس بأن يشفعوا، حتى يعلم أهل الجمع مكانتهم عند ربهم إذ هيأ لهم أن يشفعوا **﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾**الذى لا شك فيه ولابد منه ولا مناص من كونه **﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾** فمن شاء وعقل وأراد أن يلقى ربه ملاقاة كريمة يكرم فيها وتكون له قيمة فليتخذ العمل الصالح تجارته، وليخلص فيما قدمه إلى ربه وليجتهد كل

اجتهاده حتى إذا جاء هذا اليوم الذى لاشك فيه وجد ما قدمه حاضراً ينتظره ووجد جزاء كريماً من ربه .

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ﴾ يا كفار قريش ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ لمَ كان قريباً؟ لأن الآتى مهما بعد زمن مجيئه فهو قريب، أو كان قربه لأن الإنسانَ بمجرد أن يموت انقطع عمله فى الدنيا، وينظر ما أعده الله تعالى له، فقربه لأن مبدأ نظر ما يلقاه يحدث بعد موته، ولكن يزج فيه ويدفع إليه بعد أن تقوم القيامة ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مؤمناً أو كافراً، ينظر الذى قدمته يداه من خير أو شر فالمؤمن يستريح إلى ما قدم ويُسرُّ بما عمل، والكافر يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ متى يقول الكافر هذه الكلمة؟ يقولها حين يبعث الله الحيوانات والوحوش ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها كونى ترابا، فيتمنى الكافر حينئذ أن لو كان ترابا كهذه البهائم والوحوش. حتى لا يزج فى جهنم ويدفع إلى عذابها .

والبعض يقول: إن الكافر إنما هو إبليس، حينما يرى آدم وأولاده وقد امتن الله على المطيع منهم بالجنة، يرى أنه كان مخطئاً حينما قال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الاعراف:12] ويتمنى أن لو كان من بنى آدم [1] حتى يثاب مثل ما أثيب المؤمنون إذْ آمنوا .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



(1) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [آية 11- فاطر] .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة النازعات مكية، آياتها ست وأربعون، واحتوت على بيان أسماء بعض طوائف الملائكة، وعمل كل منها، وبعض مشاهد يوم القيامة وأهوالها، وما كان بين موسى وفرعون، وما انتهى إليه هذا الطاغية ثم إثبات البعث وقدرة الله تعالى، وختمت آياتها الكريمة بما سيكون عليه حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾

الشرح:

﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾ أقسم الله تعالى بطوائف من الملائكة لهم أعمالهم فى شئون الدنيا؛ الطائفة الأولى التى أقسم الله تعالى بها هى ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾ أى والملائكة التى تنزع أنفس الكفار نزعاً مبالغاً فيه كل المبالغة مستغرقاً كل الأجزاء من الأنامل والأظفار وتحت كل شعرة. ومَثَلُ نزعها نفوس الكافرين كمثل السَّفُود [1] إذا وضع فى الصوف المبتل بالماء ونزع منه فإنه يكون فى غاية الشدة ﴿**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ أقسم الله تعالى بطائفة أخرى من الملائكة تنزع أنفس المؤمنين نزعاً رفيقاً، ومثله كمثل العقدة

(1) السَّفُّود: سيخ الحديد الكثير الشعب.

التى تحل بسهولة؛ تكون معقودة من طرف واحد فإذا جَذَبْتَ الطرف الآخر انحلت تلك العقدة، وهذا مثل نزع الملائكة لأرواح المؤمنين فى اليسر والسهولة.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ أقسم الله تعالى بطائفة أخرى من الملائكة تنزل فى الجو وتجرى فيه وتَسبح بأمر الله تعالى لتقضى ما أمرها الله تعالى به فى يسر وسهولة ونشاط وخفة ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ أقسم الله تعالى بطائفة أخرى من الملائكة تأخذ أرواح المؤمنين وتسبق بها إلى لقاء ربها ومقابلته وإلى دخولها فى جنته، وتسبق بأرواح الكافرين حتى تدخلها فيما أعد لها من عذاب وبلاء ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أقسم الله تعالى بطائفة أخرى من الملائكة وظيفتها تدبير أمر الله تعالى فى عباده فى الدنيا، وهذه الطائفة مكونة من أربعة أشخاص ولهم أتباعهم؛ الأول جبريل عليه السلام وهو موكل بالجنود والرياح، والثانى ميكائيل وهو موكل بالقطر والنبات، والثالث ملك الموت وهو موكل بقبض الأرواح، والرابع إسرافيل عليه السلام ووظيفته تلقى أمر الله تعالى وتبليغه إلى ملائكته لينفذوه ويقوموا به، وهو أقرب الملائكة إلى الله جل شأنه، وله وظيفة أخرى وهى النفخ فى الصور وذلك يوم القيامة. لقائل منكم أن يقول القسم معناه أن يقسم الإنسان بمن يخشى مؤاخذته إذا لم يصدق فى حلفه، وحاشى لله تعالى أن يخشى أحداً، بل لا وزن لأحد عنده جل شأنه إلا إذا جعل له شيئاً من الوزن والقيمة والمقدرة فكيف يقسم الله تعالى بملائكته أو ببعض مخلوقاته؟ جواب هذا أن الله تعالى يقسم ليعلم الناس أن ما أنكروه حق؛ فمثلاً أنكر بعض الناس يوم القيامة فأقسم به حتى يدخل فى قلوبهم أنه لا مرية ولا شك فيه، وأقسم بالقرآن أنه حق ليبين للناس أنه لا شك فيه وما أقسم الله تعالى به من خلقه يأخذ صفة التعظيم، أما يوم البعث فهو يوم يبعث فيه الناس لرب العالمين، وينعم السعداء الصالحون، ويشقى الكفار الجاحدون، فما أعظم هذا اليوم فى نعمته على المؤمنين! وما أشده وأصعبه على الكافرين الملحدين! وأقسم بالقرآن وفى قسمه به أيضاً تمجيد له وتعظيم؛ لأن القرآن أنزله الله تعالى هدى للناس وشفاء من أدوائهم الدينية، ومن أدوائهم الاجتماعية، فلا شك أنه عظيم فليتوجه الناس إليه حتى يعملوا به لينالوا ما أعد الله للعاملين به من سعادة الدنيا والآخرة. وكذلك

أقسم الله تعالى بالنجوم ولَمَ؟ لأن بعض الناس يتهاونون بها ويعدون أنها مظاهر دنيوية لا فائدة فيها، فأقسم الله تعالى بها ليوجه الناس إلى فوائدها الدينية وإلى فوائدها الدنيوية، من فوائدها الدينية أنهم يعلمون بسَيرها الحساب وفى ذلك معرفة أوائل الشهور فيعرفون الزمان: زمان الحج ويعرفون زمان الصيام وهكذا.

ومن فوائدها الدنيوية أن مسير الشمس ومسير القمر وتنقلهما فى أبراجهما كم فيه من فوائد للناس فى زراعاتهم وفى معاملاتهم، ويترتب عليه وجود الفصول الأربعة، وكم فيها للناس من منفعة ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** (١) **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** (٢) **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** (٣) **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** (٤) **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ أين جواب هذا القسم؟ جوابه محذوف تقديره (لتبعثن ولينالن كل عامل جزاء ما عمل)، فالصالح ينال جزاء صلاحه، والكافر ينال جزاء كفره ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**﴾ ما الراجفة؟ الراجفة الأرض تتحرك حركة شديدة بما عليها فيصدم بعضه بعضا، فتنهدم جبالها وتنفجر أنهارها ويقع بنيانها ﴿**تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ ما الرادفة ؟ الرادفة هى السماء تصطدم كواكبها، وتتشقق أجزاؤها، وتخر على الأرض فلا يبقى نظامها سليماً، والبعض يقول إن الراجفة النفخة الأولى حينما ينفخ إسرافيل فى الصور ترتج الأرض رجة شديدة فيتهدم ما عليها ويصدم بعضها بعضاً فيتهدم، والرادفة إنما هى النفخة الثانية. النفخة الأولى يموت من على الأرض والنفخة الثانية يبعث من فى الأرض، وكم بين النفختين؟ المصطفى ﷺ يقول كما جاء فى الحديث بينهما أربعون سنة، فى هذه الأربعين تمطر السماء مطراً؛ هذا المطر مَثَلُه كمثل النطف التى يخلق منها الإنسان فكما خُلقنا من نطفة فهذا المطر الذى يمكث أربعين سنة تمطره السماء مثَلُه كمثل النطف فى أن بنى آدم ومن فى جوف الأرض من الحيوانات يبعث ويخلق به. النفخة الثانية تكون الأجسام استوت فلا تحتاج إلا إلى نفخ الأرواح فيها فينفخها إسرافيل فى أجسادها، فيقوم الناس ليلقوا حسابهم ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾ مضطربة مرتعدة أجسامها شديدة الحركة والانزعاج ﴿**أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾ ذليلة لمَ؟ لأنها تنتظر الوقوف أمام ربها، لتجد ما أعده لها، وما أصعب الوقوف أمام الله، وما أشده على عباد الله، حتى أن المتقين يخشون هذا اليوم مع صلاح أعمالهم، فكيف بالكافرين

والفجرة مع قبح أعمالهم ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ من القائل هذا القول؟ القائل هذا القول إنما هم كفار مكة، حينما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ أنهم سيبعثون عجبوا وقالوا: ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ما الحافرة؟ الحافرة هى الحياة الأولى أى أنرد إلى الحياة الأولى بعد أن متنا؟ وأكدوا عدم ردِّهم فى اعتقادهم بقولهم ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ يعنى نموت ويأكل التراب لحومنا وتبقى عظامنا، ولطول المدة تنخر، حتى تمر فيها الرياح فيحدث لها صوت، أو تبلى وتتفتت، أنرد إلى الحياة الدنيا كما كنا بعد أن صرنا عظاما متفتتة بالية خالية مما كان فيها حتى إذا هبت عليها الرياح سمع صوت منها لهبوب الريح فيها ودخوله؟!، والحافرة أصلها إذا مشى الإنسان فى مكان أثَّر قدمُه فيه حفراً، فإذا رجع إلى المكان الذى خرج منه أولاً، يقال رجع فلان فى حافرته أى المكان الذى خرج منه وأثَّر قدمُه لمشيه حفراً فى الأرض فسميت الحافرة حافرة لتأثرها بمشى الأقدام فيها، ووجود حفر من المشى عليها، فإذا خرج الإنسان من موضع وعاد إلى نفس هذا الموضع قيل رجع فى حافرته أو على حافرته أى إلى مكانه الأول الذى خرج منه، فهم يقولون ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ أى أءذا متنا وكنا عظاما نخرة نرجع إلى الحياة الدنيا التى كنا فيها من قبل؟ وقولهم هذا إنما هو استهزاء وليسوا بصادقين فيه لأنهم لو صدقوا لآمنوا، إلا أنهم قالوه مستهزئين فحق عليهم عذاب الكافرين ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12] الكرة : الرجعة، لو ثبت أننا نعود بعد موتنا إلى الحياة كما كنا لكانت رجعتنا رجعة خاسرة إذ لم نعمل ما ينفعنا هناك، فإذا رجعنا رجعنا خاسرين، وإنما قالوا هذا القول مستهزئين، استبعدوا أن يرجعوا. الله تعالى رد عليهم استبعادهم وقال لهم: لا تستبعدوا فما تستبعدونه ما أسهله على قدرتنا! ثم بين سهولته فقال ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾. زجرة: صيحة واحدة يصيحها إسرافيل فإذا كل من فى القبور على أرض البعث، ما تَعُدُّونهُ بعيداً وصعباً شديداً ما أسهله على قدرتنا، وما أيسره علينا، لأنه ما هو إلاَّ صيحة واحدة يصيحها إسرافيل فى الصور فإذا هم مبعوثون إلى حساب ربهم من القبور.

فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾

﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ما الساهرة؟ الساهرة: هى الأرض التى يسهر فيها الحيوان والإنسان والمراد بها هنا أرض البعث، يصيح إسرافيل صيحة واحدة فإذا من فى القبور على الأرض ينتظرون حساب الرب.

ثم أراد الله تعالى أن يسلى نبيه ﷺ فذكر له قصة موسى وما لاقاه من قومه، وكأن الله تعالى يقول يا محمد هون الأمر عليك، ويسره على نفسك، واحتمل ما تلقاه من عنتهم ومن تكذيبهم، فإن موسى كان قبلك وقد أرسلته إلى فرعون فلقى منه ما لقى، وكان النصر فى النهاية لموسى فمهما لقيت يا محمد من قومك فإن العاقبة الحسنى لك والنهاية الكريمة حسبك ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ هل بمعنى قد. يا محمد قد جاءك حديث موسى فخذ منه عظة؛ فقد كان قوم موسى الذين أرسل إليهم أشد من قومك، ومع شدتهم وقوتهم نصرت عليهم موسى، فلأنصرنك على قومك كما نصرت موسى على قومه، فاصبر كما صبر موسى والنهاية لك كما كانت النهاية لموسى ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ الوادى المقدس واد بالشام بين أيلة ومصر، وطوى اسم لهذا الوادى أو طوى معناها المقدس مرتين ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ اذهب يا موسى إلى فرعون إنه طغى أى جاوز الحد فى الاستكبار وتعدى على قومه وادعى الألوهية وأن الله حل فيه ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ما ألطف أسلوب الله! وما أبلغ كلام الله! وما أحسن حكمته فى دعوة خلقه ورسله إلى الدعوة إليه! لم يأمر موسى بأن يأمر فوعون أمراً صريحاً فتأخذه العزة بالإثم فلا يستجيب، ولكن أمره بالتلطف معه، وتسهيل الأمر عليه، حتى يكون أدعى إلى

إجابته وتنازله عن عزته، فيستمع إلى دعوة ربه ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ بدل أن يقول اهتد يا فرعون ، لم يقل الله هذا، وإنما قال هل لك إلى أن تزكى يعنى هل ترغب يا فرعون أن تتطهر من كفرك ومن زلاتك وترجع إلى ربك فيبدل سيئاتك حسنات ويغفر لك ما جئت من الزلات ﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ وأدلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فتؤمن به ، وإذا آمنت به عرفته وخشيته وإذا خشيته فعلت ما أمر، وانتهيت عما نهى، فكانت عاقبتك كريمة ونهايتك عند الله عظيمة فكذب فرعون وأبى أن يستمع إلى موسى ولم يهتد بدعايته القولية فجاءه موسى بآية فعليه لعله يرجع إلى ربه ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ ما الآية الكبرى؟ الآية الكبرى كان مع موسى عليه السلام عصا حينما كذب فرعون موسى وأبى أن يستجيب له قال له إن معى دليلا فقال : هات دليلك، فألقى موسى عصاه فإذا هى حية تسعى، حينما انقلبت العصا حية ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ كذب الآية ولم يجعلها من عند الله، وجعلها سحراً لموسى، وعصى فرعون دعوة موسى ولم يستجب لها ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ بعد ظهور الآية، وما معنى أدبر : تولى ورجع وفكر مع قومه فيما يفعله إزاء موسى، أو أدبر : حينما رأى العصا انقلبت حية ولى وفر. ﴿يَسْعَىٰ﴾ فى إبطال أمر موسى ويحاول طريقة يتغلب بها على موسى حتى يبقى له ملكه ويندحر موسى بقوته ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ حشر : جمع جنوده وجمع السحرة من كل جهة وجمع قومه، حينما جمعهم وقف فيهم خطيبا ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ أنا قائدكم الأعلى وحاكمكم الأسمى فأطيعونى ولا تلتفتوا إلى موسى.

وماذا يقصد فرعون بقوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ هل يقصد أنه ربهم وأنه خالقهم، لو كان كذلك لكان مجنونًا وما استحق أن يبعث الله إليه نبياً، وإنما يقصد فرعون ؛ أنا حاكمكم الذى لا حاكم فوقى، وكانت لهم أصنام يعبدونها، ولاشك أن الإنسان مهما كان فهو أقوى من الصنم لأن الصنم لا يسمع ولا يعقل والإنسان يسمع ويعقل فيقصد بقوله أنا ربكم الأعلى أنا حاكمكم الذى لا حاكم لكم فوقى فحق عليكم أن تذعنوا لأمرى وأن تسمعوا قولى ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أخذه فنكل به تنكيل الآخرة والأولى ؛ تنكيل الآخرة أن يعذبه بنار جهنم وتنكيل الأولى أى الدنيا

أن يغرقه ـ أى فأغرقه الله فى الدنيا فى البحر ، وسيحرقه فى الآخرة بالنار ، أو أخذه الله نكال الآخرة والأولى عاقبة الله تعالى على كلمته الأولى وهى قوله ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص: 38] أو على تكذيبه موسى ﴿**فَكَذَّبَ وَعَصَى**﴾ ونكال الآخرة هى قوله أنا ربكم الأعلى وكان بين هاتين الكلمتين كما يقول المؤرخون أربعون سنة ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى** ﴾ إن فى ذلك أى فى قصة فرعون وموسى (لعبرة) لعظة (لمن يخشى) لمن يخاف فإن الخائف يتفكر من مآل الكافرين وما يصير إليه المجرمون فيخشى العاقبة فيؤمن ولا يفعل الأفعال التى تقفه وموقفاً شائنا ، ولَمَ كانت العبرة لمن يخشى؟ لأنه هو الذى ينتفع بها ، أما من لا يخشى فإنه لا ينتفع ولو ملئت الأرض له عبرًا ، ولذا ذكر الله قوله ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى**﴾ المنتفع بالعظة إنما هو المؤمن الذى يخاف ويفكر فى العواقب فيفعل ما تؤمَن عاقبته ، وينتهى عما لا تؤمن عاقبته ، ويقولون إن من عرف الله لا يعصيه ؛ لأن من عرف ما عنده من إنعام ، وما عنده من انتقام لابد وأن يقف عند حده ، ويلاحظ ربه ، ولا يُقْدِمَ على مخالفته فتحسن عاقبته .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ

﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا** ﴾أراد الله تعالى بعد ما ذكر من قصة موسى وفرعون تسلية لرسوله ﷺ أن يقيم على كفار قريش دليلاً على أنه قادر على أن يبعثهم ، ما الدليل؟ أأنتم يا كفار قريش أشد خلقا : أصعب فى الخلق من السماء؟ هم عقلاء ولا يسعهم إلا أن يقولوا السماء أصعب خلقاً منا . من خَلَقَ السماء وأحكمها ، ودحى الأرض وأوجد فيها المرعى والنبات متاعاً للناس وللأنعام؟ أيخلقكم سدى ولا يعاقبكم على ما فعلتم ولا يثيبكم إذا أحسنتم؟ إن الخالق الرازق القادر العالم لابد وأن يكون لعمله غاية ؛ الغاية إنما هى الإحسان للمحسنين والإساءة البالغة للمسيئين ، فتعقلوا حتى تعلموا أنه لابد من البعث . الله خلقكم ، ولا يُعْقَلُ أن تُخْلَقُوا سدى ، وأوجد السماء وهى أشد فى الإيجاد منكم وأصعب ،

وما أهون خلقها عليه، فتعقلوا حتى ترجعوا فتؤمنوا ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ الجواب: السماء. ﴿بَنَاهَا﴾ ما معنى البناء؟ البناء معناه ضم الأشياء المتفرقة بعضها إلى بعض، ووضع ما يمسكها حتى تكون بنية واحدة، وإذا نظرنا إلى السماء وجدنا الأمر كذلك، أى ننظر إلى الكواكب، ضم الله تعالى بعضها إلى بعض وأمسكها بقوة الجاذبية وبالسر الذى أودعه فيها، فكأنها بناء واحد نشهده ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ما السمك؟ السمك ارتفاع الشيء؛ إذا قسنا هذا المرتفع من أعلى إلى أدنى، يقال له عمق وإذا قسناه من أسفل إلى أعلى يقال له سمك. مثلاً هذا السقف إذا كنا فوقه ونظرنا إلى أرض المسجد نقول عمق، وإذا كنا فى أرض المسجد ونظرنا إلى السقف نقول إنه سمك، إذن السمك ارتفاع الشيء ونظره من أدنى إلى أعلى، أما إذا نظرنا من أعلى إلى أدنى يسمى عمقًا، ما مقدار هذا الرفع؟ خمسمائة عام كما جاء فى الحديث وضخامة السماء خمسمائة عام أيضا فسمك السماء خمسمائة عام وارتفاعها من الأرض خمسمائة عام ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ «سواها» جعلها دون شقوق وفطور كما ذكرنا فى سورة «تبارك» أو جعلها منتظمة مؤدية المقصد منها دون خلل ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلم ليلها. أظلمه بم؟ بغياب النجوم والكواكب ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أى السماء، أخرجه بماذا ؟أخرج ضحاها بإظهار الشمس كأن الله تعالى يقول: أظلم الله الليل وأضاء النهار بالشمس، والشمس والليل آيتان من آيات الله فإذا ظهرت الشمس كان النهار وإذا غابت الشمس كان الليل ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بعد أن بنى السماء دحا الأرض: بسطها، وإنما قلت لكم إن دحاها معناها بسطها، حتى لا يقع تعارض بين هذه الآية وبين سورة «فُصِّلَت» فى سورة «فصلت» ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ⑪ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: 12,11] فإن ظاهر هذه السورة أن السماء وجدت بعد الأرض، وظاهر هذه الآية أن الأرض وجدت بعد السماء، فنقول إن دحاها معناها بسطها يعنى كانت الأرض مخلوقة غير مدحوة فدحاها بعد السماء ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ فجر الأرض عيونا ؛ أخرج منها العيون وأخرج الأنهار ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أرسى الجبال

فى الأرض أوتادا لها . لمَ كل هذا؟ ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ما أعظم فضلك فشكراً لك يارب العالمين ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ من أخرج الماء وأجرى العيون وفجرالأنهار وأرسى الجبال، والسر فى كل هذا لنتمتع بما نأكل من ثمار وحبوب، ولتتمتع أنعامنا بما تأكل من حشائش وتبن .

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ ما الطامة الكبرى؟ هى يوم القيامة، وهى النفخة الثانية التى ينفخها إسرافيل ليقوم الناس لرب العالمين ولمَ سميت طامة؟ لأن الطامة معناها البلية التى تغطى على سواها وتطم عليه فلا يظهر أثره بجانبها، فلما كان يوم القيامة أعظم البليات سمى الطامة الكبرى التى لا تَعْد لُهَا طامة والبلية العظمى التى دونها كل بلوى ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ كم عملنا وغفلنا ونسينا، إذا جاء يوم القيامة سلم كل إنسان كتابه فعلم ما عمله، وقد كان أحصاه الله ونسيناه، ويوم القيامة يسلمنا إياه، فنسأل الله أن يجعل كتابنا بيميننا، ويقينا شر هذا اليوم بفضله إنه الغفور الرحيم .

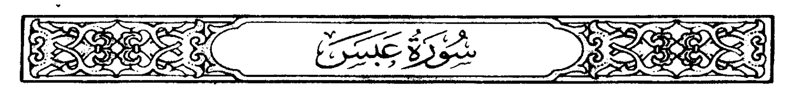
﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ وجاءت جهنم وظهرت لكل مشاهد . إذا جاءت الطامة الكبرى، وتذكر الإنسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى اختلف حال الناس وتباين ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ تكبر على مولاه وأبى أن يذعن لأوامره واستحل معصيته ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وآثر الدنيا على الآخرة ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ وبئس المأوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ عظمة ربه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ونهى نفسه عن هواها الذى نهاه الله عنه وابتعد واتبع أوامر ربه وانتهى عما نهاه عنه ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ونعم المأوى دار رحمة الله .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿ **يسألونكَ عنِ السَّاعةِ أيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ يسألك كفار قريش يا محمد عن يوم القيامة متى يقع ﴿**فيمَ أنتَ من ذِكْرَاهَا**﴾ وحينما أكثروا من سؤالك ملأت قلبك وتمنيت أن تعلم وأنا أعلمك يا محمد وظيفتك. وظيفتك أنك منذر هذا اليوم لا محدِّدَ وقته. تحديد وقته إليَّ وأنا العالم به وما أنت إلا منذر قومك ذلك اليوم العظيم وحسبك إنذارهم وحسبهم الإنذار حتى يتقوه ويخافوه أما تعيين وقته فهو إليّ وأنت لا تعلمه فلا تشغل نفسك بما لا تعلم وقف عند أمر من يعلم ﴿**فيمَ أنتَ من ذِكْرَاهَا**﴾ ما أكرم تأديب الله لنبيه وما ألطف أسلوبه معه ـ بدل أن يقول له أنت لا تعلمه قال له فيم أنت من ذكراها، لست تعلمها وأنت أعقل عاقل فلا تتعرض لما لا تعلم أيْ أنت لا تعلمها فَلِمَ تشغل نفسك بها؟ وأنت الحصيف الرزين العاقل الذى لا يشغل نفسه بما لا يجديه ولا ينفعه ولا يتكلف الكلام فيما لا يعلمه، فبدل أن يقول أنت تجهل وقتها قال ﴿ **فيمَ أنتَ من ذِكْرَاهَا** ﴾ كما يقول فيم أنت من الفقه معناها أنت لا تعلم الفقه، فيم أنت من الهندسة معناها أنت لا تعلم الهندسة ﴿ **إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾ علم وقت الساعة إلى ربك ولا يعلمه سواه ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴾ وظيفتك إنذارهم إياها لا تعليمهم وقتها فعلم وقتها إليَّ وما أرسلتك إلا منذراً فلا تتكلف ما ليس من علمك وما ليس من شأنك ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا**﴾ كأن كفار قريش يوم يرون الساعة ﴿ **لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾ نسوا طول مدتهم على الدنيا وبقاءهم فيها وشغلوا بها فكأنهم لم يلبثوا فى حياتهم إلا جزءاً من النهار أو جزءاً من الليل. إلا عشية أو ضحى عشية والعشية معناها من الزوال إلى الغروب والضحى معناه من الفجر إلى الزوال فكأنهم حينما يرون الساعة لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها أو كما يقول الله تعالى : ﴿ **لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ**﴾ [يونس: 45] أسأل الله تعالى أن يهدينا سبيله وأن يوفقنا لمرضاته وأن يحول بيننا وبين معصيته وأن يوفقنا إلى فهم كتابه وأن يجعلنا عاملين مطيعين له ولرسوله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



ما تشير إليه السورة:

هذه السورة تسمى سورة عبس أو سورة السفرة أو سورة الأعمى وهى مكية آياتها اثنتان واربعون ، فى بدايتها وصية بالمساواة بين الناس ثم بيان نعمة الله تعالى على الإنسان وما له من الإنعام ، وتختم آياتها بأهوال يوم القيامة وحال كل من المؤمنين والكفار .

أسباب النزول:

هذه السورة أنزلها الله تعالى عتاباً للنبى ﷺ ، وذلك أن النبى ﷺ جاءه وفد من كبار قريش وهو بمكة ، فعرض عليهم الإسلام وأخذ يبين لهم فضائله ، وإذا بعبد الله بن أم مكتوم ـ وكان أعمى ـ أقبل إلى النبى ﷺ وقال له : علمنى مما علمك الله ، وأخذ يكرر هذه الجملة والنبى ﷺ يخاطب صناديد قريش ويدعوهم إلى الإسلام ، فكره من ابن أم مكتوم أن يقاطعه عما هو مشغول به من دعوة كبار قريش إلى الإسلام ، وكان الرسول ﷺ يؤمل إذا آمن به هؤلاء القوم وهم كبار قريش ومعهم أتباعهم من قريش ومن القبائل الأخرى أن يدخل الناس فى دين الله أفواجاً فكره من ابن أم مكتوم مقاطعته إياه وأعرض عنه فأنزل الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾

الشرح:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عبس : كلح وجهه ، وتولى : أعرض عن ابن أم مكتوم

﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾ والسبب فى هذا العبوس إنما هو مجيء الأعمى وهو ابن أم مكتوم إليه وقطعه حديثه مع هؤلاء القوم. الله تعالى حباً فى نبيه ﷺ وتبييناً لمكانته الكريمة لم يقل له عبست وتوليت وإنما قال ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ بصيغة الغائب، علماً منه أن مواجهة النبى ﷺ بالعتاب تشق على قلبه وتؤلمه ألماً زائداً فحول الخطاب إلى الغائب حتى كأن المقصود سوى النبى ﷺ . وهل النبى ﷺ يستحق هذا العتاب من الله تعالى؟ وهل جنى زلة استحق عليها المعاتبة؟ الجواب: النبى ﷺ اجتهد وذلك لأن ابن أم مكتوم مسلم وهؤلاء القوم أقبلوا إلى النبى ﷺ وعرض عليهم الإسلام ورجا إيمانهم وبإيمانهم يؤمن الكثير من أهل مكة ومن القبائل الأخرى، فالنبى ﷺ اجتهد وترك ابن أم مكتوم لأنه أسلم وعنده ما ينجو به وهو الإسلام، وهؤلاء القوم لا يزالون على كفرهم ويطمع إذا آمنوا أن يؤمن الكثير تبعاً لهم، فالمصطفى ﷺ اجتهد وبين له اجتهاده أن يعرض عن ابن أم مكتوم ويقبل على هؤلاء القوم لأن مصلحة الدين فى إقباله عليهم رجاء أن يؤمنوا به فيدخل الناس فى دين الله، وترك ابن أم مكتوم وأعرض عنه لأنه أسلم وعنده أساس النجاة. والمصطفى ﷺ يقول: «**إنى لأعطى الرجل وأدع الرجل من العطاء وهو أحب إلىّ**» يعطى الرجل لأنه يبغى تألفه وتثبيت الإيمان فى قلبه، ويدع الرجل من العطاء وهو أحب إليه ممن أعطاه لأنه مؤمن ويكتفى بإيمانه عن عطائه.

إذا كان الأمر كذلك وأن النبى ﷺ لم تحصل منه زلة تدعو إلى العتاب لمَ عاتبه الله؟ الجواب: أن الله تعالى نظر إلى قلوب الفقراء المنكسرة قلوبهم من أجله، وأنه تعالى لا يبالى بالأغنياء إذا كانوا على شيء من الكبر والعتو، فخشية أن يفهم الفقراء إعراض النبى ﷺ عنهم عاتبه الله تعالى جبراً لقلوبهم، وإلا فالنبى ﷺ ما حصلت منه زلة تستوجب عتابه، وإنما أداه اجتهاده إلى ما حصل منه، والمجتهد على كُلٍّ مثاب ﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾ ولمَ ذكر ابن أم مكتوم بصيغة الأعمى؟ إنما ذكره ليبين عذره فى مقاطعة النبى ﷺ، ولأنه لو كان بصيراً مشاهداً للقوم الذين أمامه يخاطبهم داعياً إياهم إلى الإسلام لما قاطعه ـ فعماه عذره ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ وما يدريك يا محمد وأى شيء يعلمك لعل هذا الأعمى الذى أتى إليك يطلب المزيد من العلم الدينى ومن القرآن عله يتزكى ويتطهر ويعمل بما يسمعه منك فيقوى دينه

ويزداد يقينه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أو يذكر بعظتك فتنفعه تلك العظة إذ تحمله على زيادة الإقبال على ربه والعمل بشرعه . ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾ أما من استغنى وهم هؤلاء الكفرة الصناديد الذين أتوا إليك وتصديت لهم ـ استغنى بم؟ استغنى بجاهه وبماله عن العلم وعن القرآن وعن الإسلام، أما من استغنى بماله وجاهه وقوته عن دين ربك وعن تعليمك إياه وعن القرآن الذى أوحى إليك فأنت له تصدى ؛ ـ تتعرض وتدعوه إلى الدين طامعاً فى إسلامه وراغباً فيه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ﴾ وظيفتك يا محمد إنما هى البلاغ والهدى هدى الله، وأنت قد بلغت ما أوحاه ربك، فلا تؤلم نفسك ولا تكثر دعوة هؤلاء فإنهم لا يؤمنون بك عناداً وإلا فالحق بيّن ولا يحتاج إلا إلى مجرد تذكير، ومتى ذكّرت فقد أديت ما عليك ولم يبق إلا عنادهم، وهو الحامل على عدم إيمانهم، والمعاند الذى تقوم عليه الحجة لا تلتفت إليه ولا تبال به فإنه لا يستحق نظرك ولا مراعاتك ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ﴾ يعنى لا إثم ولا ملام عليك فى ألا يتطهر من دنس كفره بعد أن بينت له حقائق الإيمان.

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يسرع وهو ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله ويخشى الطريق وما فيها من متاعب لأنه أعمى ويخشى أن يؤذيه الكفرة إذا رأوه آتيا إليك ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتلهى : تتشاغل بدعوة هؤلاء الصناديد إلى دينك وتتغافل عنه وتعرض.

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ إنها آيات القرآن، أو هذه المعاتبة أو تلك السورة تذكرة ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ عظة لمن شاء ذكر الله . لمَ؟ لأن الله تعالى تعلمه الطباع وتدركه الفطرْ ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30] فكل إنسان يدرك الله ولا يحتاج إلا إلى مجرد تنبيه، ومتى نبهته فقد دللته على الله بتنبيهك، فمن آمن فتحمله على الإيمان فطرته ومن أبى الإيمان ففطرته داعية إلى الإيمان إلا أن عناده أبى عليه أن يؤمن . ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ معظمه محترمة ﴿مَّرْفُوعَةٍ ﴾ لأنها فى السماء

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ من أن يلم بها نقص أو تحريف ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ما السفرة؟ السفرة هم الملائكة والسفرة أيضا الأنبياء وما السفير؟ معناه الذى يسعى بين الناس بالصلح، ولا شك أن الأنبياء يوحى الله إليهم الملائكة ليبلغوا الناس رسالات ربهم فيصلحوهم عليه، والملائكة أيضاً سفرة لأنهم يأتون بالكتب وبالوحى فيبلغونه إلى الأنبياء، فالملائكة يطلق عليهم أنهم سفرة كذلك الأنبياء يطلق عليهم أنهم سفرة ﴿كِرَامٍ﴾ لأنهم ملائكة ولأنهم أنبياء ولا شك أن الأنبياء والملائكة كلاهما كريم على ربه محترم عنده ﴿بَرَرَةٍ﴾ جمع بار، والبار هو الذى يسعى فى مصالح الناس ويبرهم ويسعى فيما ينفعهم.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)﴾

﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ المراد بالإنسان الكافر ﴿قُتِلَ﴾ أشنع دعوة يدعى بها على الإنسان كأنه لا يستحق الحياة، ويدعى عليه بأن يقتل ولمَ؟ لأنه ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أعظم كفره بربه. الآيات شاهدة بوحدانية الله والأدلة قائمَة على وجوده ومع هذه الأدلة القائمة على وجود الله وعلى وحدانيته فالإنسان يعمى عنها ولا يباليها فيستحق أن يعدم ولا يكون له وجود فى الحياة ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أعظم كفره أو ما السبب الذى حمله على الكفر مع قيام الأدلة على الإيمان ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أراد الله تعالى أن يقيم على الإنسان الحجة بأنه خلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم قدره على هيئة يمكنه معها أن يسعى فى مصالحه وما ينفعه ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ما السبيل؟ اختلف العلماء فى بيان معناه فبعضهم يقول إن المراد بالسبيل هنا أن الله تعالى حينما يتم حمل الجنين فى بطن أمه يهديه إلى أن يخرج منها. والعلماء يقولون إن الجنين وهو فى بطن أمه تكون رأسه إلى أعلى وقدماه إلى أسفل فحينما يأتى إبان ولادته يتحول وضعه حتى يخرج برأسه - هذا هو السبيل ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يسر له سبيل خروجه من بطن أمه بأن حول رأسه إلى أسفل ليخرج بعد أن كان وهو فى بطنها إلى أعلى، ويمكن أن يقال إن السبيل المراد به أن الله تعالى هداه إلى طريق الخير والشر فهذه الآية كقوله تعالى: ﴿**إنا هديناه السبيل إما**

شاكراً وإما كفورا﴾ وكقوله تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ ويمكن أن نقول إن المراد بالسبيل أن الله تعالى نصب له الدلائل الدالة على وحدانيته، فحق عليه أن يؤمن به، فمعنى يسر له السبيل : يسر له طريق الإيمان وهداه إليه، إلا أن مَنْ طبع الله على قلبه ـ مهما كانت أمامه أبواب الهداية ـ فلا يهتدى ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أماته بعد أن يأخذ حظه من الحياة ﴿فأَقْبَرَهُ﴾ فأمر بدفنه، ولم يجعله كالوحوش والحيوانات فإنها إذا ماتت تركت فى الطرقات، ولكن من فضله عليه أنه إذا مات أمر أن يدفن تكرمة له، فإنه لو بقى دون دفن لتعفن، ولفر منه أحب الناس إليه، فمن تكرمته له أن وفق الله عباده أن يدفنوا أمواتهم، وأن أمرهم بدفنهم ولَمْ يجعلهم كالوثنيين الذين يحرقون أمواتهم، وهذا من الشناعة فيه ما فيه ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ ثم فى الوقت الذى يبعث الله فيه عباده لمجازاتهم على أعمالهم يخرجهم من قبورهم ليلقوا جزاءهم ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ حقاً إن الإنسان مهما بالغ فى طاعة مولاه وعمل بما أمره به وانتهى عما نهى عنه، فلا يمكنه أن يؤدى حق طاعة ربه لأنه لابد له من تقصير، فمهما حاول لا يؤدى حق ربه عليه، ولا يلتزم أمره كما ألزمه.

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِه﴾ هذا دليل على البعث، حاصل هذا الديل فلتنظر يا أيها الإنسان إلى طعامك وكيف دبره الله لك وهيأه ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أنزلناه من السحب بكثرة ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴾ بعد أن لانت بالماء وحرثت بالمحراث تشققت الأرض حتى تدخل فيها الشمس والهواء فيعملان عملهما فى إنبات النبات ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أى فى الأرض، حباً : كالشعير والفول والعدس والذره والقمح، كل هذه حبوب تحصد مزروعاتها ثم تدرس فيخرج منها هذه الحبوب وهى طعام للإنسان ﴿وَعِنَبًا﴾ فاكهة وغذاءً ﴿وَقَضْبًا﴾خُضَراً تقطع مرة بعد مرة أو تقضب بالسكين وبالفم مرات كالخيار والقثاء هذا هو القضب ﴿ وَزَيْتُونًا﴾ وكم فيه من فوائد

﴿وَنَخْلاً﴾ ما ينتج البلح ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ الحدائق جمع حديقة والحديقة ما فيها الأشجار الغليظة الملتفة الكثيرة المحاطة بحائط . إذا لم تحط الحديقة بحائط لا تسمى حديقة ولكنها تسمى بستاناً و ﴿غُلْبًا﴾ضخمة وضخامة الحدائق إنما هي بكثرة أشجارها وضخامتها ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ الفاكهة معروفة وهي ثمار الأشجار التي يتفكه بها «والأب» ما تأكله الماشية من الحشائش وقيل إنه التبن ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ أوجد الله تعالى هذه الأشجار لأجل أن تتمتعوا بها ولأجل أن تتمتع بها أنعامكم . وما الأنعام؟ الأنعام هي الحيوانات التي يستعملها الإنسان كالإبل والبقر والغنم .

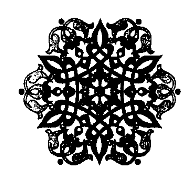
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ الصاخة هي الصوت الذي يصخ الآذان ويصمها ، وما الصاخة؟ إنما هي القيامة وهي الطامة الكبرى التي ذكرت في سورة النازعات ومن أي شيء تكون الصاخة؟ الجبال وأجرام السموات يقع بعضها على بعض فيحدث من وقوع بعضها على بعض صوت عظيم يصم الآذان هذا هو الصاخة ، حينما تأتي الصاخة ما الذي يحدث؟ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ابن أمه وأبيه ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ حينما تأتي الصاخة يفر المرء من أخيه ويفر أيضاً من أمه وأبيه ويفر أيضاً من صاحبته وهي زوجته ويفر المرء أيضاً من بنيه .

ولمَ هذا الفرار؟ الله تعالى يقول : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يعلم المرء أنه إذا التجأ إلى أحد لا ينفعه ، وإذا التجأ إليه أحد لا ينفعه ، وما هو فيه من البلاء يشغله عن أن يتطلب من أحد شيئاً أو يستمع إلى أحد يطلب منه شيئاً . فكُلٌ لعظم هذا اليوم ولزيادة هوله يُشْغل بنفسه ولا يجد شغلاً لأحد حتى الأنبياء كل منهم يقول نفسي نفسي ، وإذا كان هذا حال الأنبياء مع أمانتهم وعصمتهم فكيف حال العامة مع تلوثهم وسوء حالهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾مشرقة منيرة ﴿ضَاحِكَةٌ

﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة بنجاتها ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار من الذل ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ سواد من شدة اليوم ومن الذنوب التى ارتكبتها ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الكفرة بربهم الفجرة الذين خرجوا عن حدوده ولم يؤدوا تعاليمه . والله هو المسئول أن يوفقنا لإقامة حدود الدين وللإتيان بتعاليمه كما ينبغى ، وأن يهبنا فتحاً واسعاً وفضلاً عميماً ، وأن يقينا سوء الدنيا والآخرة ويجعلنا من الهداة إليه الدعاة إلى حضرته ، وما ذلك على فضله بعزيز .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





الجزء الثلاثون　　　　سورة التكوير

سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾



ما تشير إليه السورة:

هذه السورة مكية وآياتها تسع وعشرون وذكر الله فى أولها اثنتى عشرة علامة من علامات الساعة ثم تُبين مكانة المصطفى ﷺ وصفاته الكريمة وحرصه على تبليغ الدعوة وتختم آياتها الكريمة بتهديد الكافرين وحثهم على إتباع الحق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ

الشرح:

﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ كورت ـ لُفَّت كما تلف العمامة وألقيت وذهب ضوءها ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ سقطت ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ من أمكنتها وقد ترتفع فوق الرءوس كما يقول الله تعالى ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ [النمل: 88] وما الذى جعل الجبال تسير؟ الذى جعلها تسير إنما هو سقوط كواكب السماء على الأرض وتكور الشمس فيكون انفجار وارتجاج الأرض وإخراج ما فيها من الأثقال وإذ ذاك تتصدع جبالها وتتشقق أنهارها وتسير الجبال كما يسير السحاب، كما يقول الله تعالى ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ ، ﴿**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ﴾ العشار : النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر وهى أعز أموال العرب وأكرمها عندهم ، وعظم هول يوم القيامة يَأخذُ بأفكارهم ويستولى عليهم ويحملهم على أن يتركوا أعز أموالهم ولا يلتفتوا إليها ﴿**وَإِذَا**

الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ حشر الوحوش معناه أنها تخرج من مغاراتها ومن أمكنتها التى هى فيها وتنسى أنها وحشية، ولا تخشى الناس، وتخالطهم وتجتمع بهم، ولما نالها من الفزع فلا تخاف منهم لأن الفزع ملأ قلبها وحملها على نسيان طبيعتها فلا تخشى الإنسان وتحايله عليها لأن الأمر أشد من أن يحملها على ملاحظة مصلحتها، ويمكن أن نقول إن حشر الوحوش معناه إماتتها لأن اللغة العربية تقول حَشَرَت السَّنَةُ الناسَ إذا كانت سنة بائسة ضاقت مطاعمهم ومشاربهم حتى أماتتهم فحشر الوحوش إماتتها ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ سجرت - ملئت بالماء أو أوقدت ناراً وما معنى كون البحار سجرت؟ وما السبب فى تسجيرها؟ حينما تتشقق الأرض وتتصدع الجبال وتنكدر النجوم وتتكور الشمس البحار ينفجر بعضها إلى بعض وتصبح بحراً واحداً .

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ويمكن أن نقول إن تسجير البحار إنما هو إيقادها بالنار وذلك أن الأمواه التى فيها تتبخر بالحرارة الناشئة وبعد تبخر ما فيها من الماء تمتلئ ناراً. وهل فى الأرض نار؟ الجواب جاء فى بعض الأحاديث أن البحر غطاء النار فإذا تبخرت مياه البحر بشدائد الساعة وأهوالها تظهر النار التى فى الأرض ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾تزويج النفوس معناه أن ترجع الأرواح إلى أجسامها، إذن الأرواح باقية، والأجسام بعد أن يعيدها الله تعالى ويجعلها صالحة لدخول أرواحها فيها تزوج الأجسام بالأرواح وتزوج النفوس بالجسوم، وهذا هو معنى قوله ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ويمكن أن نقول إن المعنى بتزويج النفوس قرن كل شيء إلى شكله فالصالح يقرن بالصالح والطالح يقرن بالطالح وهكذا كل صنف ينضم إلى صنفه، فهذا هو معنى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بعد أن تزوج النفوس بأجسامها قامت القيامة ولم يبق إلا أن يسأل كل إنسان عن عمله ـ فتسأل الموءودة هذا السؤال ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ما الموءودة؟ هى البنت الصغيرة يقتلها أهلها وذلك أن العرب كانت تكره البنات، فإذا ولد للرجل العربى بنت- إذا أراد إبقاءها تركها فى بيته مهانة حتى إذا صلحت أن ترعى الماشية أرسلها وراء إبله ترعاها، أما إذا أراد أن يئدها فإنه يبقيها حتى إذا بلغت السنة

السادسة قال لأمها إنى أريد أن أزور بعض أهلى فطيبيها وزينيها، فتطيبها أمها وتزينها وتخرج البنت خلف أبيها، وكان أبوها حفر لها بئراً فى الصحراء، فإذا بلغ هذه البئر قال لابنته انظرى، فتنظر البنت فيزيحها فى البئر، ثم يهيل عليها التراب حتى تسوى بالبئر بالأرض، ولم كان العرب يسلك بعضهم هذا المسلك؟ خشية العار أو خشية الفقر، كانوا يخشون أن ترتكب بناتهم ما يفضحهم فيئدونها صغيرة حتى لا تكبر وتتسبب فى الفضيحة، أو كانوا يخشون الفقر فخشيتهم الفقر كانت تحملهم على أن يئدوا بناتهم أى يقتلونهن ويدفنونهن فى التراب صغيرات ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وهل البنت الصغيرة تصلح لأن تسأل حتى يسألها الله تعالى أو يسألها ملائكته هذا السؤال؟ الجواب إنما يسْأل البنت حتى تجيب بأنها قُتلت بلا ذنب فيفتضح قاتلها.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ كل واحد منَّا له ملكان يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا مات طويت صحيفته، فإذا بعث نُشرت تلك الصحيفة وأعطيت له، وهل الصحيفة من ورق أو من ألواح كالتى نكتب فيها؟ الجواب علم الواقع عند الله، وإنما علينا أن نعتقد أن الإنسان يكتب الله عليه ما عمل، ثم يعرض عليه يوم القيامة، وفى أى شيء يكتبه؟ علمه عند الله ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ يقال كشَطَ الجلدَ عن الذبيحة إذا نزعه منها بقوة، فمعنى كشط السماء إزالتها ووضعها عن مكانها وعدم صلاحيتها لما كان مراداً منها ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ الجحيم هى النار التى أعدها الله للكافرين وتسعيرها إيقادها، وبم توقد؟ الله تعالى يقول ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: 24] وهل توقد بفحم أو بخشب أو بأنواع أخرى من مواد الإحراق؟ لم يكلفنا الله أن نبحث عن هذا وإذا لقيناه ونحن لا نعلم إلا أنها تسعر دون أن نعلم المادة التى تسعرها لقيناه ولا إثم علينا وإذا حددنا شيئاً قد يكون غير الواقع فنسأل عن هذا التحديد. وسُئل بعض العلماء ما الذى يسعر النار فقال غضب الله تعالى وعصيان العاصين ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قربت من المتقين ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ إذا بعثت النفوس وسلمت الصحف إلى أربابها، حينما تقرأ النفوس الصحف تعلم حقيقة حالها، فمن كان من أهل السعادة أدرك من صحيفته أنه من أهلها، ومن كان من

أهل الشقاء أدرك بما كتب فى صحيفته أنه من أهل الشقاء ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ أى ما عملت من خير تنال به رضوان الله ومن شر تنال به عذاب الله .

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ فلا أقسم بالخنس كلمة لا أقسم معناها أن ما أريد أن أقسم عليه أمر معلوم لا يستحق القسم لأن القسم إنما يؤتى به ليؤكد الأمر المراد تأكيده بالقسم وهذا الأمر واضح فلا يحتاج إلى قسم ولهذا قال لا أقسم . إلا أن هذه الصيغة أجرتها العرب مجرى اليمين فإذا قالوا لا أقسم فمعناه أقسم وبعضهم يقول إن «لا» زائدة وبعض الناس يقول لا تقولوا فى القرآن زائداً فإن الزائد قد يفهم البعض أنه لا معنى له وكل حرف فى القرآن لابد من أن يكون له معنى . إذن قولوا صلة ومعنى صلة أنه جيء بها للتأكيد . والخنس جمع خانسة من خنس إذا رجع وما المراد بالخنس؟ المراد بالخنس كما يقول بعض العلماء كل النجوم لأنها بعد أن تطلع تغيب وترجع إلى الغياب بعد الطلوع فالخنس جمع خانسة ومعناها الراجعة فكأن الخنس الكواكب التى حينما تطلع تكر راجعة إلى برجها ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ الجوارى جمع جارية والكنس جمع كانسة وكانسة معناها غائبة فكأن الكواكب تجرى فى بروجها كما تجرى الشمس والقمر ، إلا أنه حينما تطلع الشمس تغيب الكواكب فى بروجها لأن ضوء الشمس يغلب ضوءها فتغيب لأن الشمس غطت عليها . وهذه الكواكب هى زحل والمريخ وعطارد والمشترى وزهرة –

هذه الكواكب الخمسة هى المرادة بقوله تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ ولَمَ أقسم الله تعالى بالخنس الجوارى الكنس؟ لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ولأن بعض الناس ألّهتها ونسبت إليها أفعالاً عجيبة من شئون العالم فأقسم الله تعالى بها ليبين أنها من آياته العظيمة وفى الوقت نفسه وصفها بصفات تغاير الصفات الإلهية لأنها تطلع وتغيب والله تعالى ليس من صفاته هذه الصفات ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ عسعس : أدبر، «وبعض العلماء يقول أقبل بظلامه» وإدباره وعسعسته إنما يكون وقت السحر فهو وقت عظيم فاستحق أن يقسم الله به ليبين قيمته لعباده حتى يعلموا تجلى الله تعالى فى هذا الوقت فيكرموا أنفسهم بوقوفهم أمام ربهم واعتذارهم عن معصيته ومحاولتهم استرضاءه بكثير طاعته ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ إذا أقبل بضيائه فتنفس الصبح كناية عن امتداد ضيائه، ما المقسم عليه؟ المقسم عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إنه أى القرآن أو البعث الذى تقدم ذكره بقوله ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ . وما المراد بالرسول الكريم؟ المراد به إنما هو جبريل عليه السلام وهل القرآن قول جبريل؟ القرآن ما هو إلا قول الله تعالى، ولكن الله تعالى بلّغه جبريل وجبريل بلّغه للرسول ﷺ فلأن جبريل بلغ الرسول كلام رب العالمين نسب القرآن إلى جبريل لأنه مبلغه إلى الرسول ﷺ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ كريم على الله وكريم على ملائكة الله وكريم على رسول الله وكريم على كل من يؤمن بملائكة الله.

﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ لا يضعف عما يكلف. الله تعالى يقول ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: 5] يقصد جبريل ﴿عِندَ ذِى الْعَرْشِ﴾ وهو الله جل شأنه ﴿مَكِينٍ﴾ ذو مكانة عالية ومنزلة عظيمة ﴿مُطَاعٍ﴾ فى ملكوت الله وعند ملائكته - فجبريل له الرئاسة على ملائكة السماء فكلهم يطيعونه ويخشونه ﴿ثَمَّ﴾ هناك أى فى الملأ الأعلى ﴿أَمِينٍ﴾ على وحى الله إذ كلفه الله تعالى بتبليغ وحيه إلى رسله ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ من صاحبهم؟ هو المصطفى ﷺ فكأن الله تعالى يرد على قريش ويقول لهم تعقلوا وتنبهوا إلى دعواكم التى تنسبون الرسول إليها وهى الجنون، ولاحظوا أن الرسول نشأ بينكم، وما جربتم عليه هذيان المجانين، ولا عملُه أعمالهم، ولا أخلاقه أخلاقهم، وما جربتم عليه إلا الكمال وحسن النظر ودقة التفكير، فبعد أن

يرسله الله إليكم لهدايتكم ولإنقاذكم مما أنتم فيه من ضلال تصفونه بالجنون، وأنتم تعلمون أنه أعقلُكم بل أعقلُ من رأى العالم.

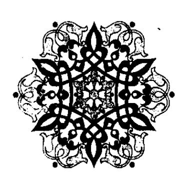
بعض العلماء حينما رأى الله تعالى وَصَفَ جبريل بعدة صفات، ووصف المصطفى ﷺ بنفى الجنون عنه، قدم جبريل فى الأفضلية على رسول الله ﷺ ، وهذا البعض خانه الفهم، لأن الله تعالى إذا أرسل الملك الموصوف بهذه الصفات الكريمات إلى رسوله ﷺ فلابد من أن يكون الرسول ﷺ أعظم من المرسل إليه لأن الرسول إذا كان عظيماً بُعثَ إليه بعظيم، فالصفات التى وصف بها جبريل من أنه مكين ومطاع وذو قوة تُزيد مجد الرسول مكانة لأنه لولا زائد مكانته عند ربه وعظم قدره ما أرسل إليه رسولاً موصوفاً بتلك الصفات الكريمة العظيمة.

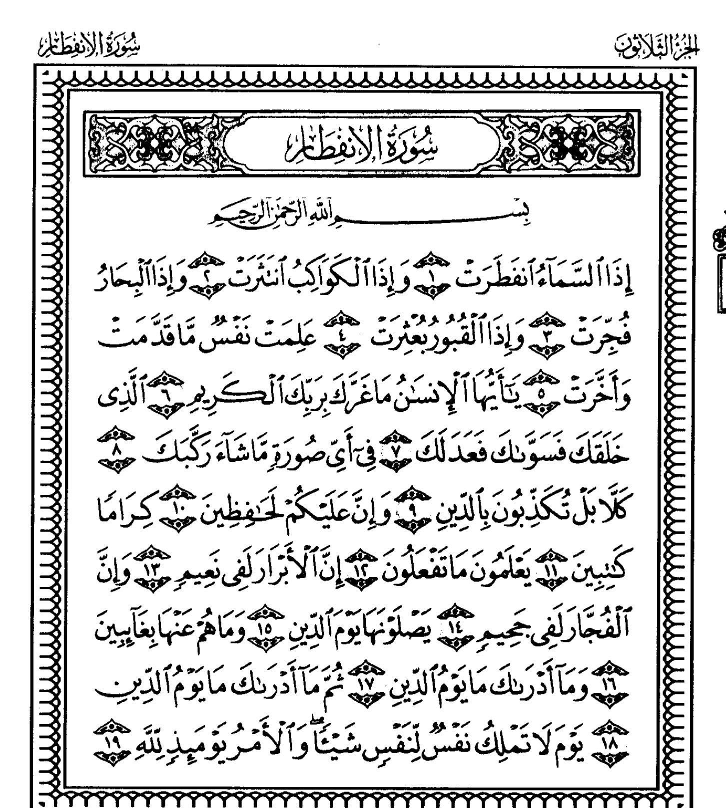
﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾ ولقد رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ ﴿**بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ بالمظهر الواضح المبين الذى لا يخفى، وهل رآه فى السماء عند سدرة المنتهى؟ أو رآه فى الجو ما بين السماء والأرض؟ المهم أن تعتقد أنه رآه على صورته الأصلية له ستمائة جناح يملأ الأفق. وما فائدة هذه الرؤية؟ فائدتها أنه يتلقى عن الوحى بمشاهدة وفى هذا من القوة ما فيه على الموحَى إليه به، وعند استدلاله على قومه بأنه رأى من جاءه بهذا الوحى الكريم ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ وما الرسول ﷺ على الغيب وهو الوحى الذى يوحيه الله إليه بضنين: ببخيل عليكم فيحتجز بعضه عنده وإنما يبلغكم كل ما أمره الله بتبليغه إياكم، وليس شأنه شأن الكهان لا يبلغونكم الخفى عليكم إلا بعد أن تعطوهم أجْرَ ما يُبلِّغونكم، أما الرسول فهو مرسل من ربه ولا يبغى منكم أجراً على ما كلفه الله أن يبلغه، فهو كريم بأن يُعْلمكم ما أمر الله أن يبلغه إياكم.

وفى قراءة ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ**﴾ أى بمتهم عندهم يعنى أن الرسول صادق والصادق لا يتهم فيما يبلِّغ وقد علمتم صدقه منذ كان طفلاً وكهلاً بينكم فكيف تتهمونه وقد أرسله الله إليكم وبَلَغ مبلغ الكمال فى السن ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ**﴾ القرآن الذى جاء به إليكم رسولنا محمد ﷺ ليس بقول شيطان رجيم وإنما هو قول رسول كريم بلَّغه له عن رب العالمين ﴿**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**﴾ هذا تهديد من

الله تعالى لهم. الحق بان لكم وقامت الحجة عليكم، فحق عليكم أن تسلكوا طريق القرآن، وأن تتبعوا ما أوحاه الله إلى النبى ﷺ، ولا يليق بكم إذا كنتم عاقلين أن تعدلوا عن هذا المسلك الكريم، فإنه الحق وقد تبين، والعاقل إذا تبين له الحق لا يسعه إلا أن يسلكه ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾ ما القرآن إلا ذكر أى تذكرة للعالمين، ولِمَ كان القرآن تذكرة؟ لأن الله طبع ابن آدم على اتباع الحق وعلى سلوك طريقه. وإنما فساد المجتمع وضياع الأخلاق وظهور الفسق وانتشاره هو الذى يؤثر فى الناس ويحملهم على غيبة الحق عن قلوبهم، وإلا فالحق لا يحتاج إلا إلى تذكرة ومجرد عظة، ومتى جاءت التذكرة ومجرد العظة تنبه القلب إلى الحق الذى طبعه الله عليه، ولا يسعه إذ ذاك إلا أن يسلك مسلكه ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ هو يصلح لأن يكون ذكراً للعالمين ولكن من الذى ينتفع بهذا الذكر؟ من شاء الاستقامة ولذا يقول الله تعالى ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**﴾ إذا أردتم اتباع الحق فالحق بيِّن واضح وما عليكم إلا أن تشاءوا الاستقامة فتحملكم إشاءتها على أن تتبعوا الحق الذى فطركم الله عليه ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ [الروم: 30] إذا شئتم الاستقامة وعزمتم عليها حملتكم إشاءتها على أن تسلكوا طريق الحق. حينما سمع الكفار هذه الآية قالوا وكَّل الله الأمر إلى مشيئتنا فأنزل الله الآية التالية ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أنتم إذا شئتم الحق فمشيئتكم الحق وتصميمكم على اتباعه كافية فى أن الله يهديكم إلى الحق ويشاؤه لكم. إذا شئتم الحق حاولتم اتباعه وصممتم وعزمتم فإنَّ الله تعالى يشاء لكم أن تتبعوا الحق، ومتى شاء الله لكم أن تتبعوا الحق وفقتم إلى مشئة الحق واختياره. والله أسأل أن يوفقنا لطاعته ويحملنا على الجادة ويقيّنا شر معاصيه وما ذلك على فضله بعزيز

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الجزء الثلاثون سورة الانفطار

نصف الحزب ٥٩

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة الانفطار مكية وآياتها تسع عشرة آية، ذكر الله تعالى فى أولها بعض علامات يوم القيامة، ثم البعث والحساب، فإن كان ذلك كذلك ولا مناص من البعث والحساب ففيم غرورك أيها الإنسان؟ ولمَ تركت الصالحات التى تنجيك يوم القيامة وعصيت ربك الذى أحسن إليك فسواكَ فعدلك، ثم ختمت آياتها الكريمة ببيان مآل المؤمنين الأبرار ومآل المكذبين الفجار.

أسباب النزول:

أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار: 6] الآية، قال أنزلت فى أُبَىْ بن خلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾ تشققت وتصدعت لتنزل منها الملائكة ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً**﴾ [الفرقان: 25] ﴿**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾ تساقطت متفرقة متبددة ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**﴾ تصدعت وتشققت وجرى بعضها إلى بعض فأصبحت الأرض كلها بحراً واحداً، ويمكن أن نقول إن معنى فجرت تصدعت فخرجت مياهُها منها فتبخرت فأصبحت جافة فهى كقوله تعالى ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾ [التكوير: 6] ﴿**وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**﴾ قلب أسفلها أعلاها وبُددت ليتسنى خروج المدفونين فيها، إذا حصلت هذه الأشياء الأربعة: انفطار السماء وانتثار الكواكب،

وتفجير البحار، وبعثرةُ القبور وخروج من فيها من الأموات: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ برة أو فاجرة ﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ من الأعمال الصالحة النافعة وما أخرته منها، أو علمت نفس ما قدمته من الأعمال السيئة وما أخرته منها، ومعنى علمت أنها لاقت جزاءه وأحست بما ينتظرها من النار الكبرى إن كانت طالحة ومن الجنة العظمى إن كانت صالحة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ﴾ كافراً أو مؤمناً عاصياً ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ما الذى حملك على أن تغتر وتدع الأعمال الصالحة التى تنجيك يوم القيامة، ما الذى غرك بربك؛ حملك على المعاصى وألزمك ترك العمل الصالح مع أن ربك كريم: كريم الصفات واسع العطاء قادر لا يُقدرُ قدره ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ خلقك: أوجدك، سواك: جعلك مستوى الخلقة، فعدلك: جعلك منتصب القامة ولم يجعلك كالحيوانات تمشى على أربع، وإنما جعل أعضاءك مستوية؛ اليد كاليد لا إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، والرجل كالرجل هما سواء، والعين كالعين هما سواء ليست إحداهما متسعة اتساعاً زائداً والأخرى ضيقة بل هما ميزانهما واحد، وكذلك بقية أعضائك مستوية لا فرق بين عضو يقابله عضو آخر بل كل الأعضاء مستوية تمام الاستواء وهذا من إحسان الله إليك وتحسين خلقه لك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ عن صور الحيوانات وعن صور الوحوش وصيرك فى أحسن تقويم. وقد جاء فى بعض الآثار أن النطفة حينما تقع فى الرحم يُحضرها الله تعالى كلَّ نسب بينها وبين آدم، ولذا تجدون بعض الناس أبيض وأولاده سود، وبعض الناس أسود وأولاده بيض، ما السر فى هذا البياض والوالد أسود؟ وما السر فى هذا السواد والوالد أبيض؟ السر فى هذا أن النسب الذى بينه وبين آدم أُحضر حينما وضعه أبوه نطفةً فى رحم أمه فيشكله الملك بأى شكل أراده الله تعالى أن يشكل عليه، ولذا جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقال ما معناه: يا رسول الله ولد لى ولد أسود يعنى وأنا أبيض فكأنه يتهم أمه فقال له النبى ﷺ: «**ألك إبل؟**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**» قال:

حمر فقال له النبي ﷺ : «أفيها أورق؟» يعنى أبيض يخالط بياضه سواد غَبَّره، فقال الرجل: نعم، فقال له النبى ﷺ : «أنى هذا الجمل الأبيض الذى يخالط بياضه سواد مع أن لون إبلك حمر» فقال الرجل: لعله نزعَه عرق - يعنى لعل فى آبائه من الجمال ما كان لونه أبيض يخالط بياضه سواد غبرة. فقال له النبى ﷺ : «ولعل ولدك الأسود نزعه عرق سواد كان فى بعض آبائك» فاطمأن الرجل إلى هذا الجواب وعلم سر سواد ولده وارتاح إلى أمه بعد أن كان متهماً إياها.

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ما أكرم الله وما أكثر عطفه على عباده وإحسانه إليهم ومع أن الله تعالى وصف نفسه بالرحمة والإحسان وصف نفسه بالانتقام وشدة العذاب، فالحازم العاقل من يلاحظ جميع أوصاف الله ولا يتكل على وصف الرحمة ويدع أوصاف العقاب، فإنه يكون مغروراً، ورحمة الله تعالى وإن كانت واسعة ولكنها فى الدنيا للجميع، ويوم القيامة جعلها للمطيع ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف: 156] . فى شئون الدنيا تُربط المسببات بالأسباب، فلا يمكن أن يكون ولد دون زوجة، ولا يمكن أن يكون حصاد دون زرع، ولا يمكن أن يكون ربح دون تجارة.

فالواجب علينا أن نسلك هذا المسلك فى أمور الآخرة، فكل ما نعمله نجد ثمرته، والمتقدمون من الأنبياء والصحابة كانوا يحيون ليلهم ويصومون نهارهم ولا يتكاسلون عن الأعمال الطيبة، وكانوا يخشون أن الله لا يقبلها منهم، فكيف نتكاسل عن الطاعة متكلين على رحمة الله، مع أن الأقرب إلى الله منا ملايين المرات كانوا يعملون وكانوا يخشون ألاَّ تقبل أعمالهم ، فحق علينا أن نأتى بالأسباب معتمدين على الله تعالى فى قبول أعمالنا، ولا نغتر بكرم ربنا، فإن كرم الله تعالى معناه عظمته الزائدة وفضله الواسع وإحسانه العظيم، وإحسان الله تعالى وفضله لا يتساوى فيه المطيع والعاصى، ولا البَر والفاجر، وإنما يؤتى كلا جزاء ما عمل، فحق علينا أن نتأمل هذا الموضع ولا نغتر، ولا نكون كالجهلة الذين يقولون إن الله تعالى لقن عبده حجته لأنه يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: 6] فيقول العبد غرنى كرمك. والمصطفى ﷺ يقول : «غره جهله» ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

فى أى صورة أراد الله أن يصورك عليها صوَّرك : جميلة أو قبيحة ناقصة بعض الأعضاء أو زائدة بعضها . وبعضهم يقول ﴿ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فى أبدع صورة وأكملها ركبك .

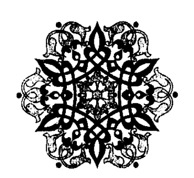
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ كلا يأيها المغترون بكرم الله، ارتدعوا عن هذا الاغترار، ولا تقولوا إن الحامل لنا إنما هو كرمه، ولكن الحامل لكم فى الحقيقة أنكم تكذبون بالدين، بالجزاء وبالحساب، فتكذيبكم بالحساب حملكم على أن تَدَعوا الأعمال، ويمكن أن نقول إن المراد بالدين إنما هو دين الإسلام، ودين الإسلام من قواعده البعث والجزاء فتكذيبكم بالبعث وتكذيبكم بالجزاء هو الذى حملكم على أن تدعوا الأعمال وتغتروا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ تكذبون بالدين مع أن الله تعالى أوجد عليكم ملائكة حافظين لأعمالكم حسنها وقبيحها صالحها وطالحها ﴿كِرَامًا﴾ عند ربهم إذ إنهم من ملائكته ﴿كَاتِبِينَ﴾ لما تعملون، والله تعالى أجرى أمور عباده على ما يُجْرُونه فيما بينهم، فكما أنك إذا عاملت بعض الناس تكتُب وتُشهد على تلك المعاملة حتى تطمئن ويطمئن من تعامل، الله تعالى زيادة فى التأكيد على عباده وفى التشديد عليهم، أمر بعض ملائكته أن يكتبوا ما يأتى به عباده، وأن يشهد عليهم بعض ملائكته حتى إذا قاموا ليلقوا جزاءهم جىء بالمكتوب وقدم إليهم، وجىء بالشهود لتشهد عليه ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ كل عمل تعملونه يعلمه هؤلاء الحفظة الكاتبون ويخطونه عليكم ويشهدون أمام ربكم بما عملتم.

وما السر فى هذه الكتابة؟ أن يتنبه عباده ليعملوا حتى يروا الجزاء المعد

للمطيعين، والعقاب المعد للمسيئين، وقد ذكر الله جزاء المطيعين بقوله ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ الأبرار جمع بر والبر هو المتقي الذي يأتي بالصالحات ويجتنب الموبقات والله تعالى يقول : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ [البقرة:177] إلى آخر هذه الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ الفجار جمع فاجر وهو من ترك أوامر دينه وأقبل على شهواته وارتكب ما أمر الله بعدم ارتكابه، والجحيم هي النار. ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يصلون عذابها ويقاسون أهوالها يوم جزاء الله إياهم بما عملوا من شر ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ وما هم منها بمخرجين. الكفرة حينما يدخلهم الله تعالى جهنم لا يخرجون منها بل يستمرون فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:56] ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [ابراهيم:17] ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى: 13] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ما الذي أعلمك يا محمد شدة يوم الدين والجزاء وعظم أهواله ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثم يا محمد ما الذي أعلمك شدة هذا اليوم وما يلقاه أهله من بلاء ومصائب، إن الذي أعلمك بعض ما يكون فيه من الأهوال والشدائد إنما هو الله ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تملك نفس أن تجلب خيراً إلى نفس، ولا تملك نفس أن تدفع شراً عن نفس، وإنما قد يُمَلِّكُ الله تعالى بعض الكرام عنده ليشفعوا فيمن يستأهل الشفاعة ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ الأمر لله هنا وهناك، فلمَ قال الله تعالى والأمر يومئذ أي يوم القيامة لله؟ لأن يوم القيامة ذهبت الرئاسات وأصبح الكل سواسية أمام الخالق للكائنات فلا ملك في الظاهر ولا في الباطن إلا لمن يعلم الظاهر والباطن وهو الله جل شأنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

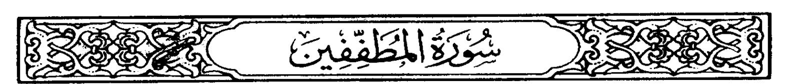


سُورَةُ المُطَفِّفِين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

سكتة لطيفة على اللام



ما تشير إليه السورة:

هذه السورة مدنية أو مكية وآياتها ست وثلاثون بدأت بتحذير الذين يبخسون الكيل والميزان وتخويفهم بما ينتظرهم يوم القيامة ثم بينت حال المكذبين الكافرين فى جهنم وما فيه الأبرار من النعيم يوم القيامة .

أسباب النزول:

حينما هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة كان أهلها من أسوأ الناس بخساً فى الكيل والميزان فتلى عليهم رسول الله ﷺ هذه السورة فأصبحوا من أحسن الناس كيلاً وميزاناً ولا يزالون إلى هذه اللحظة وهم أشرف الناس كيلاً وأحسنهم ميزاناً ويشهد بهذا كل من زار مدينتهم . صلى الله عليك وسلم يا سيدى يا رسول الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

الشرح:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ الويل شدة العذاب والبلاء وأصله الدعاء تقولون ويلٌ لفلان أى أصابه الله تعالى بمصيبة وَيْلية يترتب عليها أن يقول وا ويلاه (للمطففين) المطففون مأخوذ من التطفيف وما التطفيف؟ معناه الشيء التافه الحقير الذى لا يؤبه له ولا يعتد به، المطففون بينهم الله تعالى بقوله ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ أى إذا كان لهم عند الناس شيء يكال استوفوه ولم يكتفوا باستيفائهم إياه بل حاولوا أن يزدادوا شيئاً على حقهم، وقد ذمهم الله تعالى أبلغ ذم إذ جعل لهم الويل والعذاب الشديد جزاء تطفيفهم، والله تعالى حث فى عدة آيات من كتابه على إيفاء الكيل والميزان ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: 9] وقد

ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم أنه ابتلى قوم شعيب وأهلكهم لأنهم كانوا يبخسون الناس حقوقهم، ولمَ جعل الله تعالى العذاب الشديد للمطففين؟ لأن الله تعالى جعل قوام العالم على الكيل وعلى الميزان وعلى الزرع فلابد للعالم من هذه الثلاثة لأن بها قوام حياتهم ومعاملاتهم فمن بخس فى هذه الثلاثة كان متسبباً فى أذية العالم فجعل الله تعالى عقابه شديداً حتى يرتدع ، وقد ذم الله تعالى المطففين الذين يزيدون على حقهم ولو قليلاً، لأن من يبغى أن يزداد فى حقه القليل دل على دناءة همته وعلى سقوط مروءته وأنه لا يمنعه عن أخذ الكثير إلا المراقبة وخشية الحاكم **﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾** يستوفون حقوقهم واستيفاء الحقوق لا ذم فيه إذن المراد أنهم يأخذون حقوقهم وافية مع زيادة عليها وهذه الزيادة ولو طفيفة إلا أن الله تعالى جعلها كبيرة فمن أصر عليها فقد أصر على الكبيرة ولقى الله غاضباً عليه إلا إذا تاب توبة نصوحاً فإن توبته تقتضى أن يغفر الله تعالى زلته **﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾** إذا كان لهم عليهم حق يكال أخذوه وافياً وحاولوا أن يزدادوا عليه .

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ إذا كان للناس عليهم حقوق وأدوا لهم هذه الحقوق حاولوا أن يبخسوهم شيئاً فى وزنهم أو فى كيلهم، إذن إذا كان لهم أخذوا حقهم وافياً زائداً وإذا كان عليهم حاولوا أن ينقصوا الكيل أو ينقصوا الوزن أو ينقصوا المقيس ولو شيئاً طفيفاً ومع أن هذا طفيف إلا أن الله تعالى جعله كبيرة وحذر منه أيما تحذير كما ذكره فى قوله **﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾** أى ينقصونهم بعض حقهم **﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾** ألا يظن هؤلاء المطففون أنهم مبعوثون يوم القيامة وما معنى الظن هنا؟ معنى الظن اليقين لأن البعث عقيدة والعقيدة لايكفى فيها الظن ولابد فيها من اليقين إذن معنى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون : ألا يتيقن هؤلاء أنهم سيبعثون لربهم ويلقون جزاء صُنْعهم، ويمكن أن نقول إن المراد بالظن التردد فكان الواجب عليهم ولو ظنوا البعث أن يتخذوا الأحوط وأن يبنوا أمورهم عليه ولا يطففوا حتى إذا كان البعث لقوا ربهم آمنين من تطفيفهم فنالوا النجاة عنده .

﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما أعظم يوم القيامة وما أشد

الحسرات فيه وما أكثر البلاء. يوم يَقوم الناس لرب العالمين يقومون لأمره ولحكمه ولعظمته وقد جاء فى الحديث الصحيح أنهم يقفون خمسين ألف سنة وتدنوا الشمس من رءوسهم ويكثر عرقهم ويختلف العرق الحاصل لهم باختلاف أعمالهم فبعضهم إلى قدميه وبعضهم إلى سرته وبعضهم إلى عنقه وبعضهم إلى فمه - يقفون خمسين ألف سنة لا يحاسبهم الله تعالى ثم يبتدىء الحساب ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأمره وليلقوا جزاء ما عملوه من ربهم.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿كَلاَّ ﴾ ارتدعوا يأيها المطففون ولا تظنوا أن البعث غير حاصل بل لابد منه وستلقون جزاءكم فيه، فالواجب عليكم أن تكفوا عن التطفيف، وأن ترجعوا عن عقيدتكم وهى عدم وقوع البعث فإن البعث واقع لاشك فيه. ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ الفجار جمع فاجر والمراد به الكافر من الإنس ومن الشياطين، وكتابهم ما تكتب فيه أعمالهم - وما سجين؟ بعض العلماء يقول إنها الأرض السابعة وهى أرض موحشة مظلمة يأوى إليها إبليس وجنوده وفيها كتاب كتب الله تعالى فيه أعمال الفجار من الإنس والجن والشياطين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ما أعلمك يا محمد ما سجين ؟ إن سجين ليست من علم بنى آدم ولا من علم الملائكة وإنما هى من علم الله تعالى وقد بينها الله تعالى لك فى قوله ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مرقوم بين واضح كالرقم من الثياب لا يمحى. إذا كان الرقم والكتابة منسوجة مهما طال عليها العهد لا تمحى، وسجين كتاب مرقوم رقمه الله تعالى وبينه ووضحه وكتب فيه من يموتون على كفرهم فلا يزاد عليهم ولا ينقص منهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل يومئذ : يوم إذ يقوم الناس لرب العالمين، ويل وبلاء شديد وعذاب لا يعلم قدره إلا الله تعالى للمكذبين ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء وهو يوم القيامة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ معتد مجاوز الحد فى الاعتداء وأخذ أموال الناس بالباطل، ومخالفته ربه فيما أمره به وما نهاه عنه ﴿أَثِيمٍ﴾ زائد الإثم مبالغ فيه، فإذا قال كذب وإذا خاصم فجر وإذا وعد أخلف، وبالجملة فلا يقف عند أمر ربه ولا يجتنب نهيه ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ قرآننا ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كذَّب أن هذا القرآن الذى يتلى عليه موحى به إلى الرسول ﷺ ويقول إنما جمعه محمد من مخلفات الكتب السابقة ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:5] (قال أساطير الأولين) قال ما هذا القرآن الذى يدعى محمد أن الله أوحاه إليه إلا بقايا من تاريخ الأولين وما أنزله الله تعالى عليه ﴿ كَلَّا ﴾ارتدعوا يأيها القائلون إن القرآن أساطير الأولين، وما هو إلا وحى من رب العالمين ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ القرآن ما أبين أنه وحى من عند الله وما أسمى معناه وما أعجزه لكل من خلق الله، إلا أن الذى حملهم على أن يقولوا إنه أساطير الأولين كثرة ذنوبهم ومعاصيهم التى رانت على قلوبهم فغطتها فأعمت بصائرهم عن أن يدركوا الحق فيتبعوه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ ران : غطى وما معنى الرين؟ الذنب يتبعه الذنب حتى يعمى به القلب، وذلك أن الإنسان إذا عمل ذنباً نكت نكتة سوداء فى قلبه فإذا تاب ورجع إلى ربه واستغفر انصقل قلبه وذهبت هذه النكتة وإذا لم يتب وأتى بذنب آخر نكت نكتة سوداء بجانب الأولى وهكذا كل ذنب تنكت به نكتة سوداء فى قلبه بجانب الأولى حتى يسْوَد قلبه من كثرة الخطايا والآثام فلا يبصر الهدى ويعمى عن الطريق المستقيم وهذا هو الرين الذى ذكره الله تعالى بقوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾غطاها وغشاها فلا تبصر الحق ولا تدرك الهدى وهناك طبع وهو أن يطبع على القلب وأرقى من الطبع القفل الذى ذكره الله تعالى بقوله ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24]والقفل أشد من الطبع ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المعاصى التى كسبوها وألفوها أصبحت عادة لهم فأعمتهم عن الطاعة وحببت إليهم المعصية فأصبحوا لا يبصرون الطريق المستقيم ولا يهتدون إلى الحق

السليم ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ هؤلاء الفجرة الكفرة يوم القيامة يحجبون عن ربهم وذلك أن الله تعالى يتجلى لعباده يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم فيشهده جميعهم ثم يحجب عن الكافرين ويبقى تجليه بمرآه الكريم للمؤمنين . وإنَّ أعظم المؤمنين درجة يوم القيامة من يرى ربه مرتين مرة فى الصباح ومرة فى المساء وإنَّ أقل المؤمنين درجة من ينظر إلى أملاكه ألفى سنة ـ يمتلك مَا لَوْ سَار ألفى سنة لكان فى أملاكه ومع أن أملاكه ممتدة إلى هذا الحد البعيد ينظر أقصاها كما ينظر أدناها .

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ إذن الكفرة الفجرة حجبوا عن ربهم بكثرة معاصيهم وكفرهم أما المؤمنون فينظرون ربهم لأنه لما حجب أعداءه والكفرة به فلم يروه تجلى لأوليائه والمؤمنين به حتى يروه ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ثم إن هؤلاء الفجار لداخلون الجحيم ومعذبون بنارها، إذن أولاً حجبهم عن مرآه وثانياً أذاقهم حر ناره، ولا يدرك ألم الحجاب إلا من كشف له وحجب عنه، والله تعالى جعل لكل عضو من الأعضاء لذة فلذة اليد مباشرتها أعمالها، ولذة العين النظر ولذة الأذن الاستماع ولذة القدم المشى وكل عضو تعطل عن عمله أصاب صاحبه همٌّ لا يعلم مقداره إلا من بُلى بهذا البلاء . الروح لذتها مشاهدة ربها وذكره وشكره وحسن عبادته وإن الذاكر المشاهد إذا حجب عن الذكر وحجب عن المشاهدة وقع فى بلاء لايَعْدلُهُ بلاء وأصابه هم لايَعْدلُهُ هم، وأنتم تشهدون فى أمور دنياكم أن من أحب إنساناً لا يقر قلبه ولا تستريح نفسه إلا إذا شاهده، مع أن هذا الإنسان كم فيه من عيوب وكم فيه من أخطاء ومآله ونهايته كما تعلمون جيفة فما بالكم بمن أحب ربه وأكثر من ذكره وتعلقت روحه به إذا أصابه الحجاب يقع فى عذاب لا يَعْدله عذاب ولا يدرك ألم الحجاب إلا من أضاءت بصيرته وكانت له مشاهدة وذاق لذتها فإذا حجب فالبلاء الذى يناله بحجابه فوق كل بلاء ودونه كل مصيبة ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من القائل؟ زبانية جهنم أو بعض ملائكة الله أو يقول الله لهم هذا العذاب الذى ذقتموه هو الذى أخبركم به رسولى محمد ﷺ وكذبتم به فذوقوا ماكنتم تكذبون به . وإنَّ من أعظم البلاء على من وقع فى مصيبة أن يقال له إن هذه المصيبة التى وقعت فيها كان فى إمكانك أن تتخلص منها، فعدم تخلصك مع أنه كان فى إمكانك، إذا قيل له هذا يزداد ألماً إلى ألمه وغماً إلى غمه .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

وبعد أن ذكر الله تعالى جزاء المطففين وجزاء الكافرين إنتقل إلى جزاء المؤمنين **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾** عليون هى السماء السابعة أو الجنة وجاء فى بعض الآثار أن العبد الصالح إذا عمل عملاً صعد به بعض الملائكة فيقول الله تعالى إن عبدى كان مخلصاً فى عمله وأنا الشهيد على قلبه اكتبوه فى عليين فيكتب فى الجنة أو فى السماء السابعة، وإذا صعد عمل القبيح يقول الله تعالى للملك الصاعد به إنه لم يعمله لوجهى وما كان مخلصا فيه فاكتبه فى سجين فيكتب فى الأرض السابعة فى كتاب الفجار مع أعمال الشياطين والكفرة **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾** يا محمد لَمْ تعلم ما عليون لأنها ليست مما يعلمه الآدميون وها أنا ذا أعْلمك به **﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾** كتاب بَيِّنٌ واضح **﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾** من المقربون الذين يشهدون عليين؟ الملائكة - ويمكن أن نقول إن بعض من طهرت قلوبهم وزكت أعمالهم يتجلى الله تعالى عليهم بالمشاهدة فيشهدون كتاب عليين **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾** الفجار سبق أنهم فى جحيم يقابل الفجار الأبرار، الأبرار أين يكونون؟ يكونون فى نعيم أى فى تنعم وفى لذة **﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾** ما الأرائك؟ هى الأسرة التى عليها الحجال؛ الحجال جمع حَجَلة وهى أغطية ثمينة توضع على الأسرة المسماة فى عرفنا ناموسية يعنى الأبرار على أسرتهم فى الجنة وعليها ناموسيات **﴿يَنظُرُونَ﴾** ينظرون إلام؟ إلى ما أعطاهم الله تعالى من واسع فضله، أو ينظرون إلى الفجار وهم يتعذبون فى جهنم ولأنهم أعداؤهم وأعداء ربهم يفرحون بنظرهم إليهم وكيف ينظرون إليهم وهم فى الجنة والفجار فى النار؟ فى الجنة كُوًى: طاقات أو فى الجنة سور هذا السور شفاف

من شفافيته يمكنهم أن ينظروا إلى أهل جهنم وهم فيها يتعذبون فيفرحون بإنعام الله تعالى عليهم بإدخالهم جنته ويفرحون أيضاً بإهانته لأعدائهم وإدخالهم دار نقمته، أو ينظرون ربهم . فيمكن أن نقول ينظرون ما أعطاهم الله من فضله أو ينظرون ربهم أو ينظرون أعداءهم فى عذابهم ويمكن أن نقول إن المراد هذه الثلاثة ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ من المخاطب بتَعْرِف؟ يمكن أن يقال إنه المصطفى ﷺ ويمكن أن يقال إن أى ناظر إلى هؤلاء الكرام بمجرد أن يرى وجوههم يعرف أنهم من أهل النعمة؛ وجوههم بيضاء نظيفة لا اصفرار فيها ولا يبدو عليهم أى مرض ولا كدر، ولاشك أنك إذا نظرت إلى رجل هذه صفته بمجرد أن تنظر إليه تدرك أنه من أهل النعمة وأهل الإحسان والفضل ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم والغنى وحسن الحال ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق : الخمر الخالصة، ومختوم عليها ختم لأنها ثمينة وعزيزة فلا يفتح ختمها الذى عليها إلا الأبرار الذين جعلها الله تعالى شرابهم، لقائل منكم أن يقول إن الجنة فيها أنهار من خمر والأنهار لا يختم عليها فكيف نوفق بين قوله تعالى ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ وبين الأنهار التى فى الجنة من الخمر؟ الجواب أن هذه الأوانى المختومة للأبرار بخلاف الأنهار فإنها لمن أراد الله تعالى أن تكون لهم ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ هذا الختم الذى ختم به على أفواه الأوانى التى فيها الخمر ليس من طين وليس من شمع ولكنه من مسك ويمكن أن نقول إن معنى «ختامه مسك» بعد أن يشربوا هذه الخمرة نهايتها وآخرها يجدون طعم المسك ﴿وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ «وفى ذلك» فيما ناله الأبرار من النعيم الواسع فى الجنة أو فى الخمرة التى أعدها الله تعالى للأبرار يتنافس المتنافسون؛ يرغب الراغبون ويتكالب المتكالبون ويشتد الطالبون ويبغى كل واحد أن ينال هذه المنزلة لنفسه ويضن بها على سواه لنفاستها وعزتها فيبغى أن تكون مقصورة عليه حتى يَجِدَّ ويتنافس لينالها قبل أن ينالها سواه وهذا هو شأن الأشياء المتنافس فيها لأنها نفيسة كل يجتهد حتى يحصل عليها قبل أن يحصل سواه أى فليجتهد المجتهدون وليعمل العاملون حتى ينالوا تلك المنازل السامية العالية التى لا تنال إلا بالجد المتناهى والتنافس الزائد ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ مزاج الرحيق المختوم من تسنيم ـ ما تسنيم؟ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ عينا يشرب منها المقربون . إذن عندنا أبرار

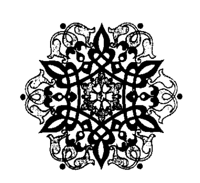
وعندنا مقربون ـ الأبرار يشربون من الرحيق الممزوج بالتسنيم والمقربون يشربون التسنيم ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ والتسنيم هو عين فى الجنة . من الذى يستحق الشراب منها؟ المقربون . أما الأبرار فإن شرابهم رحيق مختوم ممزوج بشىء من التسنيم ولا شك أن التسنيم الخالص ألذ من الرحيق الممزوج بشىء من التسنيم . إذن المقربون أشرف منزلة من الأبرار فهم السابقون ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 10] أما الأبرار فهم أصحاب اليمين .

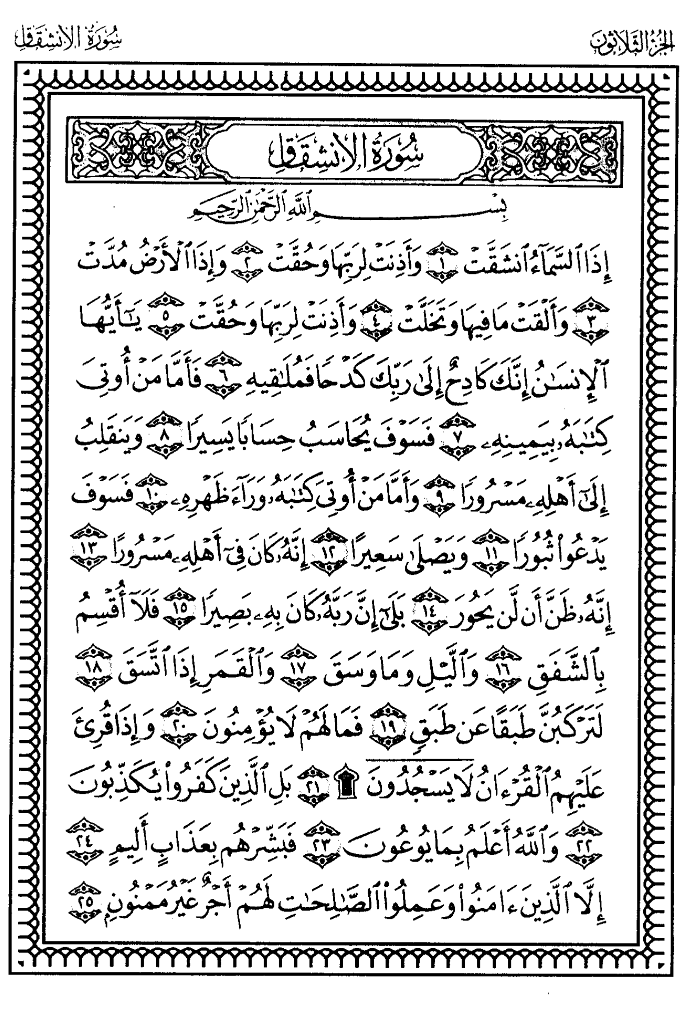
إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ الذين أجرموا : أبو جهل وأمية بن خلف ومن على شاكلتهما من كفار قريش ﴿ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من سيدنا على ومن خباب و عمار بن ياسر ﴿ يَضْحَكُونَ﴾ . ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ وإذا مر هؤلاء الأبرار على مجالس هؤلاء الكفار ينظرون إليهم نظرة احتقار بحواجبهم وأعينهم ويشيرون إليهم ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا ﴾ أى الكفار إلى أهلهم انقلبوا ﴿ فَكِهِينَ﴾ متعجبين مستهزئين بالمؤمنين الذين مروا عليهم . ولَمَ يستهزئون بهم؟ لأنهم ضعاف بالنسبة لهم وهم أقوياء فى غنى وفى جاه وفى ملك فكان اذا مر عليهم المؤمنون وهم ضعاف يستخفون بهم ويحتقرونهم ويضحكون عليهم ويشيرون بأعينهم وحواجبهم وإذا ذهبوا إلى بيوتهم أخبروا زوجاتهم وأولادهم بأنهم حصل منهم كذا وكذا حينما مر عليهم هؤلاء البؤساء الضعفاء ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ﴾ إذا رأى الكافرون المؤمنين حينما يمرون عليهم يقولون إنهم ضالون لأنهم اتبعوا محمدا ولم يبقوا على ملتنا وديننا ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ هؤلاء الكفرة

الفجرة دخلوا فيما لا يعنيهم وتعرضوا لما لا يخصهم فأنا ما أرسلت هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين مصلحين لشئونهم مدبرين لأمورهم وإنما دخلوا فى شأنهم متطفلين لأنى لم أرسلهم ليحافظوا عليهم ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ فاليوم ؛ يوم القيامة حينما يدخل المؤمنون الجنة ويتنعمون بما أعد الله لهم وينظرون الكفار فى جهنم يضحكون ولَمَ يضحكون عليهم؟ كما ضحك عليهم الكفار فى الدنيا وقد كانت الدولة فى الدنيا للكافرين فأصبحت فى الآخرة للمؤمنين ، فكما ضحك الكافرون على المؤمنين فى الدنيا ضحك المؤمنون على الكافرين فى الآخرة ويمكن أن نقول إن الله تعالى يهيئ للكافرين أنهم يخرجون من النار فيصعدون حتى إذا قاربوا الخروج منها أوصدت أمامهم أبوابها وهكذا عدة مرات ، فحينما يشهد المؤمنون هذا الصنيع من الزبانية فى جهنم ؛ يفتحون أبوابها حتى إذا قارب الكفار الخروج أوصدت أمامهم فيضحك المؤمنون عليهم استهزاءً بهم كما استهزءوا بالمؤمنين فى الدنيا ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ هل جوزى ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ نعم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



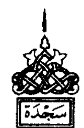


سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾







ما تشير إليه السورة:

سورة الانشقاق مكية آياتها خمس وعشرون نزلت بعد الانفطار وقد حدثنا الله في هذه السورة عن أهوال يوم القيامة وذكر بعض مشاهد الآخرة وصورت الانقلاب الذى يحدث فى الكون عند قيام الساعة .

وتناولت السورة خلق الانسان وسعيه وكده فى حياته ليقدم لآخرته ما يشتهى من صالح أو طالح ، وختمت بتناول موقف المشركين فى القرآن الكريم ومصيرهم يوم القيامة ووبختهم على سوء فعلهم وإشراكهم بالله وبشرتهم بالعذاب الأليم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾

الشرح:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ انشقاق السماء : فساد تركيبها واختلال نظامها عندما يريد الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه وهو يكون بحادثة من الحوادث التى ينجر إليها سير العالم كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ، ويحدث من ذلك غمام أىُّ غمام يظهر فى مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره .

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أى استمعت لربها وفعلت حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذى إذا أورد عليه الأمر من جهة آمره أنصت له وأذعن فكأنه قال : امتثلت له . ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى حق لها أن تمتثل أى يجدر بها ذلك وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع لأنها مخلوقة له وهى فى قبضته وهو الذى يمسكها أن تزول ؛ فإذا أراد تبديد نظامها بدده وما يكون لها أن تعصى إرادته .

ومتى فسد نظام السماء فتسَّاقط من كواكبها بعضها على بعض - أصاب الأرض من ذلك أشد ما يصيبها من الاضطراب فتندك جبالها وتتقطع أوصالها وتفقد التماسك بينها فلا يبقى لها هذا الاندماج الذى هى عليه الآن فتُمد مَدّ الأديم العكاظى [1] كما روى عن ابن عباس، ولا تكون إلا كتلة مائرة تتساوى أعاليها وأسافلها وعظمت بهذا الانتفاش، وزادت أقطار حجمها - فهذا قوله تعالى ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ ولا ريب أن هذا المد يتبعه أن جميع ما فى جوف الأرض ينقذف إلى خارج وربما قذفته الحركة العنيفة إلى ما يبعد عن سطحها فتخلو الأرض منه حتى لا يبقى له أثر فى باطنها - وهذا هو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ وهى فى ذلك كله تحت سلطان الجلال الإلهى وقهره خاضعة لأوامره منقادة لمشيئته كما قال: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ولا يخفى أن الاستماع والطاعة من السماء والأرض تمثيل لكونهما فى قبضة القدرة الإلهية تصرفهما فى الفناء كما تصرفت فيهما بالابتداء كما قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11] أى أنه خلقهما على الوجه الذى أراد دون أن يكون منه جد أو كد أو يصيبه عناء أو نصَب كما يتوهم ضعفاء العقول إذا سمعوا أن واحداً خَلق هذا الكون العظيم أو يدمر هذا الخلق الجسيم وكما زعم اليهود أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد واستراح يوم السبت واستلقى على العرش. قال الله فى آية أخرى لإفادة المعنى على الحقيقة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: 38].

وكل قول أو فعل ينسب إلى من لا يصدر عنه فى المعروف فنسبته إليه على طريق التمثيل إلا أن يكون هناك سبب يسوغ النسبة فى عرف الخطاب.

جاء فى هذه السورة بشرطين أحدهما متعلق بالسماء [2] والآخر متعلق بالأرض [3]، وفى ضمن كل منهما ما هو من لوازمه - ولم يأت بجواب للشرطين -

(1) الأديم العكاظى: بساطٌ مشهور بعظم الإتساع والاستواء.
(2) واذا السماء إنشقت.
(3) واذا الأرض مدت.

بل أعقب قوله ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ وهو من عجائب إيجاز القرآن حيث يظن لزوم الإطناب فيأتى الإيجاز بما لا يأتى به الإطناب.

فإن الله تعالى قد بيَّن فى سوَر أُخر كثيراً مما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والوقوع فى ورطة الحساب وما يكون بعد ذلك من شقاء ونعيم فذكر الله بداية ذلك اليوم فى هذين الشرطين؛ انشقاق السماء وتصدع الأرض وانتفاشها وقذفها لما فى جوفها وترك الجواب يذهب فيه السامع ما شاء من المذاهب حتى يمر بذهنه جميع ما ورد من حوادث ذلك اليوم ـ وفى هذا من التهويل ما لا يفيده التطويل.

«كادح» من الكدح وهو العمل والسعى والكسب والخدش، والكدح: عمل الإنسان لنفسه من خير أو شر. ووصل الوصف بإلى إذ قال: كادح إلى ربك ـ ولم يقل لربك ـ ليدل على أنه من الكدح معنى فيه سير وانتهاء ـ كأنه يقول ـ والله أعلم ـ يا أيها الإنسان السادر فى غلوائه، الصادر عمله عن أهوائه الغافل عن مصيره، الحائد عن جادة الحق فى مسيره لا تظن أنك خالد وأنك مقيم فيما أنت له جاهد وأنك إن آذيت الخلق وازدريت الحق واغتررت بالحول والقوة وسلمت عنانك للشهوة ضمنت لنفسك التمتع بما تكسب والبقاء فيما تتعب وتنصب ـ كلا إنك مجد فى السير إلى ربك وإن كنت لا تشعر بجدك أو إن شعرت به لهوت عنه وكل خطوة فى عملك فهى فى الحقيقة خطوة إلى أجلك. فكل جهد وتعب يحدث فى القوى أثره ضعف ولا يزال الضعف يتبع بعضه بعضاً حتى ينتهى إلى الموت الذى لا محيد عنه وهناك لقاء الله. فإن الموت يكشف عن الروح غطاء الغفلة ويجلو لها وجه الحق فتعرف من الله ما كانت تنكره فقد لقيته. وما بعد الموت من رجعة إلا يوم البعث يوم يقوم الناس للعرض على ملك يوم الدين كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18]. وهناك يرتفع الالتباس ويعرف كل عامل ما جر إليه عمله.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

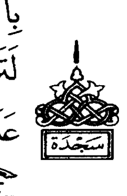
﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه** ⑦ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً**﴾ والذين يؤتون كتابهم بأيمانهم هم الصالحون أهل البر وفعلة الخير ممن ذكر الله أوصافهم وأعمالهم فى الآيات الأخر. ﴿**وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِه مَسْرُوراً**﴾ أى يرجع إلى من هم من قبيله من المؤمنين الصادقين العاملين مسروراً بما لاقاه من سهولة الحساب والنجاة من العقاب.

﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه** ⑩ **فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً** ﴾ أى يقول: وا ثبوراه أى وا هلاكاه. فهو يتمنى أن يهلك بأن يموت ويفقد الشعور بما يلقاه كقوله ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ: 40] ﴿**ويصلى سعيرا**﴾ يقاسى حر نار شديدة اللذع والإحراق. ﴿**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِه**﴾ فى قبيل من أمثاله ﴿**مَسْرُوراً**﴾ بما كان فيه من الترف والنعيم ومعاقرة اللذات ومداعبة الشهوات. فاليوم ينعكس عليه حاله ويسوء مآله ويجد حزناً بدل سروره وألما مكان لذة. والحساب اليسير السهل أن تعرض عليه أعماله فيعرف منها ما يسُره نسْبته إليه وما قد يؤاخذ عليه ثم لا يُناقَش ولا يُعتَرض بما يَسُوءُهُ ويشق عليه.

وإيتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر تمثيل وتصوير لحالة المطلع على أعماله فى ذلك اليوم ـ فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وهو التناول باليمين ومنهم من إذا انكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر وأعرض عنها وأدبر وتمنى لو لم تكشف له وهذا هو التناول باليسار أو وراء الظهر. ﴿**إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**﴾ أى رجح فى حكمه أنه لن يرجع إلى ربه فيحاسبه على ما يقترف من ذنبه أو يثيبه على الأفضل من كسبه وفى الآية شهادة بأن المسخرين لشهواتهم

وأهوائهم فى أعمالهم لا يمكن أن يكونوا ظانين فضلاً عن كونهم موقنين بأنهم يرجعون إلى الله ليحاسبهم بل الراجح عندهم أنهم لا يحاسبون أو أن الله مخلف وعده . وهذا هو الذى ينسيهم ذكره عند كل جرم يجرمونه . فهم وإن كانوا يزعمون الإيمان بالله وبوعده ووعيده يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويُبتلون دائما بسوء الخاتمة والعياذ بالله ﴿بَلَى﴾ إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى لَيحُورَنَّ ويَرْجعَنَّ إلى ربه وليُحاسبَنَّ على عمله فيجزى عليه الخير بالخير والشر بالشر ثم علل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ والبصر بالشىء تمام العلم به نشأة وغاية .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾



والذى يخلق الإنسان مستعدا لما لا يتناهى من الكمال بما وهبه من العقل الذى لا يقف عند حد فى العلم، وإرسال أشعة الفهم إلى أسرار الكائنات ودقائق الموجودات لا ينشئه هذه النشأة الرفيعة لتكون غايته غاية سائر الحيوان ممن لم يؤت استعداده بل تقضى حكمته أن يجعل له حياة بعد هذه الحياة يستثمر فيها أعماله . ولو أنه أسدى إلى الإنسان من المواهب ما أسدى ثم تركه بعد ذلك سدى لم يكن إلا من عمل الجزاف الخالى عن الحكمة بل العدل والإنصاف .

ولتأكيد ذلك أقسم الله تعالى بآيات له فى الكائنات ظاهرات باهرات ليدل على عظم شأنه فى وضع الكون عليها ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ عبارة من عبارات القسم ﴿ بِالشَّفَقِ﴾ وهو النهار عند «الزجاج» ، و بقية ضوء الشمس والحمرة من غروب الشمس إلى

وقت العشاء عند غيره . والنهار : زمان يسعى فيه الكاسبون لتحصيل أرزاقهم ، والأبرار يشغلونه بإصلاح أحوالهم وأحوال غيرهم وتكميل عقولهم وأخلاقهم ، ففيه الشفق وهو الخوف من الإخفاق فيجدر أن يسمى شفقاً .

وما يبقى فى الأفق من الحمرة وقليل من البياض ينذرك بليل لا تدرى ما يكون فيه فله من مسمى الشفق وهو الخوف نصيب ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ﴿ وَسَقَ﴾أى ضَمَّ وجُمع ولا يخفى عليك أن ما انتشر بالنهار يجتمع بالليل حتى أن جناحيك اللذين تمدهما إلى العمل بياض النهار تضمهما إلى جنبيك للراحة سواد الليل والغادون بالنهار يروحون بالليل . والليل يضم الأمهات إلى أفراخها ويرد السائمات إلى مناخها وبالجملة كل ما نشره النهار بالحركة يضمة الليل ويجمعه بالسكون ﴿وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا﴾ [الإنعام: 96] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ واتساق القمر تمامه واجتماع نوره ليلة أربع عشرة أو ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ولا يخفى ما للناس من المنافع فى هذه الأمور الثلاثة التى أقسم الله بها لينبه الغافلين إلى ما أودع فيها من حكمته .

﴿ لَتَرْكَبُنَّ﴾ بفتح الباء خطاباً للإنسان وبضمها خطاباً للناس ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ و الطبق : الحال على اختلافها وقال «الزجاج» فى معنى الآية : لتركبن حالاً بعد حال حتى تصيروا إلى الله ، والأحوال هى الإحياء الأول ثم الإماتة ثم البعث . قال الإمام محمد عبده : والمعنى الذى يُعوَّل عليه لتركبن حالة بعد حالة على أن الحالة الثانية تطابق الحالة الأولى : أى لتكونن فى حياة أخرى تماثل هذه الحياة التى أنتم فيها وتطابقها من حيث الحس والإدراك والألم واللذة على الإطلاق : أى أنها حياة حقيقية وإن خالفت فى بعض شئونها هذه الحياة الأولى .

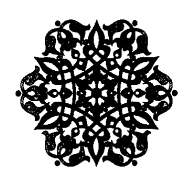
فإذا كان الله خلق الإنسان على أن تكون له حياتان وقد أقام الدليل على ذلك من طريقة تكوينه ثم أقسم عليه فى صادق كلامه . ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ وهو المنبه لحديث الفطرة الصارف لداعى الغريزة ﴿ لا يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون . لا تظن أن قرع القرآن لم يكسر أغلاق قلوبهم ولم يبلغ ضَوْءُه أعماق ضمائرهم بلى قد بلغ وأقنع فيما بلغ ولكن العناد هو الذى يمنعهم من الإيمان

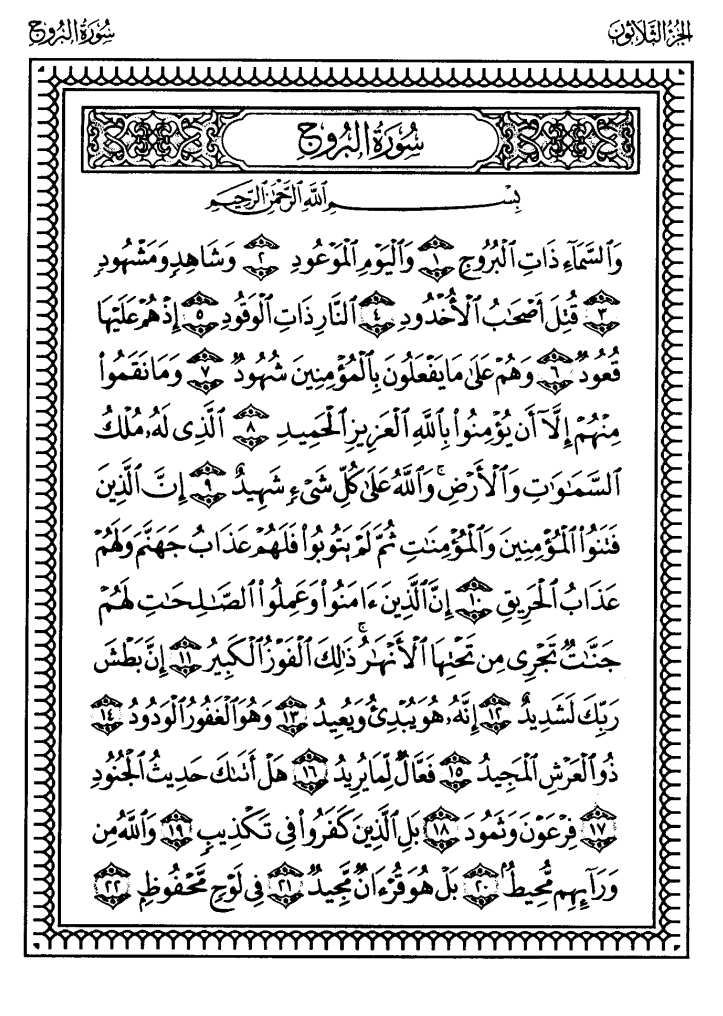
ويصدهم عن الإذعان ـ فليس منشأ التكذيب قصور الدليل وإنما هو تقصيرُ المُسْتَدِل وإعراضُه عن هدايته .

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ يرمي إلى محذوف يشير إليه السابق واللاحق ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ يجمعون في صدورهم من الإعراض والجحود والحسد والبغي ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جزاءً لهم على إعراضهم عن الأدلة القائمة من نفوسهم ومن بين أيديهم وإصرارهم على سيئ العمل وفاسد الاعتقاد .

أما الذين أصلحوا اعتقادهم بالإيمان الصادق القائم على الدليل الصحيح المستمد من الوجدان الفطري واستقاموا في عملهم على النهج الواضح في العمل الصالح فلهم أجر لا ينقطع . فالاستثناء في ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ منقطع كأنه قال : لكن الذي آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . ولهذا جاء قوله «لهم أجر» بغير فاء ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ، والله أعلم . «تفسير جزء عم لمحمد عبده» .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون نزلت بعد الشمس وعدٌ من الله للمؤمنين بأنه سبحانه وتعالى شاهد صبرهم على أذى الكافرين لهم، ووعيد للكافرين بأنه شاهدٌ بما يفعلونه بالمؤمنين وأنه مجاز كُلاً على ما قدم، وجاء بقصة أصحاب الأخدود ليبين صبر ومثابرة المؤمنين وما ينتظرهم من فوز عظيم، وما ينتظر المجرمين من عذاب شديد في جهنم يوم القيامة، وبيان لقدرة الله تعالى في معاقبة الطاغين في الدنيا والآخرة مثل فرعون وثمود.

أسباب النزول:

نزلت هذه السورة الكريمة تخفيفاً للمؤمنين بأُنس الله لهم وتهديداً للكافرين بالوعيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

الشرح:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الله تعالى أقسم بالسماء ذات البروج، والسماء معلومة

والبروج اثنا عشر طريقاً بالسماء تأوى إليها الكواكب السيارة وتأوى إليها الشمس وبإيواء الشمس إليها يحصل فصل من الفصول الأربعة فى كل ثلاثة أشهر (الربيع والصيف والخريف والشتاء) وأصل البرج البيت العظيم وهو مأخوذ من تبرجت المرأة إذا أظهرت محاسنها . ولما كانت البروج واضحة جلية شبهت بالقصر العظيم وبالحصن لأن كلا منها باد ظاهر لا يخفى على ناظر ، وهى اثنا عشر برجاً أى طريقاً فى السماء والبروج معلومة وطالما سمعتم بها وهى (الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت والميزان) هذه هى البروج ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ما اليوم الموعود ؟ هو يوم القيامة لأن الله تعالى وعد به عباده ليلقى المحسن فيه إحسانه والمسيء جزاء إساءته .

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ كثرت أقاويل العلماء فى معنى الشاهد والمشهود وقد جاء فى الحديث أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم القيامة وإنما سمى يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهده كثير من الناس بصلاة الجمعة والمشهود إنما هو يوم القيامة لأن الله تعالى يجمع فيه عباده ليلقوا جزاء أعمالهم وأصل الشاهد كل ما يحس والمشهود ما يُحَسُّ أو الشاهد الملائكة لأن ملائكة الإنسان يحافظون عليه ويكتبون أعماله والمشهود هو الإنسان وبعضهم يفسر الشاهد بأنه عيسى عليه السلام والمشهود عليه أمته لأن الله تعالى يقول ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117] وبعضهم يفسر الشاهد بأنه المصطفى ﷺ والأنبياء لأن الله تعالى يقول ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] وبعضهم يفسر الشاهد بأنه الأيام والليالى ويستدل على هذا بقوله ﷺ **«ما من يوم إلا ويقول أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى فإنى إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة»** . والحاصل أن الشاهد والمشهود كثرت فيها أقاويل المفسرين والمعتمد أنهما يطلقان على كل من يَشْهَد وعلى كل من يُشْهَدُ فهما عامَّان يشملان الشاهد والمشاهَد ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ ليس هذا جواب القسم [1] وإنما جواب القسَم محذوف تقديره : قتل أهل مكة لأنهم جحدوا نبوة النبى ﷺ وآذوا المؤمنين بها وفعلوا معهم ما لا يليق أن يفعل كما قتل أصحاب الأخدود . لعن الله أهل مكة وطردهم من رحمته لأنهم آذوا رسوله وتمالأُوا [2] على المؤمنين به وآذوهم فطردهم الله تعالى من

(1) القسم هو : (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود) .

(2) تمالأوا : تكاثروا .

رحمته وأحل بهم نقمته كما لَعن أصحاب الأخدود وطردهم من رحمته وأوقع بهم بليته ونقمته .

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ والأخدود شق طويل عريض فى الأرض أضرم الكافرون النار فيه ـ الله تعالى بينه بقوله ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ الأخدود يشتمل على النار ذات الوقود أى الملتهبة إلتهابا شديداً عظيماً لأن الوقود وهو الحطب وبنو آدم الذين ألقوهم فيها كثيرون ولما كانت مادة إيقادها موجودة أطلق الله عليها قوله ذات الوقود أى المشتعلة التي وقودها حاضر بجانبها فكلما خبت ألقى فيها من الوقود فزادت إشتعالا ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أصحاب الأخدود على النار قعود وكيف يقعدون عليها؟ جاءوا بكراسى ووضعوها بجانب الأخدود وأشرفوا على المؤمنين الذين يُلقَون فيها أحياء ويتشفون بالنظر إليهم ولا ترق لهم قلوبهم ولا يرحمونهم ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾وأهل الأخدود شهود على إحراق المؤمنين بالنار وحاضرون إحراقهم ولا يرقون لهم ولا يعطفون عليهم، أو عليهم شهود عند الملك الذى أمرهم بإحراق المؤمنين، لم يقصروا فيما أمرهم الملك به من إلقائهم فيها أحياء وعدم الرحمة بهم والعطف عليهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ما الذى عابوه على المؤمنين الذين ألقوهم فى النار أحياءً وتشفوا بالنظر إليهم وهم يحترقون؟ ما عابوا عليهم إلا أنهم آمنوا بربهم وهل الإيمان بالله عيب؟ كلا ليس بعيب وإنما هو منتهى المدح، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الذى يغلب من غالبه والحميد الذى يفعل بعباده كل فعل يستحق أن يحمد عليه ويشكر على فعله فهو مستحق للإيمان به لأنه غَالبٌ لا يُغْلَبُ ولأنه رحيم بعباده متفضل عليهم بإنعام يستحق أن يحمد عليه ويشكرَ ويُؤمَن به ولا يُكفر . .

﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عزيز حميد ـ لمَ؟ لأنه لما خلق السموات والأرض ملَكَهما ومَلكَ ما فيهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ هذا وعد للمؤمنين بأنه شاهد صبرهم على أذى الكافرين لهم ووعيد للكافرين بأنه مشاهد ما يفعلون بالمؤمنين وسجزى المؤمنين على صبرهم جنات النعيم وسيجزى الكافرين على كفرهم وإيذائهم للمؤمنين نار الجحيم . وما قصة أصحاب الأخدود؟ حاصل

قصتهم كما أخبر النبى ﷺ بها أن ملكاً كان له ساحر فبعث بعض الناس إليه بولده ليتعلم منه السحر فمر هذا الولد على راهب فأعجبته طريقة الراهب فكان يتأخر عن الساحر فإذا ذهب إلى الساحر ضربه وإذا رجع إلى أهله متأخراً ضربوه فقال له الراهب إذا تأخرت عندى فقل للساحر شغلت فتأخرت، وإذا تأخرت عن أهلك فقل حبسنى الساحر، وفى يوم من الأيام وهو ذاهب إلى من يعلمه وجد حية فى الطريق تحول بين الناس وبين السير، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر أقتل هذه الحية بذلك الحجر فقتلها به فتمكن حب الراهب من قلبه، وأصبح لا يبالى بالساحر، وحينما ذهب إلى الراهب وأخبره بقصة الحية وأنه قتلها، قال له : يا بنى إنك الآن أحسن منى، وإنك سَتُبْتَلى فإذا ابتُليت فلا تدل علىَّ، وكان للملك جليس فعمى فلما سمع بأن هذا الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وما تعاصى من الأدواء على الأطباء جَمع مالاً عظيماً وعرضه عليه وقال : كل هذا المال لك إذا شفيتنى من العمى، فقال : أنا لا أشفى أحداً وإنما الذى يشفى هو الله تعالى فآمنْ به وأنا أدعو لك بالشفاء فتشفى بفضل الله، فآمن هذا الجليس فدعا له ذلك الغلام فأزال عنه العمى وأبصر، ولما رجع إلى الملك قال له : من أبرأك قال : أبرأنى الله بدعوة غلام دعا لى فنَمَّ عن الغلام فجاء به الملك وجاء بالراهب الذى علم الغلام وجاء بجليس الملك وقال للراهب ألك رب غيرى؟ قال ربى وربك الله، فقال إن لم تفردنى بالعبادة قتلتك، فأبى أن يستجيب له، فجاء بالنشار ووضعه على رأسه وشقه فلقتين، ولم يصرفه ذلك العمل عن دينه، ثم جاء بجليس الملك وعرض عليه أن يرجع عن الإيمان فرفض فجاء بالمنشار وشقه فلقتين، ثم قال للغلام ارجع عن دينك فأبى أن يرجع، فأمر جنداً من جنده أن يأخذوا هذا الغلام ويذهبوا به إلى قمة جبل ويعرضوا عليه الرجوع إلى دينهم فإن أبى ألقوه من قمته فتنتهى حياته، حينما صعدوا به إلى قمة الجبل دعا الله تعالى فارتجف الجبل بهم فهلكوا جيمعاً، ورجع هذا الغلام إلى الملك، ثم أن الملك أمر قوماً ملاحين بحارة أن يضعوه فى سفينة ويسبحوا به فى البحر حتى إذا بلغوا وسط البحر ولجته ألقوه يغرق . فوضعوه فى السفينة، فلما بلغوا بالغلام لجة البحر وأوسطه دعا الله تعالى عليهم فانكسرت السفينة وغرقوا جميعاً ورجع إلى الملك فعجب الملك من أمره. فقال له هذا الغلام : إنك لا تستطيع قتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد وبعد أن تصلبنى على جذعٍ

تأخذ سهماً من كنانتى وتضعه فى كبد القوس ثم تقول باسم الله رب الغلام وإذ ذاك يمكن أن تقتلنى، فجمع الملك الناس فى صعيد واحد وأخذ سهماً من كنانة الغلام ووضعه فى القوس وألقى به على الغلام وهو مصلوب فأصاب صُدغَه[1] فوضع يده عليها فمات الغلام فقال الناس: آمنا برب الغلام، فذهب أعوان الملك إليه وقالوا له إن ما كنت تخشاه وقع وقد آمن الناس برب الغلام فأمر بحفر أخاديد وأن يوقد فيها النار وأن يجمع الناس رجالاً ونساء ويقال لهم اكفروا بما آمنتم به فمن كفر منهم خلَّوا سبيلَه، ومن أبى الكفر ألقوه فى هذه النار، وقد ألقوا فيها فوق السبعين حتى بلغوا غلاماً صغيراً وأمه معه فخشيت أن تقع فى النار وإذا بالولد الصغير يقول لها: ألقى نفسك ولا تتقاعسى فإنك إذا تأخرت عن إلقاء نفسك تنتظرك نار الله التى لا ينطفىء لهيبها وأما هذه النار وإن عظمت فهى خامدة، فألقت نفسها وألقى ابنها معها نفسه فمات الجميع، هذه هى قصة أصحاب الأخدود.

﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ وما عاب عليهم هذا الملك وجنوده إلا استمرارهم على الإيمان بالله. ولو كفروا بعد إيمانهم به لخلى سبيلهم وما ألقاهم فى النار التى أوقدها لهم ووضعها فى تلك الأخاديد ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ أحرقوهم بالنار وأحرقوهن ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا** ﴾ ثم لم يرجعوا عن كفرهم وعن أذيتهم للمؤمنين ﴿ **فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ** ﴾ جزاء كفرهم ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾ جزاءً على حرقهم المؤمنين والمؤمنات فى النار. وهل عذاب الحريق يوم القيامة أم فى الدنيا؟ قال بعضهم: إن الجالسين على حافات الأخدود بعد أن أحرقوا المؤمنين والمؤمنات استدارت النار إليهم فأحرقتهم جزاء إحراقهم المؤمنين والمؤمنات، وبعض العلماء يقول: إن المؤمنين حينما ألقوا فى النار قبضت أرواحهم قبل أن يلقوا فيها أمواتاً فلم يألموا، وهؤلاء الحارقون لهم همُ الملقون فيها - اشتعلت النار وتم اشتعالها فأعناق النار أخذتهم وألقتهم فى الأخذود وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾ بنار الدنيا فضلاً عن نار الآخرة التى تنتظرهم.

---

(1) الصُّدْغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات : هم المؤمنون الذين آمنوا فى العهد الأول وأوقد لهم الملك النار فى الأخدود ؛ هؤلاء المؤمنون عملوا الصالحات فاستحقوا من الله تعالى أن يدخلهم جنات النعيم ، وإدخالهم الجنات هو الفوز الكبير والنجاح العظيم الذى لا يعْدلُه فوز ولا يساويه نجاح أو أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات مطلقاً أى مؤمن آمن بربه وزاد على الإيمان العمل الصالح يستحق من الله تعالى أن يدخله الجنات ويرضى عنه ، ذلك هو الفوز الكبير المعد للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش هو الأخذ بعنف وشدة وقوة وإذا وصف هذا البطش بهذا المعنى بالشدة كان منتهى البطش وغاية الأخذ وأعظم الأخذ حيث إن البطش معناه الأخذ بالعنف والشدة فإذا وصف الأخذ بالعنف والشدة بأنه شديد كان منتهى البلاء وأعظمه ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يبدئ الخلق حتى إذا استوفوا آجالهم رجعوا إلى الموت ثم يعيدهم أحياء كما كانوا . دل الله تعالى بقوله إنه هو يبدئ ويعيد على أنه قادر على البطش الشديد ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ الغفور لمن آمن به ورجع عن كفره أو لمن عمل سيئات ثم تاب منها وقد يغفر لمن لم يتب وذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية الكريمة فى معرض المدح والتوبة على الزالين وإن لم يتوبوا فالله تعالى يتوب ويغفر للتائبين ولغير التائبين لأنه غفور مطلق المغفرة رحيم واسع الرحمة ودود متودد إلى عباده بالإحسان إليهم والتفضل عليهم ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ العرش أعظم خلق الله ومعنى أنه مجيد عظيم متناوٍ فى العظمة كريم بالغ الغاية فى الكرم رفيع بالغ النهاية فى الرفعة ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وإذا كان فعالاً لما يريد متى أراد أمراً نفذه ولا يقف فى وجهه مانع يمنعه ولا يستطيع أحد رده عما يبغى فعله ﴿فَعَّالٌ

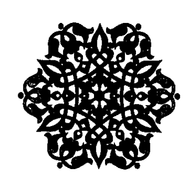
﴿لِمَا يُرِيدُ﴾ دل على منتهى المقدرة والعظمة إذا أراد أن يحسن إلى أى إنسان أحسن ولا يمنعه من الإحسان أحد، وإذا أراد أن يعاقب عاقب ولا يمنعه من المعاقبة مانع، فهو فعال لما يريد ، يفعل كل ما أراده لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه جل شأنه .

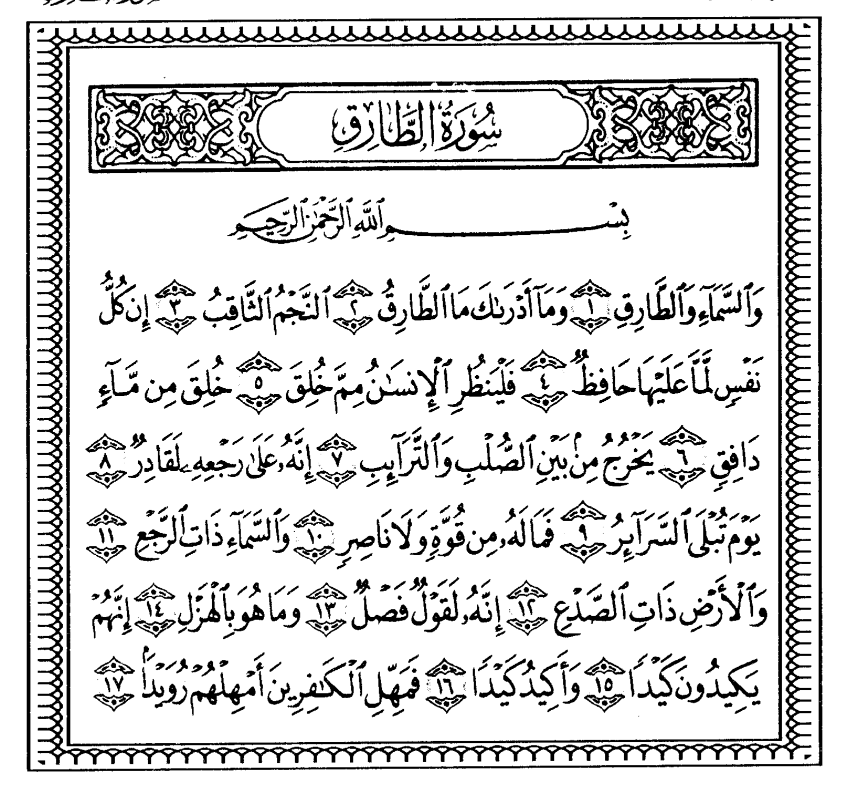
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ قد أتاك يا محمد حديث الجنود وما المراد بالجنود؟ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وليس المراد بفرعون وحده وإنما المراد هو وجنده ولمَ خص الله تعالى فرعون بالذكر؟ خصه بالذكر لأن الكتب المقدسة كانت مشغولة بقصته وكان أهل الكتاب يترددون على أهل مكة فكانوا ينبئونهم بقصة فرعون مع موسى فكانوا على علم بها، وثمود من العرب القديمة وكانت قصة ثمود معلومة عند العرب ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أى قد علمت يا محمد قصتهم وعلَمَها قومُك وهم كانوا أشد قوة وأعظم غنى وثروة من قومك وقد خالفوا رسلنا ورفضوا الإيمان بنا فأهلكناهم فإذا استمر أهل مكة على عدم الإيمان وعلى الاستهزاء بالرسول والقرآن فسيلحقهم من الإهلاك ما لحق الأقوى منهم وهم قوم فرعون وثمود فليأخذوا عبرة مما أصاب فرعون وقومه وأصاب قبله ثمود فيرجعوا إليَّ قبل أن يُؤْخذوا بكفرهم واستهزائهم بالنبى والقرآن ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ يا محمد لا تحزن على قومك فإن الحق بَيِّنٌ لهم وواضح لديهم وهم لم يكذبوك ولكنهم يجحدون بآيات ربك ، فالتكذيب محيط بهم متغلغل فيهم حتى أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا منه لا لعدم إبداء الحجة عليهم ولكن لتمكنه فيهم ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾هم فى قبضتنا وقدرتنا ونحن محيطون بهم وهل يمكن أن يخرجوا عن قبضتنا وهم فى حوزتنا فالله محيط بهم. هذا المسجد إذا أوصدت أبوابه وأحيط بمن فيه هل يمكن لأحد منهم أن يتفلت منه؟ كذلك الله تعالى محيط بهم من كافة نواحيهم وهم فى قبضته ولا يمكن أن يفلتوا من عقوبته ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾الذى أنزلناه إليك وكذبوا به قرآن شريف عظيم بالغ الغاية فى البلاغة وقد أنزل على قوم كانت الفصاحة مبلغ علمهم وكانوا يتباهون بها فأقروا له بالفصاحة والبلاغة ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ شريف عظيم ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ والله تعالى أخبرنا عن اللوح المحفوظ وأنه خُطَّ فيه كتابه وما معنى أنه محفوظ : معناه أنه

محفوظ من التغيير والتبديل ومحفوظ من أن يصل إليه الجن ويسترقوا ما فيه ومحفوظ من أن يمسه إلا المطهرون.

والواجب علينا أن نعتقد في اللوح ما أخبرنا الله به وليس لنا أن نبحث عن حقيقته لأنه لم يأت عن رسول الله ﷺ حديث متواتر يدلنا على حقيقته حتى نعتقدها منه وأسأل الله تعالى أن يَقِيَنا سوء الدنيا والآخرة وما ذلك على فضله بعزيز

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الجزء الثلاثون		سورة الطارق

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ
نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الطَّارِق

ما تشير إليه السورة:

سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة ونزلت بعد البلد وفيها ثلاثة من قواعد الإيمان : القاعدة الأولى الألوهية والثانية البعث والثالثة صحة نبوة النبى ﷺ .

أقسم ببعض المشاهد الكونية للتدليل على أن الله هو الخالق القادر المقتدر الرقيب دعوةً للإنسان للتفكر والتدبر ، فمن خلق الإنسان من ماء مهين وقدر له أسباب حياته قادر على أن يبعثه ويحاسبه .

القرآن قول فاصل بين الحق والباطل ليس فيه لعب أو هزل وإنما كله جد فى جد فحق على من يقرأ أو يستمع أن يكون فى منتهى الأدب والإتزان .

أسباب النزول :

أخرج إبن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله تعالى ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ** ﴾ قال نزلت فى أبى الأشد كان يقوم على الأديم فيقول : يا معشر قريش من أزالنى فله كذا ، ويقول إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدى عشرة اكفونى أنتم تسعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

الشرح:

هذه السورة الكريمة ذكر الله تعالى فيها ثلاثة من قواعد الإيمان : القاعدة الأولى الألوهية والثانية البعث والثالثة صحة نبوة النبى ﷺ فأشار إلى القاعدة الأولى من قواعد الإيمان بقوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن**

مَـاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْـرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّـرَائِبِ﴾ . ﴿وَالسَّـمَـاءِ وَالطَّارِقِ﴾ السـمـاء معلومةوالطارق اختلف العلماء فيه فمنهم من يقول إنه النجم ومنهم من يقول إنه نجم مخصوص وهو الثريا ومنهم من يقول إنه سائر الكواكب إلا أن المعتمد عند العلماء أن النجم مراد به كل نجم أما قوله تعالى ﴿وَالطَّارِقِ﴾ فالطارق معناه اللغوى : من يطرق ليـلاً أى يجىء فى الليل ولما كـان النجم لا يظهـر إلا فى الليل سـمى بالطارق، الله تعالى يقول : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه كأنه يقول وما الذى أدراك ما الطارق ثم إن الله تعالى بينه بقوله ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الثاقب معناها المضىء وكل نجم لا يخلو من إضـاءة ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّـا عَلَيْـهَـا حَـافِظٌ﴾ هنا قراءتان، القراءة الأولى «لَمَّا» بتشديد الميم والثانية «لمَا» بتخفيفها فإذا قرئ بالتشديد كانت إن نافية بمعنى «ما» وكانت لَمَّا بمعنى «إلاَّ» أما القراءة الثانية وهى التى بالتخفيف فإن «إنْ» أصلها إنَّ بالتشديد واسمها محذوف ولـما : اللام هى الفارقة بين إنْ النافية وإن المخففة من الثقيلة «ما» صلة مؤكدة وحاصل معنى القراءتين : كل نفس خلقها الله تعالى عليها حافظ ورقيب، ومن الحافظ والرقيب على كل نفس؟ الحافظ والرقيب على كل نفس إنما هو الله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[الأحزاب: 52] أى حافظاً أو الحافظ الملائكة . وإذا كان الحافظ الملائكة فما حفْظُهم إلا بأمر الله تعالى إياهم أن يَحْفظوا فالمرجع فى الحفظ إنما هو لله جل شأنه ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ وإذا كانت كل نفس عليها من الله حافظ يحفظ أعمالها ويراقبها ويشهد عليها بما تعمل فحق على كل نفس أن تفكر مم خلقت حتى تعلم أن الله تعالى هو الذى أوجدها وهيمن على أعمالها وحفظها وسيجازيها عليها فى يوم يبعثها فيه ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ أجاب على هذا الاستفهام بقوله ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ والماء الدافق إنما هو فى الرجل وفى المرأة وذلك أنهما إذا اتصلا جنسيا دفق ماء الرجل فى رحم المرأة ودفقت المرأة ماءها فى رحمها فبالتقاء ماء الرجل بماء الأنثى كان الحمل ولذا يقول الله تعالى ﴿خُلِقَ مِن مَّـاءٍ دَافِقٍ (٥) يَخْـرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّـرَائِبِ﴾ يخرج هذا الماء من بين الصلب والترائب ، والصلب هو الظهر وبعض العلماء يقول إن الصلب هو ما تسميه العامة بسلسلة الظهر أى فقار الظهر والترائب هى عظام الصدر فالمادة المنوية لكل من الرجل والأنثى تخرج من فقار الظهر ومن الترائب وهذه المادة الكريمة لابد

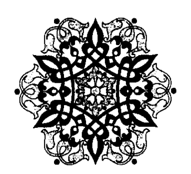
منها فى تكوين الإنسان كأن الله تعالى يقول إذا اتصل الرجل بأنثاه ودفق ماء الرجل وماء المرأة والتقى حيوان المنى من الرجل بالبويضة التى أنزلتها الأنثى كان الحمل. إذن الحمل لا يتأتى إلا إذا دفق ماء الرجل ودفقت الأنثى وكان موضع الدفق إنما هو الرحم إذ ذاك يلتقى الحيوان المنوى من الرجل فى بويضة الأنثى فيكون الحمل.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

وإذا كان الله تعالى قادراً على إيجاد الإنسان من هذا الماء الذى لا أثر فيه للخلق وإنما هى قدرة الله تعالى التى كونته حتى صار إنساناً سوياً فحق عليه أن يعتبر وأن يفكر فى أن الذى قدر على إيجاده من هذا الماء الذى لا صلة للحياة به قادر على أن يبعثه ليلقى جزاء ما عمل ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إن الخالق جل شأنه على رجع هذا المخلوق من الماء الدافق يوم القيامة ليجازيه على ما عمل لقادر﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تختبر السرائر ، وما السرائر؟ هى العقائد والنيات والأعمال التى كلفك الله تعالى بفعلها هذه سرائر عندك وأمانات لديك ومعنى بلائها إظهارها وكشفها للناس وللملائكة حتى يتبين حالك ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ فما للإنسان من قوة ذاتية يدفع بها بلاء الله عنه وما له من ناصر : من عشيرة أو معاهدين ينصرونه على ربه بل حاله إذ ذاك استسلام لما يريده الله به ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ وما الرجع؟ الرجع إنما هو الماء ولمَ سُمى الماء رجعا؟ لأن السماء تُمطر وبعدَ حين تعود إلى إمطارها وأهم ما يبتغيه العربى إنما هو الماء لأن به حياته وحياة ماشيته ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الصدع : النبات وسمى صدعاً لأنه يصدع الأرض أى يشقها فالنباتات والأشجار حينما تنبت تشق الأرض فالصدع هو الشّق والمراد به النبات وإنما سمى النبات صدعاً لأنه يصدع الأرض أى يشقها حتى يبرز منها ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ هذه هى القضية الثالثة التى تعرضت لها تلك السورة وهى النبوة وإثباتها . إن القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل كما سمى فرقانًا لأنه يفرق بين الحق والباطل كذلك سُمى

القرآن فصلاً لأنه يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ليس فى القرآن لعب وإنما كله جَد فى جد فحق على قارىء القرآن أن يقرأه وهو فى منتهى الأدب وغاية التيقظ كذلك حق على سامعه أن يستمعه وقلبه حاضر وأن يكون فى منتهى الاتزان ولا يصدر منه إلا ما يناسب جلال القرآن وعظمة منزّله ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾إن كفار مكة يكيدون كيدا حتى يبطلوا نبوتك ويعطلوا رسالتك ويسيئوا إلى حضرتك ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وسأجازيهم على كيدهم والكيد معناه المكر والله تعالى لا يمكر فإذا أسند المكر إلى الله تعالى كان معناه أنه يجازى الماكرين على مكرهم والكافرين على كيدهم، سأمهلهم وأستدرجهم من حيث لا يعلمون حتى أوقع بهم ما قدرته عليهم من بلاء وإذا كان الأمر كذلك يا محمد ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ لا تستعجل نصرك عليهم ولا تستبطئ تعذيبهم فإن لهم وقتاً متى جاء هذا الوقت حل بهم ما قدرته عليهم ونزل بهم ما يهلكهم ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد من الله تعالى لنبيه ﷺ بأنه لا يستبطئ إنزال العذاب عليهم فإن له وقتاً إذا جاء حل بهم ﴿رُوَيْدًا ﴾ زمناً قليلاً وفيه تأكيد لأنه متى جاء هذا الزمن لابد وأن يحيق بهم بلاء الله جل شأنه وفى هذه الآية الكريمة إيعاز عظيم للكافرين بأن ما قدره الله من تعذيبهم لابد وأن يحل بهم ووعد عظيم للمؤمنين بأنهم متى أدوا رسالة ربهم ونفذوا ما أمره وعملوا بالجد فى الدعوة إليه لابد وأن ينصرهم الله تعالى على أعدائهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الجزء الثلاثون سُورَةُ الأعلى



سُورَةُ الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾





ما تشير إليه السورة:

1- سورة الأعلى مكية آياتها تسع عشرة نزلت بعد التكوير .

2- خطاب لرسول الله ﷺ وأمر لجميع الخلق بالتسبيح والحمد .

3- تحمل بشريات عظيمة للمصطفى ﷺ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ ، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ .

4- تتضمن قواعد إيمانية ؛ توحيد - إنزال الوحى على الرسول ﷺ - الحساب والجزاء فى الآخرة كما أن ذلك ورد أيضاً فى الصحف الأولى .

أسباب النزول:

أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال : كان النبى ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من الوحى حتى يتكلم النبى ﷺ بأوله مخافة أن ينساه فأنزل الله « **سنقرئك فلا تنسى** » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ نزه اسم ربك ونزه ربك ، نزه اسم ربك بألا تذكره فى مكان لا يليق بذكره وبأن تذكره مع الخشوع لحضرته ، ونزه ربك فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله وفى أسمائه ، أما تنزيه ربك فى ذاته فبأن تعتقده واحداً لا شريك له ، وأما تنزيه ربك فى صفاته بأن تعتقد بأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وأما تنزيه ربك فى أفعاله بأن تعتقد أن أفعاله لا يَعْدلُها فعل وليس لها مثيل ، وأما تنزيه ربك فى أسمائه فلا تطلقها على سواه فلا تُسَمِّ صنما بإله ولا تسم وثنا برب ، والمصطفى ﷺ كان يحب هذه السورة وكان يقرؤها فى الركعة الأولى من صلاة

الجمعة ويقرأ بالغاشية فى الركعة الثانية، والمصطفى ﷺ حينما كان يقرأ هذه السورة كان يقول سبحان ربى الأعلى، وقد قرأ الإمام على وهو فى الصلاة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ثم قال: سبحان ربى الأعلى فسُئل أَزيد فى القرآن؟ فقال: كلا وإنما أمرت بأن أسبِّح فسبَّحْتُ، وحينما نزل قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74] قال النبى ﷺ «**اجعلوها فى ركوعكم**» وكانوا من قبل يقولون: «لك ركعت» وشتان بين سبحان ربى العظيم وبين لك ركعت وحينما نزل قوله تعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال النبى ﷺ «**اجعلوها فى سجودكم**» وليس المراد من (الأعلى) علو المكان فإن الله لا مكان له جل شأنه وإنما المراد علو المكانة والمنزلة والقوة والاقتدار. حينما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ كأن قائلاً قال: ومن ربنا الأعلى؟ فأجاب الله على هذا السؤال بقوله: ﴿ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ خلق مخلوقاته جميعاً وسواها جعلها فى منتهى الإحكام وغاية النظام دالةً على أن خالقها حكيم وبما تحتاجه عليم ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3] بل كل خلقه محكم الصنع بديع التركيب مهما تأملته لا تجد فيه عيباً فسبحان الله أحسن الخالقين. ويمكن أن نقول خلق خلقه فسوى هذا الخلق فجعل الرِّجلين سواء وجعل اليدين سواء وجعل العينين سواء وجعل الأذنين سواء ولم يجعل إحدى القدمين قصيرة والأخرى طويلة ولا اليدين إحداهما طويله والأخرى قصيرة ولا العينين إحداهما سوداء والأخرى بيضاء ولا الأذنين إحداهما طويلة والأخرى قصيرة بل سوى هذه الأجزاء فى الحيوان والإنسان.

﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدر لكل مخلوق ما يصلحه وهداه كيف يَنتفع به. خلق الذكر والأنثى وهدى الذكر إلى كيفية الاتصال بالأنثى حتى يبقى الجنس، وخلق الإنسان والحيوان وما يصلحهما من أسباب المعاش وما يعينهما على البقاء ودلهما بهدايته وبالفطرة وبإلهامه على كيفية الانتفاع بما خلقه لهما حتى يبقوا ﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدر لكل مخلوق ما يصلحه وهداه إلى وجه الانتفاع به حتى إن بعض الطيور لها هجرة فى فصل من فصول السنة، لمَ؟ لأن الجهة التى وجدت فيها لا يناسبها هذا الفصل فذهبت إلى جهة أخرى وما أبعد المسافة بين الجهتين، هاجرت إلى الجهة الأخرى لأن بها قوامها وصلاحها، بعض الأسماك يهاجر ويقطع

مسافات شاسعة فى أزمنة طويلة لأن بيئته التى ولد فيها لا تناسبه فى هذا الفصل فهاجر إلى جهة تناسبه، ويقولون إن الحية إذا عاشت ألف عام عميت وأنها إذا حكَّت عينيها بشجرة خاصة يزول عماها وقد يكون بينها وبين تلك الشجرة مسيرة أشهر فعلى عماها وكبر سنها تقطع هذه المسافة حتى تصل إلى تلك الشجرة ويهديها الله إليها فتدعك عينيها بها فيزول عماها، ويقولون إن التماسيح لا دبر لها ينزل منها فضلات الطعام، فألهم الله طائراً يفتح التمساح فمه فيدخل هذا الطائر فى فم التمساح ويلتقط فضلات الطعام منه وخشيةأن يطبق التمساح فمه عليه جعل الله ما يشبه القرن فى أعلى هذا الطائر وفى أسفله حتى إذا أراد التمساح أن يطبق عليه فمه شكه القرنان فارتفع فمه ليخرج هذا الطائر بعد أن يلتقط فضلات التمساح .

﴿وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ النبات الذى ترعاه الحيوانات أخرجه من الأرض غضاً طرياً حتى تنتفع الحيوانات بأكله، وقد يكون أبيض وقد يكون أحمر وقد يكون أصفر وقد يكون أخضر ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ غثاءً باليا متكسراً، أحوى : أسود بعد أن يكون مخضراً وفيه نضرة يتحول حينما يهيج وييبس إلى قطع صغيرة فتنزل عليها الأمطار أو تمر عليها السيول، حينما تجف بعد أن نزل عليها المطر أو سالت عليها السهول تصير مسودة، وهذا مثل ضربه الله للدنيا حتى يتعظ من يسمعه، الدنيا تكون نضرة متبرجة مستلذة لأهلها ونهايتها إلى فناء وخراب كهذا النبات الذى يكون مخضرا رائقاً ثم يجف فتنزل عليه الأمطار وتسيل عليه السيول ويكون متكسراً أسود، فهذا مثلٌ ضربه الله تعالى للكافرين ذاكراً فيه حال الدنيا حتى لا يتكالبوا عليها ويتهافتوا على طلبها .

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾

بعد أن ذكر الله تعالى نعمته على الحيوان وعلى الإنسان أراد أن يذكر نعمته الخاصة بسيد الوجود ﷺ فقال : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ سيقرأ عليك جبريل الكتاب الكريم وهو القرآن، ونبشرك يا محمد بأن هذا الكتاب الكريم الذى علمك إياه جبريل سَيَثْبت فى قلبك ولا تنسى منه شيئاً، فهذه الآية فيها معجزتان للمصطفى

ﷺ بيانهما أن هذه الآية مكية ومن أوائل ما نزل وقد بشر الله فيها نبيه ﷺ بأنه سيحفظ هذا الكتاب الكريم ولا ينسى منه شيئاً، وتعلمون أن النبى ﷺ كان أمياً لا يكتب وقد حقق الله هذه البشارة فحفظ النبى ﷺ القرآن وما نسى شيئاً منه، إذن أخبره الله قبل أن ينزل عليه الكثير من القرآن بأنه سيحفظه فحفظه المصطفى ﷺ مع أن القرآن كتاب كريم كبير فلم يتفلت من المصطفى ﷺ شيء منه، ففى هذه الآية معجزة للرسول ﷺ إذ نزلت عليه هذه الآية قبل أن ينزل الكثير من الكتاب الكريم ومدلولهما تحقق وهو حفظ القرآن من المصطفى ﷺ وعدم نسيان شيء منه. ولمَ نزلت هذه الآية ؟ المصطفى ﷺ حينما كان ينزل عليه جبريل بالقرآن بمجرد أن يسكت جبريل كان يقرأ النبى ﷺ ما أنزله برفع صوت وكأن قلبه يقول له لو لم تقرأ لتفلت منك ما نزل به جبريل ، فأراد الله تعالى أن يدله على الأدب الأكمل فى تلقى القرآن فقال له : يا محمد إطمئن ولا تخش أن يتفلت منك ما نزل به الوحى ونبشرك أنه سَيَثْبُت فى قلبك وتتأتى لك قراءته فلا داعى لأن تشغل لسانك بالتلاوة مع وجود المعلم أو أن تشغل نفسك بالتفكير فى أنك تنسى، فاطمئن إلى أنك ستحفظ حفظاً متيناً لا تنساه، فهذه الآية الكريمة هى كقوله تعالى ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:16] إن علينا جمعه فى قلبك وتثبيته فيه وإن علينا أن تقرأه بعد أن ينصرف جبريل وهى أيضاً مثل قوله تعالى : ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه:114] لا تعجل بالقرآءة مع وجود الوحى، وبعد أن ينصرف الوحى وهو جبريل إطمئن بأن القرآن يبقى فى قلبك، فالآيات الثلاث تشير إلى أمر واحد حاصلهُ إطمئن يا محمد بأن القرآن سيبقى فى قلبك ولا يتفلت فلا تحرك به لسانك لتعجل به ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ ، ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ**﴾ .

أما من يدَّعون أن النبى ﷺ هو الذى أوحى القرآن وأنزله على نفسه فدعواهم باطلة لأن جبريل حينما نزل على النبى ﷺ قال له : اقرأ فقال : «**ما أنا بقارىء**» فقال له : اقرأ باسم ربك الذى خلق . الله تعالى يقول : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ**﴾ [الضحى:7] إذن المصطفى ﷺ ما كان يعلم شيئاً من القرآن قبل أن يوحى الله إليه به، وكان يخشى أن يتفلت منه لأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب، فبشره الله تعالى بهذه الآية الكريمة على أن القرآن سيبقى فى قلبه ولا يتفلت منه ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ ولمْ يشأ الله

أن ينسى منه شيئاً فلم ينس . ويمكن أن يقال إن المعنى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ۝٦ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا ما شاء اللهُ نَسْخَ حكمه وتلاوته فإنك تنساه لأن الله شاء نسخ تلاوته وحكمه ، أما إذا أبقى الحكم ونسخ التلاوه أو نسخ الحكم وأبقى التلاوه فإن المصطفى ﷺ لا ينساه ، ويمكن أن يقال إن المصطفى ﷺ باعتبار أنه إنسان عرضة للنسيان فقال الله تعالى ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ليدله على أن إبقاء القرآن عليه دون نسيانه ما هو إلا من فضل ربه وإحسانه وإلا فالإنسان عرضة للنسيان ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ يعلم جهرك أمام جبريل بمجرد أن يفرغ من الإيحاء إليك ويعلم ما يخفى في قلبك من أنك إنما تجهر مع وجود جبريل خشية أن تنسى أو يعلم علانيتك وسرك أو يعلم أحوالك الظاهرة والباطنة ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ بشرى أخرى للرسول ﷺ ﴿نُيَسِّرُكَ ﴾ نوفقك لليسرى : للملة الحنيفية السمحة أو لحفظ القرآن الكريم أو لعمل الجنة وقد امتن الله على رسوله ﷺ بالخطة الميسرة السهلة الهينة اللينة في أفعاله وفي أخلاقه وفي هدايته وفي علمه وفي تعليمه وفي كافة شئونه ـ فالمصطفى ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإنه يكون أبعد الناس عنه ؛ يسر في علمه ويسر في تعليمه ويسر في دينه ويسر في معاملته ويسر هو صفته ﷺ في كافة شئونه .

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩

بعد أن امتن الله على رسوله ﷺ بالقرآن وبعد أن امتن الله تعالى عليه بتوفيقه للخطة الميسرة أمره وهو الكامل بأن يكمِّل عباده فقال ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وُصلت فحفظت القرآن ووصلت فَيَسرتُ لك اليسرى وحيث إن الأمر كذلك حفَّظناك القرآن ويسرناك لليسرى في كل شئونك فيا أيها الكامل كَمِّلْ غيرك ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ الذكرى تنفع فلمَ ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ؟ بعض العلماء يقول

«إنْ» بمعنى إذْ ـ فذكر إذ نفعت الذكرى والذكرى وهى العظة لاشك أنها نافعة وحيث إن الذكرى نافعة فذكر دائماً أبداً والموفَّق الذى يخشى ربه سينتفع بتذكيرك . وبعض الكرام يفـهم فيقول إن المصطفى ﷺ كان مأموراً فى مبدأ الأمر بأن يذكِّر نفعت الذكرى أو لم تنفع حتى يبلِّغ وبعد أن بلَّغ ووصلت رسالته إلى الناس ؛ فى الناس معاندون ومكابرون لا يصيخون إلى عظة ولا تلتفت قلوبهم إلى تذكير وقد بلغتهم الدعوة أرح نفسك من هؤلاء ولا تتعب فى دعوتهم فإنك بلَّغتهم : إذن فى مبدأ الأمر كان مكلفاً بأن يدعو وبأن يواصل الدعوة وبعد أن وصلت الدعوة إلى القلوب وقابلها معاندون لا يستجيبون لحظة أمره الله تعالى بأن يكف عن دعوتهم فإنهم لا يستجيبون وقد وصل الحق إليهم إلا أنهم معاندون فلا داعى لأن تتعب نفسك مع هؤلاء ووفر قواك لتنشط فى دعوة سواهم ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ**﴾ من يخشى الله ويخافه سيتعظ بتذكيرك إياه وبتلاوتك القرآن عليه وبتخويفك له من ربه ﴿**وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى**﴾ يتجنب ماذا؟ يتجنب العظة ويتجنب الاستماع إلى القرآن والموعظة به لمَ؟ لأنه أشقى ومن المراد بهذا الأشقى الذى يصلى النار الكبري ؟ فيقولون إنه الوليد أو كل كافر يتجنب الإتعاظ بما يسمع منك ويبتعد عنه ﴿ **الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى**﴾ وما النار الكبرى؟ السفلى لأن النار طبقات أسفلها أشدها ويقولون إن نار الآخرة نارُ الدنيا جزءٌ من سبعين منها أو من مائة وأطْفِئت سبعين مرة أو مائة مرة حتى يتهيأ للناس الانتفاع بنها .

﴿ **ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ**﴾ يصلى النار الكبرى يدخل فيها ويعذب بها ثم لا يموت ـ روحه تصل إلى حلقه فتقف ولا تخرج حتى يموت فيستريح ، ولا يحيا حياة فيها لذة وراحة ، إذن لو مات لاستراح ولو صَلىَ النار وعلم أنه يموت بهذا الصِّليّ لكان أهون على نفسه وأخف وقعاً من أنه لا يمَوت فيستريح ولا يحيا حياة يلتذَ بها إذن قوله ﴿ **ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ**﴾ زيادة فى تعذيبه لأن تأرجحه بين الموت والحياة أشد إيلاما له من مس النار إياه ومن تعذيبه بها ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:77] يعنى لا موت بل أنتم ماكثون فى العذاب الخالد الذى لا موت فتستريحوا ولا حياة تلتذون بها ومن الذى يكون حاله هذا؟ الكافرون ، أما العصاة من المؤمنين فإنهم يموتون فى جهنم حتى تنتهى المدة التى

قضى الله بقاءهم فيها فيخرجون منها جماعات جماعات ويرسل الله إليهم ماء ينبتون فيه كما تنبت الحبة في السيل، إذن عصاة المؤمنين يموتون كما جاء في حديث مسلم وهو حديث صحيح أما الذين لا يموتون فيستريحوا ولا يحيون حياة يلتذون بها فإنما هم الكفرة - ثم يقول الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ من قال لا إله إلا الله تزكى من الشرك بالإيمان بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو تزكى طهر نفسه بكثرة الأعمال الصالحة التي يأتي بها، أو تزكى أدى زكاة الفطر ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ آمن وأتى بما يطلبه الإيمان أو أكثر من الأعمال الصالحة التي تتزكى بها نفسه وتطهر أو أدى زكاة الفطر ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ذكر اسم ربه (الله أكبر) ثم جاء بالصلوات سواء أكانت الصلوات مفروضات أم نافلات وبعض العلماء يقول إن المراد بالزكاة زكاة الفطر والمراد بذكر اسم ربه ذكر الله تعالى بأن يكبر وهو ذاهب إلى صلاة العيد ﴿فَصَلَّى ﴾ فصلى صلاة العيد والمصطفى ﷺ فسرها بهذا ﴿تَزَكَّى﴾ أدى زكاة الفطر وبعد أن أداها خرج إلى المصلى مكبراً كما هي السنة ثم صلى صلاة العيد، وكان السلف الصالح يحافظون على تأدية زكاة الفطر قبل أن يذهبوا إلى المصلى ويقولون لا نبالي أن يكون لنا عمل غير هذا ولمَ؟ لأن الله تعالى حكم بالفَلاح على من أدى الزكاة وصلى العيد فكانوا يقدرون الزكاة منتهى التقدير ويحافظون عليها غاية المحافظة لأن الله تعالى جعل الفلاح معلقاً بها ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ يعني فاز بالجنة. فاز بالجنة مَنْ؟ ﴿مَن تَزَكَّى﴾ أدى زكاة الفطر وكبر وهو ذاهب إلى صلاة العيد وصلى العيد. ثم يخاطب الله الكفار قائلا ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلا تفعلون ما به تفلحون وهو الإيمان والأعمال الصالحة وفيه قراءة (بل يؤثرون) أي الكفرة ويمكن أن نقول إن الخطاب للمؤمنين وإنما خاطبهم الله تعالى حثا لهممهم وتوجيهاً لهم إلى ما ينفعهم حتى لا يتهافتوا على الدنيا ويقبلوا على النافع ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ولمَ يؤثر الناس الحياة الدنيا على الآخرة ويقدمونها عليها؟ والواقع لو نظرنا في أحوال الناس لوجدناهم يقدمون الدنيا على الآخرة ، إذا كانت عندك مزرعة تفكر في تسميدها وفي سقيها وفي غرسها وفي حراستها حتى لا يُسْطَى عليها وعمل الآخرة تأتي به كما اتفق، ولأن الدنيا عجلت نساؤها وعجلت طيباتها وعجلت بساتينها ومزارعها والنفس مولعة بحب العاجل فتقبل على الدنيا

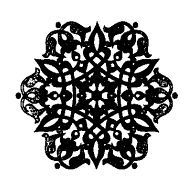
وتنسى الآخرة . إذن السر فى إيثار الدنيا على الآخرة أن الدنيا عجلت ويشهد متاعها بالعيون، أما متاع الآخرة فما هو إلا خبر، ولكن هذا الخبر جاء عمن؟ عن الصادق جل شأنه على لسان رسوله ﷺ فمن شرح الله صدره وأخلص قلبه للإيمان وتمكن فى قلبه يؤثر الآخرة ولا يؤثر الدنيا .

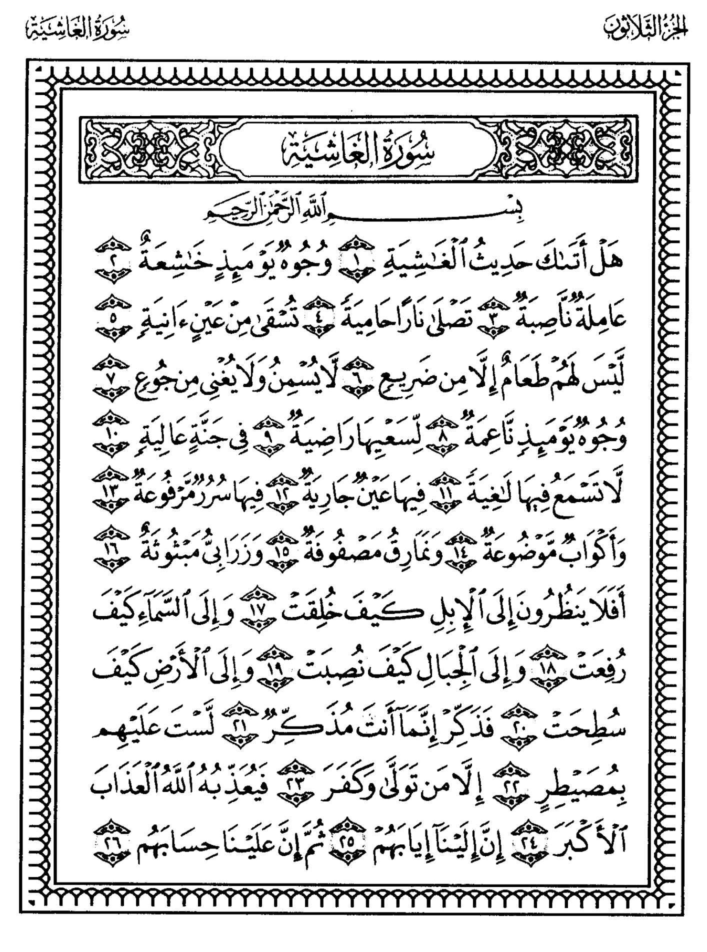
﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ خير : أفضل لأن متاع الآخرة لا تنغيص فيه، ومتاع الدنيا كم فيه من تنغيص إذا أقبلت على الطعام بشره ضعفت معدتك وقد تمرض، وإذا أقبلت على النساء ضعفت وتألمت، أما فى الآخرة تتمتع ما تشاء نفسك أن تتمتع ولا يصيبك ألم ولا غم . إذن الآخرة خير فى ذاتها لأن متاعها ونعيمها لا تنغيص فيه، والدنيا مَنْ عنده نعيمُها قد لا تكون عنده الصحة فيكون نعيمها حسرة فى أنفسهم وغماً فى قلوبهم وبلاءً عليهم، عندهم ولا يستطيعون، ولو كانت الآخرة من خزف والدنيا من ذهب والآخرة باقية والدنيا فانية لكان العاقل يقدم خزف الآخرة الباقى على ذهب الدنيا الفانى فكيف والآخرة من ذهب والدنيا من خزف .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ «إن هذا» ما هذا؟ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ هذه الآيات الأربع مما اتفق عليه كل الملل وأنزل فى سائر الكتب، ثم ذكر من الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى : موسى لأنه صاحب الملة اليهودية وما النصارى إلا من اليهود وجاء عيسى لأن اليهود تكالبوا على الدنيا بعَضِّهم فيها، فالملة النصرانية أصلها اليهودية . وذكر صحف إبراهيم لأنه أبو الأنبياء ولأن المسلمين ينتمون إليه ولأنه سمانا المسلمين من قبل وإلا فهذه المعانى مذكورة فى كل الكتب المتقدمة، وخص إبراهيم وموسى لأن موسى صاحب الملة اليهودية وإبراهيم صاحب الملة الحنيفية وكلاهما له اتصال بالعرب، كان كثير من اليهود فى بلاد العرب والعرب من أبناء إسماعيل بن سيدنا إبراهيم وما الذى كان فى الصحف الأولى هل هذه الآيات بنفسها أم معناها؟ معناها : لأن التوراة والإنجيل عبرى أو سريانى وبقية الصحف بلغات أنبيائها واللغة العربية إنما كانت فى بلاد الحجاز واليمن إذن معنى هذه الآيات هو الذى كان فى الصحف الأولى وليست هذه الألفاظ وإنما معناها كان مذكوراً فى الكتب السابقة .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وكم الكتب التى أنزلها الله والصحف؟ يقولون إن الصحف مائة ؛ نزل على شيث بن آدم خمسون ونزل على إدريس ثلاثون ونزل على إبراهيم عليه السلام عشر صحف ونزل على موسى قبل التوراة عشر صحف، والكتب أربعة ؛ التوراة كتاب موسى والإنجيل كتاب عيسى والزبور كتاب داود ـ عليهم السلام ـ والقرآن أنزل على خاتمهم نبينا ﷺ ، ويقولون إن فى صحف موسى ينبغى للعاقل أن يكون بصيراً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه ومن علم أن كلامه من عمله لم يتكلم إلا بما يعنيه ، وحسبنا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾



ما تشير إليه السورة:

1- سورة الغاشية مكية آياتها ست وعشرون نزلت بعد الذاريات .

2- الأدلة والبراهين على وحدانية الله رب العالمين وقدرته الباهرة .

3- بيَّن الله تعالى فيها بعض ما يصيب عباده يوم القيامة وذكر فيها جزاء الكافرين وذكر فيها جزاء المؤمنين ثم أمر نبيه ﷺ بالتذكير إذ هو مبلغ وأن مرجع العباد إلى الله تعالى جل شأنه وهو المجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

أسباب النزول:

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة قال : لما نعت الله ما فى الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17] لما فيها من العجائب فى قوتها وقدرتها على التحمل والتكيف مع البيئة الصحراوية ومع عظم منافعها تسهل قيادتها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

الشرح:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ «هل» معناها قد ، أى قد أتاك حديثها يا محمد وإنما جاء بصيغة الاستفهام ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ليشوق المستمعين إلى الجواب وينبههم إلى أهوال هذا اليوم العصيب ، الغاشية ، القيامة ولمَ سُميت غاشية؟ لأنها تغشى الناس بأهوالها وتلبسهم شدائدها فكأنها تغشتهم ، والبعض يقول إن الغاشية هى النار لأن الله تعالى يقول : ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[براهيم: 50] . ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41] . ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾وجوه الكافرين

خاشعة ذليلة ولم ذلَّت؟ لأن الخزى والهوان أحاط بها يوم القيامة وما المراد بالوجوه؟ المراد بها الأنفس ولمَ أطلق الله تعالى على الذوات والأنفس الوجوه؟ لأن البلاء إذا بلغ أشده والمسرَّة إذا بلغت منتهاها بدت آثارهما على الوجوه فلذا ذكر الله تعالى الوجوه فقال: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ** ﴾ ويمئذ يوم تقوم القيامة أو يوم تغشى وجوههم النار خاشعةً ﴿**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ** ﴾ عاملة فى الدنيا بما تقتضيه شهواتها وملذاتها ولمْ تقدم عملاً لله تعالى يرضى به عنها يوم القيامة ﴿**نَّاصِبَةٌ**﴾ متعبة تعباً لا مزيد عليه. حينما يلقيها الله تعالى فى جهنم فتعمل: ماذا تعمل فى جهنم؟ تجر السلاسل والأغلال فى النار وتصعد على جبال من نار وتنحط إلى أودية من نار وتمشى فى النار كما تمشى الإبل فى الوحل أو عاملة فى الدنيا أعمالاً شاقة عليها من قيام ليل وصيام نهار إلا إنها لم تؤمن بربها فجزاؤها أن تنصب وتتعب فى جهنم تعباً شديداً كما بينت لكم ﴿ **تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً**﴾ تدخل فى جهنم ونار جهنم حامية لأنها منذ خُلقت وهى يوقد عليها حتى دخلها من دخلها فما أشد حرها وأصعب بلاءها ﴿ **تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ**﴾ تسقى الذوات الكافرة من عين آنية من عين بلغت المنتهى فى الحرارة لأنه أوقد عليها وقوداً متواصلاً حتى غلت غلياناً شديداً ﴿ **لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ**﴾ «ليس لهم »، ليس لأهل النار طعام يأكلونه إلا من ضريع وما الضريع؟ الضريع شىء فى النار يشبه الشوك أنتن من الجيف وأشد حراً من النار جعله الله طعاماً لأهل النار، وجاء فى بعض الآثار أن أهل النار يبتليهم الله تعالى بالجوع فيجدون من ألمه أشد مما يجدون من ألم النار فيستغيثون ويطلبون طعاماً فيؤتيهم الله تعالى الضريع الذى هو أحَرُّ من النار وأنتن من الجيف وأمرُّ من الصبر فيأكلونه ثم يطلبون طعاماً غير هذا فيبعث الله إليهم بطعام ذى غُصَّة يقف فى حلوقهم فيتذكرون أنهم حينما كانوا فى الدنيا كانوا يتخلصون من الغصة بالماء فيجأرون إلى الله طالبين ماءً ليذهب غصتهم فبعد ألف سنة يبعث الله إليهم الحميم والحميم ماء حار بالغ الغاية فى الحرارة حينما يصل إلى وجوههم تشوى به الوجوه وحينما يضعونه فى أفواههم ويصل إلى بطونهم تتقطع أمعاؤهم ﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ [محمد:15] جاء فى بعض الآيات ﴿**لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ**﴾ وفى بعضها ﴿ **وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ**

غسلين﴾ [الحاقة: 36] وفى بعضها ﴿إنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤)﴾ [الدخان: 43، 44] هل خلاف فى أطعمة أهل النار؟ الجواب أن أهل النار طبقات فطبقة طعامها الزقوم وطبقة طعامها الغسلين وطبقة طعامها الضريع أو أن لهم حالات ؛ حالة يقدم إليهم فيها الضريع وحالة يقدم إليهم فيها الغسلين وحالة يقدم إليهم فيها الزقوم ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ من ضَرِيعٍ﴾ حينما نزلت هذه الآية الكريمة قال كفار قريش إن إبلنا تأكل الضريع وتسمن عليه وهم فى قولهم هذا كاذبون لمَ؟ لأن إبلهُم إنما كانت تأكله وهو رطب ويسمى حينما يكون رطباً الشبرق فتأكله الإبل وتستسيغه، حينما يجف الشبرق يسمى الجاف منه الضريع وهو سم قاتل لا يمكن أن يؤكل. حينما قالوا إنا إبلنا تَسْمنُ عليه رد الله عليهم بقوله ﴿ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِى من جُوعٍ﴾ إنما يُبْغَى الطعام لتسمَن به الأبدان وليدفع عنها شر الجوع، والضريع لا تأكله الإبل ولو فرض وأنها أكلته لا يفيدها السِّمَن ولا يدفع عنها غائلة الجوع فكيف يأكله الإنسان.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

بعد أن ذكر الله تعالى ما يلقاه الكافرون من العذاب انتقل كما هى عادته جل شأنه إلى ما يلقاه المؤمنون من الثواب فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ذوات المؤمنين يوم القيامة ناعمة، من النعومة لينة رطبة هشة بشة، أو من التنعم متنعمة ومتلذذة بما أنعم الله به عليها من فواكه الجنة وخيراتها ﴿ لسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ لعملها الصالح فى الدنيا ترضى عنه فى الآخرة لمَ؟ لأنه أوصلها إلى النعيم المقيم وإلى النظر إلى وجه الله الكريم وإلى التمتع بنعم الجنة وطيباتها ﴿ فى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ عالية: مرتفعة القيمة عظيمة القدر أو مكانها مرتفع، اللفظ يحتمل هذا، والجنة درجات ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ لا تسمع فى الجنة لغواً؛ كلاماً لا معنى له ولا لفظاً يسوء به أحد أحداً لمَ؟ لأن كلام الجنة إنما هو فى العلم وفى حمد الله تعالى على نعمه عليهم وفى ذكره وشكره على آلائه، لا تسمع يا مخاطب فى الجنة لاغية أو لا

تسمع الذوات المنعَّمة التى أكرمها الله بدخول الجنة فى الجنة لغوا لأن الجنة لا لغو فيها وكل ما فيها كلام فى علوم أو تسبيح وتمجيد وشكر للحى القيوم.

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ليست عيناً واحدة وإنما هى عيون كقوله تعالى : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] نفس : نفوس، كذلك ليس فى الجنة عين واحدة وإنما فيها عيون جارية على وجه الأرض دون حفر محفورة لها ولا تعتدى على ما حواليها من أثث متاع، أو فيها عين جارية عين عظيمة جداً خصها الله تعالى بالذكر لعظم منافعها وزائد فوائدها ﴿فِيهَا﴾ فى الجنة ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ مرفوعة القدر لأنها عظيمة القيمة ألواحها من ذهب وقوائمها من زبرجد وياقوت أو مرفوعة المنزلة ومرفوعة المكان حينما يبغى المسلم أن يجلس عليها تتواضع وتنزل وحينما يجلس عليها ترتفع. لمَ ترتفع؟ حتى يشهد المؤمن وهو عليها ما خوله الله إياه فى الجنة وقد قلت لكم فى مجالس سابقة إن أفقر أهل الجنة له مثل الدنيا فيها عشر مرات والدنيا أغلبها بحار وأغلبها صحارى وقفار، الجنة لا صحراء فيها ولا قفر بل كل ما فيها أخضر يانع منتج مثمر وقصور من زَبَرْجَد وياقوت فالمؤمن حينما يرتفع به سريره يشهد ما ملكه الله إياه فى الجنة على كثرته وبُعْد أطرافه ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ الكوب معروف وهو إناء يسقى فيه الشراب لا أذن له، وموضوعة أمامهم وعلى حافات الأنهار والعيون حتى يتلذذوا برؤيتها وحتى لا يتعبوا فى طلبها إذا أرادوا شراباً، هى مملوءة وموضوعة أمامهم وعلى حافات العيون التى فى الجنة ليتمتعوا بالنظر إليها إذ النظر إليها منعش وليشربوا إذا أرادوا ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ نمارق جمعُ نُـمْرُقَة والنمرُقَة الوسادة الصغيرة ما نسميها المخدة، مصفوفة موضوع بعضها بجانب بعض على الأسرة وعلى البسط ولمَ؟ إذا أراد المؤمن أن يجلس جلس على وسادة واتكأ على الأخرى مصفوف بعضها بجانب بعض على الأسرة وعلى البسط حتى إذا أراد المؤمن أن يجلس كانت مهيأة فيجلس عليها وإذا أراد أن يتوسد كانت الأخرى بجانبها وهى وسائد لا عداد لها ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ رزابى ؛ بسط عظيمة فاخرة لها خَمْل ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مفروشة أو «مبثوثة» موضوعة بكثرة فى الجنة .

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

حينما سَمع العرب صفات الجنة عجبوا من الأسرة المرتفعة التى إذا أريد الجلوس عليها تنزل ثم ترتفع وعجبوا من كثرة الآنية وعجبوا أيضا من البُسُط الكثيرة التى تفرش بها الجنة فأنزل الله تعالى رداً عليهم وكأنه يقول لهم لا تستبعدوا ولأدلنكم على شيء تشهده أعينكم يقرب لكم ما استبعدته أنفسكم فقال : ﴿**أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ الإبل خلق غريب وعجيب من خلق الله وهى سفن البر، والعرب ما أحوجهم إليها ! لأن بلادهم صحارى والبعد بين بعضها والبعض شاسع فلابد من أن يركبوا ما يهون عليهم السفر فكانت الإبل نعم المركب لهم، ولمَ؟ لأن الإبل تحتمل العطش وما أقل المياه عند العرب . فى الشتاء إذا كان غذاؤها رطباً لا تحتاج إلى الماء شهرين فأكثر وإذا كان غذاؤها جافاً تحتمل العطش خمسة عشر يوماً، ومما ميز الله به الإبل أنَّ عينيها ليستا فى وجهها وإنما هما فى أعلى رأسها وفضلاً عن أنهما فى أعلى رأسها لهما طبقتان من الأهداب حتى إذا هاجت الصحراء وكثرت الرمال وقى الله عينيها بكونهما على رأسها وما أعدَّ لهما من طبقتى الأهداب من الرمال والقذى، وعنقها طويل حتى يسهل عليها القيام إذا حملت حملها ، طُولُ عنقها وطُولُ أقدامها يهون عليها القيام ويسهله لها، وأرجلها كالأخفاف حتى يهون عليها المشى فى الرمال، وإذا عطشت الإبل يذهب ثلث حجمها وإذا تهيأ لها الماء شربت الكثير منه فيعود إليها ما فقدته من وزنها فى دقائق والماء الذى تشربه لا تختزنه فى كرشها وإنما فى سنامها وفى أجزاء من جسدها؛ ومن لطف الله بها حتى يتهيأ لها ما أعده لها أنها لا تتنفس من فمها ولا تعرق حتى لا تفقد شيئاً من الماء الذى شربته، والإبل منافع الحيوانات موزعة فيها فمن حيوان يحتاج إليه للحم ومن حيوان يحتاج إليه للركوب ومن حيوان يحتاج إليه للزينة ومن حيوان يحتاج إليه للبن، ما توزع وتشتت فى الحيوانات جمعه الله فى الإبل فالإبل فيها اللحم وما ألذ لحمها ! وفيها اللبن وما أحسن طعم لبنها ! وهى مركب وليست مثلها المراكب وهى زينة ويتخذ من أوبارها أكسية، فما تفرَّق فى الحيوانات من منافع

جعله الله تعالى فى الإبل وهى منقادة ذلولة حتى إن الطفل الصغير والضعيف من بنى آدم يقودها بزمامها وينيخها ويحمل عليها حملها ولا تعتدى عليه ولا تَصْعُب.

لقائل منكم أن يقول إن الفيل أضخم من الإبل فلمَ اختار الله الإبل على الفيل؟ الفيل حيوان لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه وليس فى بلاد العرب وقَلَّ منهم من شاهده والله يحتج عليهم بما هو فى أيديهم وأمام أعينهم.

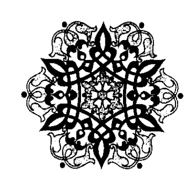
﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ما أعلاها، ولَمْ ترتفع على عمد وإنما رَفْعُها بقدرة ربها وكم فيها من كواكب ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وهى بمرأى منهم وكم شاهدوها وكم تسلقوها؛ نصبت الجبال على الأرض حتى لا تميد الأرض وتضطرب ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بسطت، المشهور فى العلم الحديث أن الأرض كروية كهيئة الكرة والآية ذكرت أنها منبسطة، فهل من خلاف بين ما أثبته العلم وبين ما ذكرته الآية؟ لا خلاف لأنها فى مرأى العين مبسوطة وإن كان مظهرها أنها كالكرة. بعد أن ذكر الله تعالى هذه الأدلة الأربعة التى تفيد أنه لا بُعْد فيما ذكره من نعيم الجنة من الأسرة المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة حق على العرب الذين يشهدون الإبل وما فيها من منافع ألاَّ يستبعدوا كون السرير مرتفعاً ثم ينزل إذا أراد المؤمن أن يجلس عليه تواضعاً له ثم يرتفع به إذا صعد عليه؛ الإبل كذلك الطفل ينيخُها ويُحَمِّلُها ثم تنهض بما حملت، وكثرة الأكواب الموضوعة التى استعظمها العرب ضرب الله لها مثالاً بالسماء وما فيها من الكواكب وهم يشهدون السماء وكواكبها فلمَ يستبعدون كثرة الأكواب التى فى الجنة والبسط التى بعضها بجانب بعض لمَ يستبعدونها وهم يمشون على الأرض ويجلسون عليها ودائماً يشهدونها إذن لا بُعْد فيما ذكره الله.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ يا محمد وظيفتك التذكير والدعوة وليس من شأنك

إلزامهم بالإيمان ولكن عليك أن تدعوهم بكتابه ولا تيأس بألاَّ يؤمنوا ولا تحزن فإنما أنت مبلغ ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ لست بجبار عليهم ومسلط حتى تلجئهم إلى الإيمان بسوطك أو سيفك وإنما أنت مبلغ فبلغ ﴿ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لكن من تولى منهم عن دعوتك وكفر بخالقهم وخالقك ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ وهو عذاب جهنم ويمكن أن يكون المعنى : فذكر لأن الذكرى نافعة وبعد أن تذكر لا تيأس بألاَّ يؤمنوا ولا تحزن فقد فعلت مهمتك وهي التبليغ، ومن دَعَوته إلى الإيمان فكفر وعاند وبالغ في العناد فدعه إلى ربه ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا﴾ لا إلى سوانا ﴿إِيَابَهُمْ﴾ مرجعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ وما أشدنا وما أعظم بطشنا ﴿حِسَابَهُمْ﴾ وسنجزيهم على كفرهم ونسأل الله أن يلهمنا الصواب وأن يجعلنا عاملين بما في السنة والكتاب إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

ما تشير إليه السورة:

سورة الفجر مكية وآياتها ثلاثون نزلت بعد الليل وتحتوى على :

- قصص أقوام كذبوا رسل الله فحاق بهم العذاب والدمار مثل قوم عاد وثمود .

- أحوال العباد مع ابتلاءات الله لهم بالخير والشر .

- أهوال يوم القيامة ومجازاة الله للمسيئين فى جهنم والمحسنين فى جنات النعيم .

أسباب النزول:

أخرج ابن أبى حاتم عن بريدة فى قوله تعالى ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾ [الفجر :23] قال : نزلت فى حمزة . وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : «**من يشترى بئر رومة يُسْتَعْذَب بها غفر الله له، فاشتراها عثمان، فقال : هل لك أن تجعلها سقاية للناس ؟**» قال : نعم، فأنزل الله فى عثمان ﴿**يأيتها النفس المطمئنة**﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

﴿**والفجر**﴾ والصبح فهو كقوله تعالى ﴿ **والصبح إذا أسفر**﴾ [المدثر:34] أو والفجر : وصلاة الصبح لأنها مشهودة تشهدها الملائكة ﴿**وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ العشر الأول

من ذى الحجة، والمصطفى ﷺ يقول فى هذه العشر : «**ما من عمل أحب إلى الله منه فى العشر من ذى الحجة**» فأفضل العمل ما كان فى هذه الأيام وبعض العلماء يقول إن المراد بالعشر العشر الأول من المحرم لأن فيها عاشوراء وبعضهم يقول المراد بها العشر الأخر من رمضان لأن فيها ليلة القدر إلا أن الأصح أنها العشر الأول من ذى الحجة ﴿ **وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾ كل شفع وكل وتر، ويمكن أن نقول إن المراد بالشفع الصلوات ثنائية أو رباعية وبالوتر المغرب، ويمكن أن نقول إن المراد بالشفع اليوم العاشر من ذى الحجة لأن العشرة شفع إذ هى زوج والمراد بالوتر اليوم التاسع من ذى الحجة لأنه يوم عرفة ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ كما أقسم الله تعالى بالفجر وأقسم بالليالى العشر أقسم كذلك بالشفع والوتر وأقسم كذلك بالليل إذا يسرى والمراد بقوله يسرى يذهب فكما أقسم الله تعالى بالصبح إذا أضاء أقسم بالليل إذا أقبل ظلامه لأن فيه نجاة عظيمة لبعض الخلق وبعضهم يقول إن المراد بالليل إذا يسرى إنما هو ليل مزدلفة لأن الناس يسرون فيه فمعنى يسرى يمشى الناس فيه لبعض مناسك الحج ولذا أقسم الله تعالى به فكأن الله تعالى أقسم فى أوائل هذه السورة بأشياء خمسة فى عبادة الناس منها الصلاة وفى مناسكهم منها الليالى العشر ومنها ليلة عرفة ﴿**هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ**﴾ هل فى هذه الأقسام الخمسة قسم يعتد به عند العقلاء حتى يقوى المقسم عليه بهذه الأقسام الخمسة؛ هذه الأشياء الخمسة عظيمة عند الله تعالى وما أجل منافعها لعباده فكانت خليقة بأن تكون قسماً عند العقلاء يقوُّون بهذه الأقسام ما يُقْسمون عليه وما الذى أقسم الله تعالى عليه بهذه الأقسام الخمسة؟ : محذوف ما تقديره؟ تقديره لتعذبن يا أيها الكفرة.

﴿**وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ لتعذبن يأيها الكفرة، ما الذى يدل على هذا الجواب المحذوف؟ يدل عليه قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ ﴿ **أَلَمْ تَرَ**﴾ يا محمد أو يا أيها المخاطب ﴿**كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ عاد المراد به قبيلة عاد الأولى وسُميت باسم أبيها عاد بن عوف بن إرم ابن سام بن نوح عليه السلام (إرم) هو جد عاد وكما تنسب العائلة إلى أبيها تنسب إلى

جدها كما يقال هاشم والمراد به قبيلة المصطفى ﷺ كذلك ﴿إِرَمَ﴾ المراد بها عاد نسبة إلى جدها فكما ينسب الخلف إلى والده ينسب أيضاً إلى جده ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ذات القوة وذات العظمة وهؤلاء القوم أرسل إليهم هود عليه السلام وهم القائلون (من أشد منا قوة) ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴾ لم يُخلق مثل هؤلاء القوم في البلاد المجاورة لهم، لم يخلق مثلهم في قوة أجسامهم وشدة بطشهم وعظمتهم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ذات القوة والعظمة، وبعض العلماء يقول إن المراد بذات العماد أنهم كانوا يسكنون البادية وكانوا يحتاجون إلى خيام كثيرة والخيام لا تنصب إلا بأعمدة، وبعضهم يقول إنهم كانوا يسكنون المدن والمراد بالعماد الأعمدة التي بُنيت عليها بيوتهم، ويذكر في بعض الكتب أن ملك هذه القبيلة واسمه «شداد» سمع بذكر الجنة فقال لأبنين مثلها فبنى مدينة في وادي القُرى بين الحجاز والشام ومكث في بنائها ثلاثمائة سنة وجعل قصورها من ذهب وفضة وأسرتها من ياقوت وزبرجد وجعل على أنهارها كثباناً من المسك وحينما ذهب إليها هو وقومه ليسكنوها قبل أن يصلوا بليلة أصابتهم صاعقة فماتوا جميعاً ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6:8].

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ قبيلة من قبائل العرب جابوا الصخر بالواد؛ قطعوا صخر الجبال ونقبوه ونحتوا فيها بيوتاً ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: 149] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ ذي الأوتاد: ذي الجيوش العظيمة التي كانت تعسكر حوالَيْ بلاده وكانت تنصب خياماً والخيام تحتاج إلى أعمدة وبعض العلماء يقول إن المراد بذي الأوتاد أنه بنى أهرامات وبنى حصوناً عظيمة فهي شبيهة بالجبال التي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض ولذا قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ ذي القصور العظيمة والأهرامات المشيدة والأبنية الضخمة التي تشبه الجبال في عظمتها فكأنها أوتادٌ لمملكته كما أن الجبال أوتاد للأرض حتى لا تميد وتضطرب وبعضهم يقول إن الأوتاد هي أوتاد من حديد كان إذا أراد أن يعذب أحداً ربط وتداً برجله اليمنى وآخر برجله اليسرى وآخر بيده اليمنى وآخر بيده اليسرى ثم يلقي عليه صخرة حتى يَهلك ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾ صفة لعاد ولثمود وفرعون وطغوا في البلاد بكفرهم

وتكبرهم على عباد الله وظلمهم إياهم ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ باغتيال أنفُسهم وأخذ أموالهم وهتك أعراضهم وفعلهم معهم ما يفعله الظالمون، ما كان جزاؤهم من ربهم؟ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ فأنزل الله عليهم عذاباً دائماً مؤلماً لأن الصب فيه معنى الدوام والسوط فيه معنى الإيلام، فكأن الله تعالى يقول: أنزل عليهم ربك عذاباً دائماً مؤلماً، ولماذا شبه الله تعالى عذابهم بالسوط؟ ليشير إلى أن عذابهم هذا فى الدنيا وهو مكرر ولاشك أن عذاب الآخرة أشد؛ فعذاب الدنيا شبيه بالسوط لأنك إذا ضربت بالسوط أمكنك أن تكرر الضرب به ولكنك إذا ضربت بالسيف فالضرب به يقتل فلا معنى لأن يكرر؛ فقال: فصب عليهم ربك سوط عذاب إشارة إلى أن إيلامهم مكرر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ يأيها العاقل تأمل فى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ وحاسب فى عملك وقدر أنك مَجْزِىٌّ بما تعمل، وأنَّ ربك ينتظرك جزاؤه على إحسانك وإساءتك، فلا تفعل إلا مَا تستحسن أن تقابل به ربك من الفعل الحسن والعمل الجميل، وإياك أن تقدم سوءاً فإذا قابلت ربك تجد أشد العذاب على عملك السيء وتجد أحسن النعيم على عملك الكريم، فأحسن يُحسن إليك، ولا تسيء خشية أن يُساء إليك فإن عقاب ربك ينتظرك على سيئك ونعيمه ينتظرك على إحسانك. والمرصاد مكان الرَّصَد وما الرَّصَد؟ من ينتظر فى الطريق. فالله تعالى ينتظرك جزاؤه على إحسانك وإساءتك فَخَفْ.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ﴾. الله تعالى يشير بهذه الآية إلى حال الأغنياء وحال

الفقراء فإذا امتن الله تعالى بالغنى والميسرة على بعض عبيده فيقول ربى أكرمنى ؛ ما أنعم الله عليَّ بهذه النعمة إلا لفضيلة عندى جعلته ينعم عليَّ، وإذا ضيق عليه رزقه يقول ربى أهانني . الله تعالى يقول ﴿كَلاَّ﴾ يا أيها المنعم عليه فى دار الدنيا لا تعتقد أن إنعامى عليك بالسعة والغنى لمكانتك عندى، ويا أيها المقتَّر عليه فى رزقه لا تعتقد أن تقتيرى عليك لإهانتك عندى، فالدنيا لا وزن لها عندى ؛ فكما أعطيها الصالح أعطيها الطالح وكما أمنعها الصالح أمنعها الطالح فليس إنعامى عليك بالدنيا لكرامتك وليس تقتيرى عليك فى الدنيا لإهانتك، وإنى إنما أنعم لأختبر من أنعمتُ عليه هل يشكر نعمتى فيعمل ما أوجبته عليه وندبته إليه من الأعمال الصالحة والمساعدة للمحتاجين، وإذا ضَيَّقْت الدنيا على أحد فإنما أضيقها لأختبر حاله أيصبر على بلائى أم يجزع منْ صنعى ويشكونى إلى خلقى ولا يصبر على ابتلائى، فالتوسعة ليست لكرامة من أوسع عليه والتقتير ليس لمهانة من أقتر عليه . فالدنيا لا وزن لها عندى ولذا أعطيها من أحب ومن أبغض وقد أضيق على من أحب ليتوجه بقلبه إليّ ولأسمع دعاءه لى . ﴿كَلاَّ﴾ هذا حالكم يا أهل مكة من أنىِّ إذا أنعمت عليكم تعتقدون أن إنعامى عليكم لكرامتكم، وإذا ضيقت عليكم تعتقدون أن تضييقى عليكم لمهانتكم، والواجب أن تعلموا أن توسعتى اختبار وتضييقى ابتلاء لأمتحن عبادى بما يصدر منهم فأجازيهم، ثم إنكم يا أهل مكة لا تقف معاصيكم عند هذا الحد ﴿ بَل﴾ تزيدون على هذا أنكم ﴿لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ واليتيم من فقد أباه وهو طفل فيبدو عليه الذل خصوصاً إذا كان من بيئة فقيرة ولذا أمر الله بإكرامه، وأهل مكة كانوا لا يكرمون الأيتام، والمصطفى ﷺ يقول فى الحديث : «**أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بالسبّابة والوسطى**» . ويقول ما معناه : «**إن أحب البيوت إلى الله بيت يكرم فيه اليتيم وأبغض البيوت إلى الله تعالى بيت يهان فيه اليتيم**» فكأن الله تعالى يحث فى هذه الآية الكريمة على إكرام الأيتام لأنهم ضعاف وإذا تركوا دون إكرام نشئوا على الذل وإذا نشئوا على الذى لا يمكن أن تنتفع بهم البلاد ولا يستفيد منهم الإسلام .

﴿**وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ ولا يحض بعضكم بعضاً على أن يُقدمَ الطعام للمسكين ومن لا يحض على طعام المسكين غيرَه فهل يطعمُ المسكين طعامه!

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾ ﴿التُّرَاثَ﴾ الميراث وأكلاً لما: ذا لم، يلمون أنصبة سواهم إلى أنصبتهم ولا يقتسمون الميراث بالحق. وأهل مكة كانوا يمنعون النساء ويمنعون الصغار من الميراث، ولذا عابهم الله تعالى بقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾ أى تجمعون أنصبة سواكم إلى أنصبتكم ولا تعطون من يستحق كالنساء والأطفال الصغار حقهن وحقهم من ميراث من توفى من أقاربهم. بعض البلاد خصوصاً فى الصعيد يسلكون هذا المسلك لا يعطون النساء من ميراث آبائهم ولا أمهاتهم شيئاً، وهذه جريمة، نسأل الله أن يقينا شرها. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ حباً شديداً تحرصون عليه كل الحرص ولا تنفقونه فيما أمر الله أن ينفق فيه بل تجمعونه من حلال ومن حرام وتحرصون عليه فلا تنفقونه حيث يجب إنفاقه.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

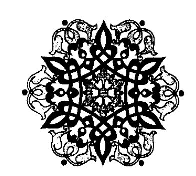
﴿كَلاَّ﴾: حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت مرة بعد مرة حتى تستوى جبالها بالأرض ودكت دكاً بعد دك حتى أصبحت هباءً منبثاً وصارت الأرض ملساء مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، إذا دكت الأرض دكاً دكا: دكاً بعد دك حتى صارت ملساء مستوية وتساوت جبالها وتلالها بالمنبسط من أرضها ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ جاء ربك، جاء لماذا؟ ليفصل بين عباده وجاء على أى كيفية؟ نؤمن كما ذكر القرآن الكريم بأنه جاء ولا نسأل كيف جاء ولا على أى حالة جاء فإن هذه الآية من المتشابه، والمتشابه نقف عند لفظه ولا نحاول أن نبحث فيه وإلا ضللنا سبيل المتّقين، ذكر فى كتابه الكريم أنه جاء، على أى هيئة لا نسأل عن هذا وإذا سألنا عن هذا وقعنا فى الحرج. فنقف عند ما جاء وندع الكيفية إلى رب البرية فهو

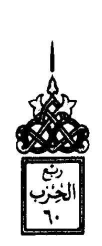
أعلم بها . وجاء ربك جاء ليفصل بين عباده ، والملك صفاً صفاً : ملائكة كل سماء جاءوا حينما جاء ربهم وانتظموا صفوفاً صفوفاً والجن والإنس بين هذه الصفوف فما أشد هذا اليوم وأكثر الخوف فيه ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ بعض العلماء يقول إن المراد بالمجئ بروز جهنم وظهورها كما يقول الله تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾[النازعات :36] وبعضهم يقول إن المجيء حقيقة «**يُؤْتى بجهنم يومئذ، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف مَلك يجرونها**» وهذا حديث صحيح ذكره الإمام مسلم فى صحيحه .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ يتذكر الإنسان ما سعى حينما يشهد أهوال القيامة ويشهد أهوال جهنم يتذكر الإنسان الكافر ما عمله فى دنياه ثم ﴿يَقُولُ﴾ متندماً ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يا ليتنى قدمت فى حياتى الفانية أعمالاً صالحة أجدها فى حياتى الباقية ، والمصطفى ﷺ يقول ما معناه كل إنسان يندم يوم القيامة ؛ الطالح يندم لأنه لم يعمل أعمالاً صالحة والصالح يندم لأنه لم يزدد من أعماله الصالحة وإذا ندم هل ينفعه ندمه؟ ندمه لا ينفعه لأن وقت منفعة الندم ذهبت ووقت منفعة الندم هو الدنيا لأنه إذا ندم ورجع أمكنه أن يعمل ما يتدارك ما فاته ولكن الآخرة دار جزاء فيندم ولا ينفعه ندم وهذا هو معنى ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ يتولى الله تعذيب الكفار يوم القيامة بنفسه فلا يكل تعذيبهم إلى أحد من خلقه ومن أراد عذابه عذبه بنفسه فلا يعذب عذاب من أراد الله تعذيبه أحد من خلقه ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ ولا يربط من أراد الله ربطه بالأغلال والسلاسل أحد من خلقه ، وهذا تخويف من الله عظيم لعباده حتى يلحظوا عظمته وما ينتظرهم لو حادوا عن الجادة فيرجعوا إلى الطريق المستقيم ثم يقول الله تعالى معظماً للمؤمنين مكرماً لهم مخاطباً إياهم بنفسه كما خاطب موسى عليه السلام ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ يا أيتها النفس المطمئنة : الموقنة بالإيمان كل الإيقان التى لا يخالطها شك فى الحق ، أو يا أيتها النفس المطمئنة المؤمنة الواثقة بجزاء ربها ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ يقال هذا الكلام لها من الله تعالى عند موتها . ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً ﴾ بما أوتيت من فضله مرضية عنده بما عملت من

طاعته ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى) معهم وبعضهم يقول إن هذا الكلام تقوله الملائكة للمحتضر عند احتضاره وبعضهم يقول إن هذا الكلام يقال لهم يوم القيامة، وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه حينما سمع هذه الآية الكريمة قال: ما أعظم هذا! فقال له رسول الله ﷺ ما معناه: «**سيقال لك هذا يا أبا بكر**» وسيدناعبد الله بن عباس مات بالطائف، وهو على شفير قبره جاء طائر لم يشهد مثله ودخل فى نعشه ثم سمعت هذه الآية الكريمة ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ ولم يعلم من تلاها أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يقال لهم هذا النداء الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم







الجزء الثلاثون   سورة البلد

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد ﴿١﴾ وأنت حل بهذا البلد ﴿٢﴾ ووالد وما ولد ﴿٣﴾ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴿٤﴾ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴿٥﴾ يقول أهلكت مالا لبدا ﴿٦﴾ أيحسب أن لم يره أحد ﴿٧﴾ ألم نجعل له عينين ﴿٨﴾ ولسانا وشفتين ﴿٩﴾ وهديناه النجدين ﴿١٠﴾ فلا اقتحم العقبة ﴿١١﴾ وما أدراك ما العقبة ﴿١٢﴾ فك رقبة ﴿١٣﴾ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿١٤﴾ يتيما ذا مقربة ﴿١٥﴾ أو مسكينا ذا متربة ﴿١٦﴾ ثم كان من الذين ءامنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴿١٧﴾ أولئك أصحاب الميمنة ﴿١٨﴾ والذين كفروا بـٔاياتنا هم أصحاب المشأمة ﴿١٩﴾ عليهم نار مؤصدة ﴿٢٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ما تشير إليه السورة:

- سورة البلد مكية بإجماع المفسرين وآياتها عشرون نزلت بعد «ق» .

- ابتدأت هذه السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام حيث يقيم المصطفى ﷺ وذلك تعظيماً لشأنه .

- بيان قدرة الله فى خلقه وتكريمه للإنسان ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ومع ذلك فإن الإنسان جحود .

- بيان أهوال يوم القيامة وعقباتها وأنه لا ينجو إلا المؤمنون الصالحون .

أسباب النزول:

كان رجل فى مكة قوياً وغنياً يتباهى بقوته وغناه يسمى «أبا الأشد بن كلدة» فكان يقف على جلد ويقول من ينتزعه من تحت قدمى فله كذا وكذا ، فيجذب الأقوياء الجلد فيتقطع قطعاً ولا يبقى إلا ما تحت قدميه ، وقد أنفق هذا الرجل أموالاً طائلة فى عداوة النبى ﷺ ، فنزل قول الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤

الشرح:

سورة البلد مكية بإجماع المفسرين ﴿لا﴾ كما يقولون مُؤَكِّدة ، وهذا البلد : مكة فكأن الله تعالى يقول أقسم بمكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وأنت ساكن مقيم بها وكأن الله تعالى زاد مكة تعظيماً بإقامة النبى ﷺ فيها . معنى آخر ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ : وهذا البلد لك حلال لأن مكة حرمها الله تعالى قبل النبى ﷺ وحرمها بعده فلا يباح فيها القتال إلا أن المصطفى ﷺ أبيح له القتال فيها ساعة من النهار يقتل

من يشاء ويأسر من يشاء فأمر بقتل إبن خَطَل وهو متعلق بأستار الكعبة وقال: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أوصد على بيته بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن**» ، وكأن فى هذه الآية الكريمة معجزة للنبى ﷺ بيانها أنَّ هذه السورة مكية وأن المصطفى ﷺ ألجأه قومه إلى أن يهاجر من مكة وقد أخبر الله فى هذه السورة بقوله ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ أنه سيفتحها ويبيح له فيها ما لم يبحه لأحد من خلقه وهو قتل من يشاء وأسر من يشاء ، ثم إن المصطفى ﷺ جاء غازياً هو ومن آمنوا معه وفتح الله لهم مكة فقتل من شاء وأسر من شاء، إذن هذه الآية الكريمة معجزة للرسول ﷺ لأنها أخبرته قبل أن يهاجر من مكة بأن الله سيفتحها له ويباح له فيها أن يفعل ما يشاء . معنى آخر : أهل مكة الذين أباحوا قتلك يا محمد يمتنعون من أن يقتلوا الصيد فيها فكيف يستبيحون قتلك وتأمن الوحوش والأنعام فيها من القتل ﴿**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾ الوالد آدم وما ولد أبناؤه فكأن الله بعد أن أقسم بمكة أقسم بآدم وأبنائه والمراد بأبنائه الأنبياء والرسل والصالحون فإن الكفرة من أبناءآدم ليست لهم مكانة عند ربهم حتى يعتبرهم بإقسامه بهم ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ**﴾ الإنسان هذا النوع ﴿**فِى كَبَدٍ**﴾ فى مشقة : شدائد فى الدنيا وأهوال فى الآخرة تلاحق بنى آدم؛ وهو فى بطن أمه كم لقى، وعند ولادته كم لقى، وإذا كان فقيراً كم يلقى فى سبيل معاشه من تعب وإذا كان غنياً كم يلقى من أعدائه وما ينتظره فى الآخرة أشد، فالله تعالى خلق الإنسان فى مشقة وتعب من ولادته إلى وفاته، وما يلقاه من أهوال القيامة، ومن أهوال القبر يكون أشدَّ عليه مما لقيه فى حياته .

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

﴿**أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾ من هذا؟ رجل فى مكة كان قوياً غنياً يتباهى بقوته وغناه ويسمى «أبا الأشد بن كلدة» وقد بلغ من قوة هذا الرجل أنه كان يقف على جلد ويقول من يستطيع أن ينتزعه من تحت قدمى فله كذا وكذا فيجذب الأقوياء هذا الجلد من تحت قدميه فيتقطع الجلد قطعاً ولا يبقى منه إلا ما تحت قدميه ، وقد أنفق

هذا الرجل أموالاً طائلة فى عداوة النبى ﷺ وفى تأخير دعوته فالله يقول : ﴿ **يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا**﴾ مالاً كثيراً متراكماً بعضه على بعض وسيسأله الله تعالى عن هذا المال الذى أنفقه فى عداوة رسوله متباهياً بإنفاقه مفتخراً إذ يقول تعالى ﴿ **أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾ يتباهى بعداوة النبى ﷺ وبإنفاقه المال الكثير على عداوته، ويظن أن لن يقدر الله عليه فيعذبه على معاداة النبى ﷺ، ويسأله عن المال الذى أنفقه فى صد الناس عن اتباع رسوله وفى أذيته .

﴿ **أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ** ﴾ لا يظن هذا فإن الله تعالى مطلع عليه، وهو عالم بأن ما أنفقه من مال لم ينفقه إلا متباهياً مفتخراً وفى عداء الله وعداء رسوله، ولابد من أن الله سيسأله من أين جمع هذا المال وفيم أنفق هذا المال وسيلقى الوبال والنكال ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ** ⟨٨⟩ **وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ⟨٩⟩ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ كأن الله يقول له يا أيها الصاد عن سبيلنا المعادى لرسولنا جعلنا لك عينين تنظر بهما، وجعلنا لك شفتين وجعلنا لك لساناً فالواجب عليك أن تتذكر فضلنا عليك وألا تعادى رسولنا وألا تقف فى سبيل نشر ديننا بل حق عليك أن تعين الرسول على دعوته وألا تصده عن تأدية واجبه، لو تأملت لعقلت إنعامنا عليك وشكرتنا على هذا الإنعام وما وقفت لنبينا بالمرصاد وما كنت عن ديننا الحق بالصادّ، وقد جاء فى بعض الآثار أن الله يقول لعبده : «**آتيتك عينين تنظر بهما ما أبحت لك النظر إليه فإذا صادفك ما يغضبنى فأقفل جفنيك على عينيك، وخلقت لك لساناً لتخبر به عما فى ضميرك وترد على من يسألك فإذا صادفك ما يغضبنى فأطبق شفتيك على لسانك ولا تنطق، وآتيتك شفتين ليحسن بهما منظرك ولتستعين بهما على الكلام فأوصدهما إذا كان الكلام فيه إثم لك، وآتيتك فرجاً لتستعمله فيما أبحت لك فإذا أردت أن تعمل ما يغضبنى فأطبق عليه فخذيك ولا تقدم على إغضابى**» . ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ النجدان طريقا الخير والشر . الله بين لعباده الطريق الذى إذا سلكوه نالوا رضاه ووصلوا إلى جنته ، والطريق الذى إذا سلكوه خسروا دينهم وخسروا آخرتهم . أبنَّا له طريق الخير وطريق الشر فإذا سلك طريق الخير فاز وإذا سلك طريق الشر هلك .

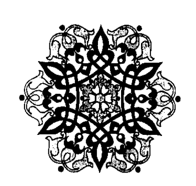
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

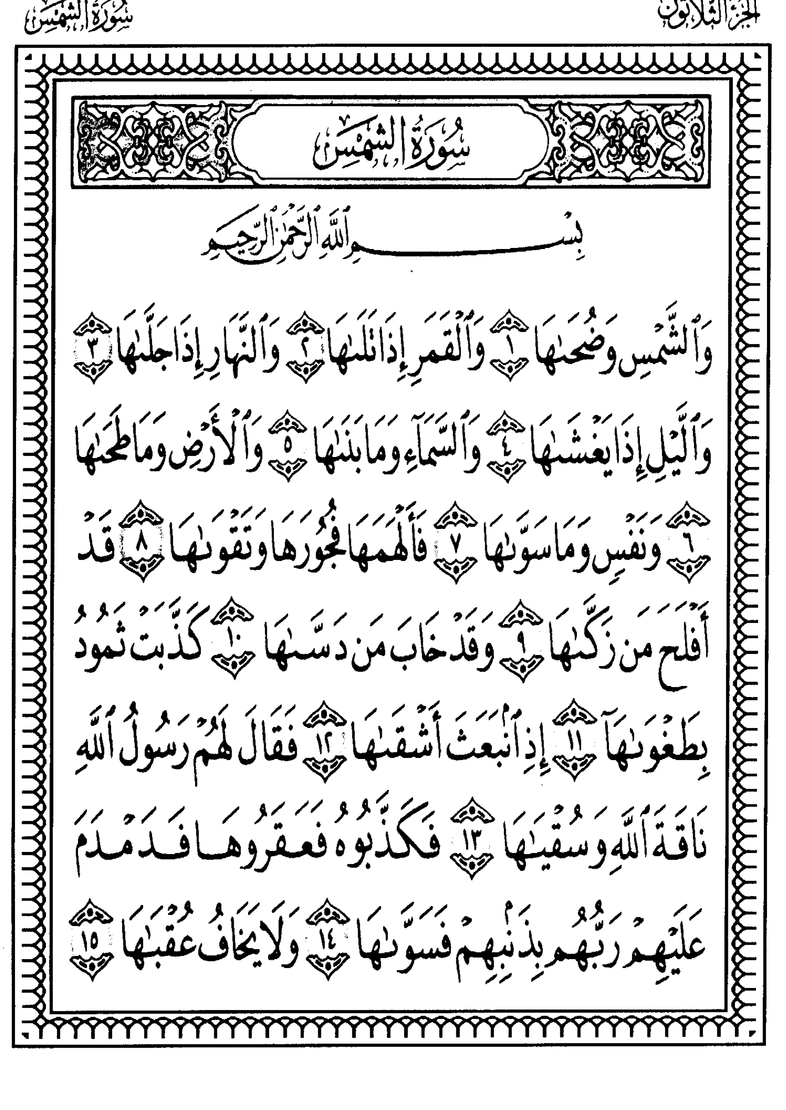
﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ العقبة : الطريق الشاق المرتفع فى الجبل، وهذا مثل ضربه الله للإنسان حاصل هذا المثل أن الواجب على الإنسان أن يقتحم العقبة حتى يصل إلى رضا ربه وإلى راحته فى الدار الآخرة ثم بيَّن الله تعالى هذه العقبة التى أوجب على الإنسان أن يقتحمها إذا أراد نجاته فقال : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ من أنبأك بالعقبة إنها لشديدة صعبة إلا على من يسرها الله عليه ووفقه لاقتحامها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ إعتاقها، وذلك أن الإنسان إذا أعتق رقبة بأن كان عنده عبد وشرح الله صدره لتخليصه من العبودية بإعطائه الحرية فإن الله تعالى يفك بكل عضو من أعضاء هذا العبد الذى أعتقه عضواً من أعضاء من أعتقه من جهنم فكأنك إذا أعتقت رقبة وآتيتها حريتها الله يعتقك من النار ويجعلك من أهل الجنة .

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ كذلك من العقبة التى إذا فعلها الإنسان نال رضا ربه أن تطعم اليتيم القريب ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ تطعم اليتيم القريب فى وقت المجاعة وهذا هو معنى مقربة فإذا شرح الله صدرك لإطعام اليتيم القريب فى وقت الضيق والشدة والجوع كنت مقتحماً للعقبة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ كذلك إذا أطعمت المسكين الذى لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ولصق جسمه بالتراب ولا مأوى له إلا المزابل لضيق يده كنت مقتحماً للعقبة، هذه الأشياء التى هى فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً قريباً أو مسكيناً لا يجد شيئاً متى تنفعك هذه الأعمال؟ تنفعك إذا كنت مؤمناً وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولماذا أخر الله ذكر الإيمان على ذكر الإعتاق والإطعام للفقير القريب

والمسكين؟ لأن الإيمان أرفع من هذه الأشياء درجة بل هو الأساس لكل عمل صالح حتى يقبل، فلما كانت درجة الإيمان عظيمةوهو الأساس لقبول الأعمال الصالحة عطفه الله على ما تقدم بثُم التى تفيد التراخى والمراد أن منزلة الإيمان عظيمة مرتفعة أىَّ رفعة عن الإعتاق والإطعام للفقير والمسكين وهو الأساس لقبول أى عمل صالح ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ كان من الذين آمنوا ووصى بعضهم بعضا بأن يصبروا على الطاعات وعن المعاصى وعن الشهوات فإذا صبروا على الطاعات وعن المعاصى وعن الشهوات ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ ووصى بعضهم بعضا بأن يرحموا الضعيف والمسكين واليتيم والحيوان ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ مَنْ أولئك الذين اقتحموا العقبة وأعتقوا وأطعموا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة؟ هم الذين يستحقون أن يكونوا من أهل اليمين، وأهل اليمين هم أهل الجنة، وبعد أن ذكر الله تعالى ما يستحقه هؤلاء الكرام، ذكر ما يستحقه الكفرة اللئام فقال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يؤمنوا ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ هم أهل الشمال أهل النار وأهل الشؤم ما جزاؤهم؟ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة عليهم لا يدخل عليهم فيها فَرَج ولا يخرج عنهم غم. أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل اليمين، وأن يقينا أعمال أهل الجحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ سُورَةُ الشَّمْسِ

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾



ما تشير إليه السورة:

1- سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة نزلت بعد القدر .

2- ابتدأت هذه السورة الكريمة بالقسم ببعض مخلوقات الله جل شأنه وقدرته فى أن جعلها على صورة تؤدى مهمتها على خير وجه أراده، والقسم على فَلاح الإنسان إذا اتقى وخسرانه إذا طغى .

3- ساقت السورة قصة «ثمود» الذين كذبوا رسولهم وعقروا الناقة فأهلكهم الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

الشرح:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ضحى الشمس : ضوءها، يقسم بالشمس نفسها سواء ظهرت أو غابت لأنها خلق عظيم، ويقسم بضوئها لأنه مبعث الحياة ومَجْلَى الهداية فى عالمها الفخيم. وهل كنت ترى حياً أو تبصر نامياً أو هل كنت تجد نفسك لولا ضياء الشمس جل مبدعه .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ يقسم بالقمر إذا تلا الشمس وذلك فى الليالى البيض من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة وهو قسم بالقمر عند امتلائه أو قربه من الامتلاء إذ يضىء الليل كله من غروب الشمس إلى الفجر، وهو قسم فى الحقيقة بالضياء فى طور آخر من أطواره وهو ظهوره وانتشاره الليل كله، وقال «الحسن» و«الفراء» ﴿تَلاهَا﴾ : تبعها فى كل وقت لأنه يستضىء منها فهو يتلوها لذلك، ثم عاد إلى القسم بالضياء تحت عنوان آخر فقال : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ أى

والنهار إذا جلّى الشمس أى أظهرها ولا يخفى أن النهار هو وقت انتشار ضوء الشمس من وقت شروقها أو قربه إلى وقت غروبها.

كل ذلك للإشارة إلى تعظيم أمر الضياء، وإعظام قدر النعمة فيه، وإلفات أذهاننا إلى أنه من آيات الله الكبرى ونعمه العظمى وقوله ﴿ إِذَا جَلاَّهَا﴾ بيان للحالة التى ينطق فيها النهار بتلك الحكمة الباهرة والآية الظاهرة وهى حالة الصحو. أما يوم الغيم الذى لا تظهر فيه الشمس فحاله معك أشبه بحال الليل الذى يقسم به فى قوله ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾.

بعد أن أقسم بالضياء تحت أسماء مختلفة ـ أقسم بالليل فى حالة واحدة وهى حالة ما يغشى الشمس أى يعرض دون ضوئها فيحجبه عن الأبصار فتكون الظلمة الحالكة التى لا أثر لضوء الشمس فيها لا مباشرة كما فى النهار ولا بالوساطة كضوء القمر المستفاد منها ليلاً . الليالى كما لا يخفى لا تخلو من ضوء القمر فى أول الليل أو آخره أو جميعه وهو ضوء مستفاد من الشمس، وإنما ليالى الظلمة هى ليلة أو ليلتان وبعض ليال أخر، ولقلة أوقات الظلمة عَبَّر فى جانبها بالمضارع المفيد للحاق الشىء وعروضه متأخراً عما هو أصل فى نفسه.

وأقسم بالظلمة لأنه أمر يهولك ويدخل عليك فيه من انقباض النفس عن الحركة واضطرارها للوقوف عن العمل وركونها إلى السكون مالا تجد عنه مفراً، ثم فى هذه السكون من راحة الجسم والعقل وتعويض ما فقداه بالتعب بياض النهار مالا يحصى فوائده ولذلك أقسم الله به ليوجه نظرنا إلى ما فيه.

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ «السماء» اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ السماء هذا الكون الذى فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى فى مجاريها، وتتحرك فى مداراتها هذا هو السماء، وقد بناه الله أى رفعه وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به، والذى بنى السماء هو الله جل شأنه غير أنه لما كان الخطاب موجهاً إلى قوم لا يعرفون الله بصفاته الجليلة كان مرمى الخطاب أن ينظروا فى هذا الكون نظرة من يطلب للأثر مؤثراً ما وللمُسَبَّب سبباً ما لينتقلوا من ذلك إلى معرفة الله تعالى ـ عَبَّر عن نفسه جل شأنه بـ ﴿ مَا ﴾ التى هى الغاية فى الإبهام ـ على أن من وما بالنسبة إلى الله سواء لأن «مَنْ» للعاقل الذى

يعرفه المتخاطبون و «ما» لغير العاقل والله جل شأنه لا يطلق عليه العاقل ولا غير العاقل بذلك المعنى وإنما هو عالَم يعلو تصوره على منار العقول ـ فيعبر عنه بكل لفظ يفيد الذات الموجودة مع مراعاة التنزيه . وقال المفسرون ﴿ مَا ﴾ اسم موصول بمعنى «من» أى والسماء ومن بناها ؛ بناها الله القادر على كل شيء ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ طحا الأرض : وطَّأها [1] وجعلها فراشاً كما قال ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [البقرة: 15] والذى طحاها هو الله .

بعد أن أقسم الله بالضياء والظلمة ـ أقسم بالسماء وما فيها من الكواكب جملة وبالذى بناها وجعلها مصدراً للضوء لأن الشمس والقمر وسائر الكواكب من أجزاء ذلك البناء ، وبالأرض والذى جعلها لنا فراشاً وجعلها مصدراً للظلمة فإنها هى التى يحجب بعض أجزائها ضوء الشمس عن البعض الآخر فيظهر الظلام فى البعض الآخر .

بعد هذا أقسم بالنفس الإنسانية ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ والذى ﴿ سَوَّاهَا ﴾ أى عدلها بأن ركب فيها قواها الباطنة والظاهرة ، وحدد لكل قوة وظيفة تؤديها ، وألف لها الجسم الذى تستخدمه من أعضاء قابلة لاستعمال تلك القوى ـ لهذا فَرَّع على التسوية قوله ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ فإن تمام التسوية أن وهبها العقل الذى يميز بين الخير والشر .

والفجور : إتيان ما ينتهى بالنفس إلى الخسران والهلكة «والتقوى» : إتيان ما يحفظ النفس من سوء العاقبة والهلكة . فهذه الآية فى معناها كآية ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10] فقد منح الله النفوس قوة التمييز كما وهبها قوة الاختيار ، فمن رجح طريق الخير أفلح ، ومن رجح طريق الشر خاب ، ولهذا استطرد عقب ذكر الإلهام بقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ أى قد ربح وفاز من زكى نفسه ونماها وأعلاها حتى بلغ بها ما هى مستعدة له من كمال القوى العقلية والعملية ، وأثمرت بذلك ثمراتها الطيبة له ولمن حوله من الناس .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ «التَّدسيَة» النقص والإخفاء ومن سلك سبيل الشر وطاوع داعى الشهوة البهيمية فقد فعل ما يفعل سائر البهائم ـ فلم يظهر عمل القوة العاقلة التى خص بها الإنسان فاندرج صاحب تلك النفس فى عداد سائر الحيوان دون الإنسان ، وبذلك يختفى بين العقلاء ويذهب امتيازه الذى كرم الله به نوعه ، وهل يكون خيبة أعظم وخسران أكبر من هذا المسخ الذى يجلبه الشخص على نفسه

---

(1) وطَّأها : سهلها

بسوء عمله . فما أجمل هذا التعبير ! وما أحواه للمعانى الرفيعة ! ثم هل التفتَّ إلى ما فى التزكية مما يناسب النور والسماء ، وما فى التدسيه مما يلائم الظلمة والأرض .

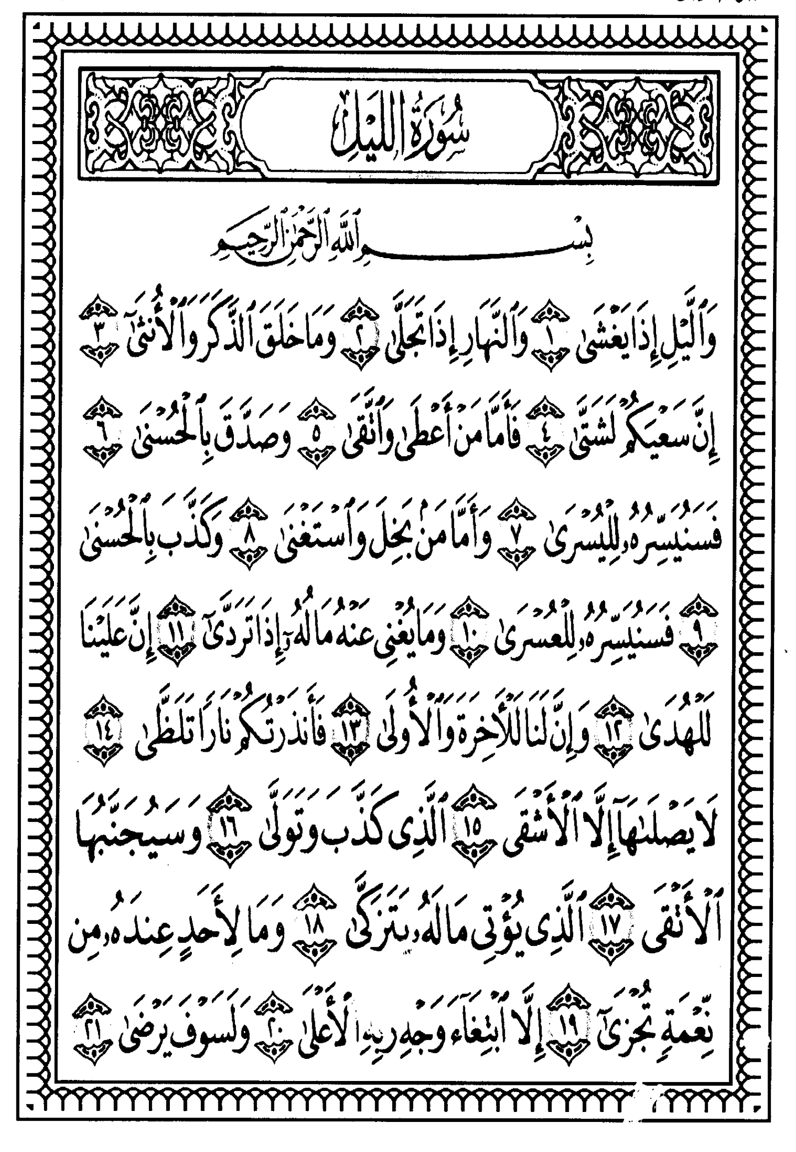
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

وجواب القسم محذوف للدليل عليه ـ كأنه قال : والشمس وضحاها . . . . لينزلن بالمكذبين منكم مثل ما نزل بثمود إذ كذبت نبيها فأصابها العذاب ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)** ﴾ . فلستم بأشد بأساً منها ، ولا شَقيُّكُم بأشد بطشاً من شَقيِّها ، ولقد صدق الله وعده فأهلك من أهلك منهم فى واقعة بدر بأيدى المؤمنين ثم لم يزل العذاب والخزى ينزل بالمكذبين من أهل مكة ومن حولهم بالقتل تارة والإبعاد أخرى حتى لم يبق فى جزيرة العرب مكذب . ولو استمرت الدعوة على ما كانت عليه من نشأتها أيام الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لم يبق فى الأرض مكذب والله أعلم .

﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا** ﴾ ثمود قوم صالح كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم ﴿ **إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا** ﴾ بادر مسرعًا ، ومن أشقاها ؟ « قدار بن سالف » ويجوز أن يكونوا جماعة اشتركوا فى قتل الناقة ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ** ﴾ صالح ﷺ ﴿ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾ ناقة منصوبة على التحذير كأن تقول : الأسدَ الأسدَ : أى احذروا قتل الناقة واحذروا أن تمنعوها من شرب نصيبها من الماء ﴿ **لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [الشعراء 155] ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا** ﴾ فكذبوه فيما ؟ فيما حذرهم منه من العذاب – فعقروها : فقتلوها ﴿ **فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ** ﴾ فأطلق عليهم العذاب فأهلكهم بسبب ما اقترفوا من ذنوب – « فليحذر كل مذنب وليبادر بالتوبة » ﴿ **فَسَوَّاهَا** ﴾ فسوى بينهم فى العذاب فلم يفلت منه أحد ﴿ **وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ لا يخاف عقبى إهلاكهم مثلما يخاف كل من يعاقب من الملوك عاقبة ما يفعل فيبقى بعض الشيء .

أسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخره ، وما ذلك على فضله بعزيز .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



الجزء الثلاثون سورة الليل

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)



ما تشير إليه السورة:

- سورة الليل مكية وآياتها إحدى وعشرون نزلت بعد الأعلى وقد أقسم الله فيها بثلاثة أشياء؛ الأول الليل إذا عم ظلامه، والنهار إذا ظهر ضوءه وانتشر وكم فيهما من منافع للإنسان، والثالث هو القادر الذى خلق الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان وكافة الأشياء.

- من سلك سبيل الهدى زاده الله هدى ويسره له، ومن أصر على الكفر أملى الله له فى غيه حتى يلقى جزاءه فى جهنم لا يغنى عنه من الله شىء.

- وختمت آياتها الكريمة بعظيم الجزاء للمؤمنين الصالحين الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله لا يرجون إلا وجهه ورضاه.

أسباب النزل:

هذه السورة الكريمة نزلت فى سيدنا أبى بكر رضي الله عنه وفى أمية بن خلف وكان من كبار الكفار وكان بلال رضي الله عنه عبداً له فشرح الله صدر بلال للإسلام، فحينما علم أمية كان ينيمه على ظهره فى الحر الشديد ويضع الصخرة الضخمة على صدره حتى يكفر بالإسلام فكان سيدنا بلال يقول: أحد أحد فطلب سيدنا أبو بكر من أميه أن يريحه من العذاب فرفض فعرض عليه ابتياعه فوافق فاشتراه برطل ذهب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾

الشرح:

هذه السورة مكية وقد أقسم الله فيها بثلاثة أشياء الأول ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ يغشى النهار فيذهب الله بضوئه ويعم الظلام وكم لله من نعمة فى ظلام الليل؛ يستريح فيه الناس من عناء أعمالهم ويستعيدون قوى أجسامهم وقوى أرواحهم

ويأوى كل حيوان وكل طائر فيه إلى وكره ويسكن فيه الخلق ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ظهر ضوءه وانتشر، وكم من نعمة لله على عباده فى الضياء يباشر الناس فيه أعمالهم ؛ فالصانع يباشر صنعته والزارع يباشر زراعته والموظف يعمل فيما وظف فيه - فالليل والنهار آيتان من آيات الله الكبرى يستريح الناس فى الليل فتعود القوى إلى أجسامهم وأرواحهم وينشط الناس فى النهار إلى أعمالهم . فلابد من الظلمة والضياء لصالح الإنسان والحيوان ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ والقادر الذى أوجد الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان والنبات وكافة الأشياء فإن فيها ذكراً وأنثى والمادة واحدة . وكون المادة واحدة ويتكون منها ذكر وأنثى فهذا دليل على أن الله تعالى هو الخالق للذكر والخالق للأنثى من مادة واحدة ولولا قدرته العظيمة وحكمته الفائقة ما تأتى النوعان من مادة واحدة. ما الذى أقسم الله تعالى عليه بهذه الأشياء الثلاثة؟ بالليل والنهار وبذاته العظيمة جل شأنه ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إن عملكم ومساعيكم يا بنى آدم لمختلفة فمنكم من يسعى ويعمل بطاعة ربه فينجى نفسه، ومنكم من يغاضب ربه ويسعى فيما يوبقه فيهلك نفسه ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ إن أعمالكم لمختلفة فمنكم من يسعى فى الطاعات ومنكم من يعمل بالمعاصى فالساعى فى طاعة ربه ينجى بها نفسه والعامل بمعصية ربه يهلك بها نفسه هذا بيان للمساعى المختلفة .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ ﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ أعطى زكاة ماله وأعطى الصدقات مما يملك ، أعطى نفسه ربه فبذلها فى طاعته واتقى ربه فتجنب معاصيه ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ صدق بربه، صدق بالجنة التى أعدها الله للطائعين، صدق بلا إله إلا الله وأنه واحد لا شريك له ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فسنهيئه للخلة الجامعة لأنواع المبرات ونسهل عليه الطاعات أو نهيئه لأعمال الجنة أو نسهل عليه كل عمل صالح يرضى به عنه ربه

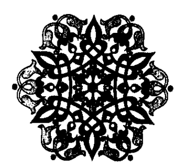
ويرضى عباد الله عنه ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بماله فلم يؤد حق الله فيه ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ واستغنى بدنياه عن آخرته واستغنى بشهواته عن طاعة ربه واستغنى عن ربه فلم يبذل ماله فى سبيله ولم يبذل نفسه فيما يرضيه عنه. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ كذب بالجنة وبربه وبخلف الله عليه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ نسهل عليه الأعمال التى تغضبنا وتؤدى إلى هلاكه ويجد بها العسر فى دنياه وآخرته ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ وهل ينفعه ماله الذى بخل به فلم ينفقه فيما يرضى الله عنه إذا هلك أو إذا تردى وسقط فى النار أو إذا مات وألقى فى حفرة قبره؛ لا يغنى عنه ماله شيئاً إذا تردى فى النار بما عمل أو إذا انتهت حياته على إجرامه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ ما على الله تفضلاً منه إلا أن يهدى الناس وقد آتاهم العقول التى تميز بين النافع والضار، ولم يكتف بالعقل بل أرسل الرسل فبينت الحق وبينت الطريق إليه ليتبع ووضحت الشر وبينت سبله ليجتنب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ إن علينا لبيان الحق وإظهار طريق النجاة وبيان أسبابها حتى تُسْلك وعلينا أيضاً توضيح طرق الضلال حتى يُبتعد عنها وتُجتَنب ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ فمن أراد الدنيا فليطلبها منا ومن أراد الآخرة فليطلبها منا فنتصرف فى الحياتين كيف نشاء فنعطى الآخرة لمن أخلص فى طاعتنا ونؤتى الدنيا لمن عمل لها وليس له فى الآخرة من نصيب، فمن أراد حياتين دنيا أو آخرة فليطلبهما منا فإنا نملكهما؛ فمن توجه إلينا بصدق وطلب الآخرة آتيناه إياها، ومن طلب الدنيا وعمل لها آتيناه ما قضينا أن يناله منها وليس له عندنا من نصيب فى الآخرة.

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ بعد أن بين الله تعالى الهدى وأخبر أن له الآخرة والأولى قال فأنذرتكم؛ خوفتكم يا عبادى ناراً تلظى: تتوقد وتتوهج من شدة اتقادها ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ لا يدخل فيها دخولاً دائما ﴿إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ إلا الشقى الكافر الذى كذب رسلنا حينما دعوه إلى الإيمان بنا وتولى عنهم

فلم يلتفت إليهم ولم يؤمن بهم ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يجنب الخلود فى النار بل يجنب دخولها ﴿الأَتْقَى﴾ التقى ﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ينفق ماله فى سبيل ربه أكان الإنفاق واجباً كالزكاة أم كان مندوباً إليه كالصدقات، ﴿يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ يبغى الرفعة عند ربه والمكانة عنده، أو يبذل ماله يتطهر بهذا البذل من دنسه ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ ينفق ماله فى سبيل الله وليس لأحد عنده جميل يكافئه به ولا يد يجازيه عليها وإنما إنفاقه بغية ما عند ربه جل شأنه وإبتغاء رضائه عنه ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ من يد يجازيه بهذا الإنفاق عليها. ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ إلا أن يرضى عنه ربه جل شأنه بهذا الإنفاق فى سبيله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ولسوف يرضيه الله تعالى يوم القيامة بإعطائه ما يتمناه وأكثر مما يتمناه وهذه السورة الكريمة نزلت فى سيدنا أبى بكر رضي الله عنه وفى أمية بن خلف. أمية بن خلف كان من كبار الكفار وكان عنده بلال رضي الله عنه عبداً له، فشرح الله صدر بلال للإسلام، وحينما علم أمية بإسلامه كان يأتى به فى الحر الشديد وينيمه على ظهره ويضع الصخرة الضخمة على صدره ويقول له لا أمنع هذا العقاب عنك حتى تكفر بمحمد، فكان سيدنا بلال يقول أحد أحد ولم يجبه إلى طلبه، مر عليه أبو بكر فطلب من أمية أن يريحه من هذا العذاب فقال: أنت الذى أفسدته علىَّ، فقال: أتبيعنى إياه؟ فقال: نعم، فاشتراه برطل ذهب، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضيه وأن يحول بيننا وبين معاصيه وأن يجعل أعمالنا خالصة له ويهدينا سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





الجزء الثلاثون سورة الضحى

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾



سُورَةُ الضُّحَىٰ

ما تشير إليه السورة:

- سورة الضحى مكية وآياتها إحدى عشرة نزلت بعد الفجر.

- بدأت السورة الكريمة بالقسم بظاهرتين من خلق الله وهما النهار والليل على أن الله لم يبغض المصطفى ﷺ ولم يهجره وبشره بالعطاء الجزيل يوم القيامة وهو فوق ما أعطاه فى الدنيا إذ آواه وهداه وأغناه بعد اليتم والفقر والضياع.

- وختمت السورة الكريمة بثلاث وصايا للرسول ﷺ باليتيم والمحتاج وأن تنفق مما أنعم الله به عليك فأنت القدوة.

أسباب النزول:

وسبب نزول هذه السورة الكريمة أن المصطفى ﷺ لم يقم ليلتين أو ثلاثا متهجدًا كما هى عادته الكريمة فقالت امرأة: إن شيطانك بعد عنك يا محمد فأنزل الله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ والضحى المراد به النهار لأن الله تعالى قابله بقوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أو المراد به ارتفاع النهار واعتدال الحر والبرد فى فصل الشتاء والصيف، أقسم الله تعالى بالضحى وأقسم بالليل إذا سجى أى سكن؛ سكن الناس فيه وسكنت الأصوات والحركات، ما ودعك ربك يا محمد وما قلاك أى ما أبغضك. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ : إن

ما يعطيه ربك لك فى الآخرة من الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورود أجل مما أعطاه لك فى الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وعد من الله الكريم بأنه سيعطى لنبيه العظيم ما يرضيه ، وما الذى يرضيه؟ ألا يبقى أحد من أمته فى جهنم، ولذا يقولون إن هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله تعالى، وأعطاه الله تعالى فى الدنيا أن نشر دينه وأعلى كلمته وفتح له كثيراً من البلاد، وكم أتته الغنائم ومكن لدينه ولأمته ، وفى الآخرة سيعطيه ويعطى أمته ما لم يعطه أحداً من الأنبياء وسيكون شهيداً على الأنبياء وتكون أمته شهيدة على الأمم .

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

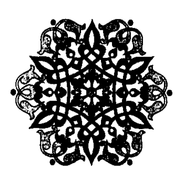
ثم إن الله تعالى أراد أن يبين بدليل واضح محسوس للنبى ﷺ أن ما يعطيه فى الآخرة فوق ما أعطاه فى الدنيا فقال : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ مات أبوه ﷺ وهو حمل فى بطن أمه فكفله جده عبد المطلب، ومات وسنه ثمان سنوات فكفله عمه أبو طالب حتى زوجه بالسيدة خديجة ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ﴾ ضالاً عن الشريعة الإلهية أصولها وفروعها فأنعم عليك بالنبوة وبين لك الشريعة الحقة ووفقك لنشر الدين ولدعوة الناس إلى ربك، ولا يصح أن نفهم من الضلال أنه كان على دين قومه ولا أنه اقترف معصية فى طفولته ولا فى شبابه؛ فإن نبينا ﷺ كإخوانه الأنبياء قبله معصومون من الكفر ومن المعاصى كبائرها وصغائرها إذن قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ﴾ كقوله تعالى ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52] فأنعم عليك بالنبوة وآتاك الإيمان وأنزل عليك الكتاب، إذن فوجدك ضالاً فهدى أىْ لا تعلم النبوة ولا تعلم الشرائع الإلهية فأنزل الله عليك الكتاب والوحى وبيَّن لك أصول الدين وفروعه ودعاك إلى أن تدعو عباده إلى عبادته ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ «عائلاً» فقيراً، ولاشك أن النبى ﷺ مات أبوه ولم يترك له شيئاً فكان فقيراً فأغناه الله بماذا؟ حمل جده عبد المطلب على أن يكفله وبعد أن انتقل جده عبد المطلب حمل عمه أبا طالب على أن يقوم بشئونه حتى تزوج بالسيدة خديجة فأغناه الله بمالها وحتى جاءته النبوة فكان يقاتل أعداء الله ويغنم منهم فأغناه بنصيبه من

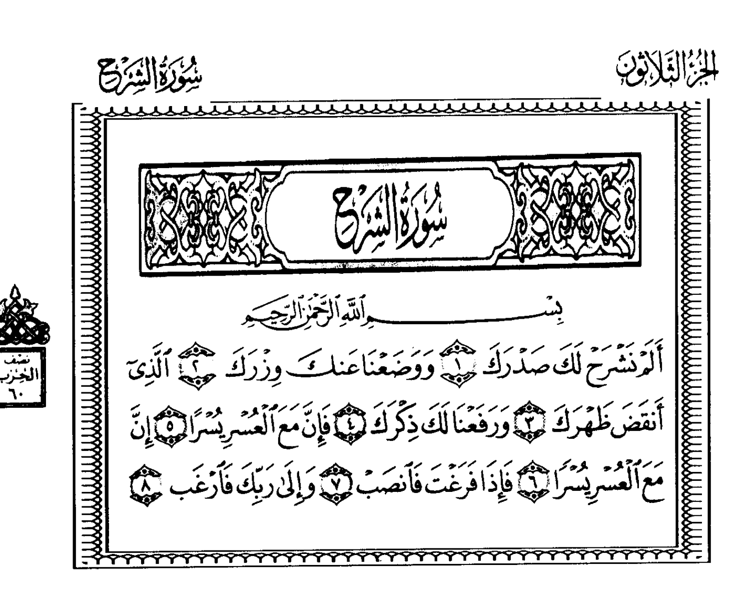
الغنائم. والمصطفى ﷺ يقول: «**ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى القلب**» ومن آتاه الله الإسلام وآتاه الكفاف وقنعه به فهو الغنى.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

وبعد ذلك وصاه الله تعالى بهذه الوصايا وهى قوله ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ إذا رأيت يتيماً فلا تقهره بل ساعده، وكان من عادة العرب أنهم يستولون على مال اليتيم لضعفه ويبخسونه حقه فوصى الله نبيه ﷺ بأن يمكن اليتيم من حقوقه ولا ينظر إلى ضعفه ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** ﴾ «السائل» المراد به من يمر على الأبواب ويسأل الناس ما يطلبه منهم فالله تعالى أمر نبيه ﷺ بألا ينهر السائل وأن يعطيه ولو قليلاً أو يرده رداً جميلا. ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ إذا آتاك الله نعمة فتحدث بها وإن أعظم النعم يا محمد آتيتك إياها وهى النبوة وأنزلت عليك الكتاب فبلغ رسالتى واتل على الناس كلامى وأبن لهم شريعتى، وبعض العلماء يقول إن قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ عامة فى كل النعم فإذا آتاك نعمة فتحدث بها لا مفتخراً ومتباهياً ولكن ليقتدى الناس، فإذا آتاك الله مالاً فتحدث بما آتاك وكيف؟ تنفق منه على المحتاج وتعين به المستعين بك ولا تذكره متباهياً ولا مفتخراً بل إذا كنت قدوة فأظهر إنعامك من مالك ليقتدى بك من يراك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الجُزءُ الثَّلاثُونَ سُورَةُ الشَّرح

سُورَةُ الشَّرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

نصف الحزب ٦٠



ما تشير إليه السورة:

وسورة الشرح مكية آياتها ثمان نزلت بعد الضحى وقد تحدثت عن نعم الله العديدة على رسوله ﷺ فشرح له صدره، وغفر له وزره، وأعلا منزلته، وتعظيما لشأنه قرن اسمه باسمه تعالى فى الشهادة وفى الأذان، ثم بشره بالنصر واليسر بعد العسر ثم ختمت آياتها الكريمة بدعوة المصطفى ﷺ بأن يتعب فى عبادة الله بعد أن يفرغ من دعوة الخلق إلى الرب.

أسباب النزول:

نزلت هذه السورة لما عير المشركون المسلمين بالفقر، وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ قال الرسول ﷺ «**أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين**».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

الشرح:

﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ شرحنا لك صدرك ووسعناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى اتسع لعلوم النبوة ودعوة الثقلين، وذهب عنه الضيق: الحرج الذى يكون بسبب الجهل والعمى، أو المراد بالشرح أن المصطفى ﷺ فى طفولته وهو عند السيدة حليمة أتاه جبريل وفتح صدره وأخرج حظ الشيطان منه، فلم يبق فيه غل ولا حسد لأحد من الخلق وكما حدث له هذا فى طفولته حدث له ليلة الإسراء إذ شق جبريل صدره وأخرج منه ما شاء الله أن يخرجه وملأه حكمة وعلماً ﴿**وَوَضَعْنَا**

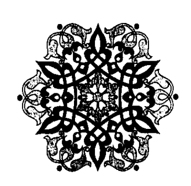
عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ خففنا عليك أعباء النبوة ودعوة الخلق إلى الله جل شأنه، أو وضعنا عنك وزرك: وزراً لا يعلم حقيقته إلا الله جل شأنه، وذلك أنّ المصطفى ﷺ ترك الأفضل فى شأن من الشئون وفعل الفاضل، والأنبياء يعاقبون على ترك الأفضل وعمل الفاضل فهذا هو وزره ﷺ، ومعنى وضع وزره أن الله غفره له . ما الوزر؟ معناه الحمل الثقيل وهل ترك الأفضل وعمل الفاضل وزر؟ نعم هو وزر بالنسبة إلى العظيم وإن الفاجر إذا عمل إثماً كذنب يمر على أنفه فلا يعبأ به، وإن العظيم الكريم على ربه متى جاوز الأفضل إلى الفاضل اعتقد أنه أتى بإثم عظيم وكأنه جالس تحت جبل يخشى أن يسقط عليه ذلك الجبل.

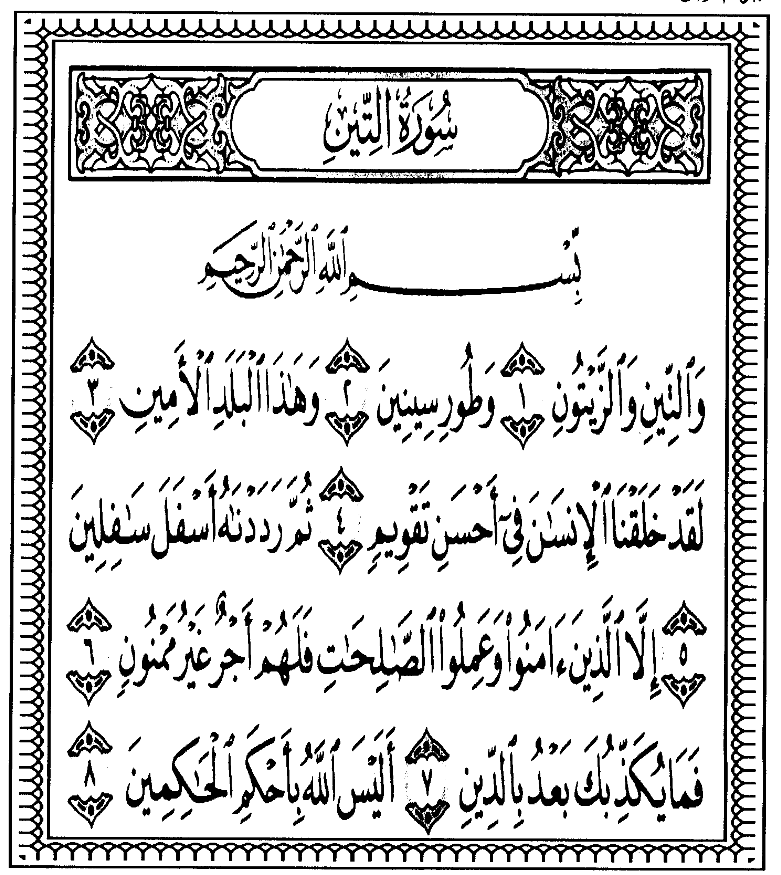
﴿الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أثقل ظهرك حتى سمع له صوت يقال أثقل الحمل الجمل إذا كان ثقيلاً على ظهره ومن شدة ثقله يسمع لظهر الجمل صوت ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ﷺ: نوهنا باسمك وعظمنا شأنك حتى أنك تُذكر فى كلمة الشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتذكر فى الأذان وفى الإقامة، وكم ذكرت بجانب ربك جل شأنه فى كتابه الكريم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: 12] وتسمى رسول الله، ونبى الله وذُكرْتَ فى الكتب السالفة. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ثَقُل عليك يا محمد دعوة الخلق إلى ربك وعظمت فى قلبك إلا أنا سنرفع عنك هذا الثقل ونخففه عليك وسيأتيك مع هذه الشدة اليسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إن عسرك فى دعوتك الخلق إلى ربك وضيق صدرك سيعقبه يسر وكأنه مصاحبه ولذا قال الله تعالى إن مع العسر يسرا: إن اليسر قريب جداً من العسر حتى كأنه معه ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وما هذا اليسر الذى جاء للنبى ﷺ مع العسر، كم تعب فى دعوة قومه، وكم لقى عناءً فى حملهم على الاستجابة وكم آذوه وكان صدره ﷺ يضيق بأذيتهم له، وفى النهاية شرح الله صدورهم للإسلام فذهب العسر عن النبى ﷺ بإيمان قومه وفتح البلاد له ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ذكر اليسر مرتين وذكر العسر مرة واحدة، ولاشك أن الأكثر يغلب القليل، واليسر مذكور مرتين، والعسر مذكور مرة واحدة، ولاشك أن اليسرين يتغلبان على العسر، وكيف ذكر اليسر مرتين وذكر العسر مرة واحدة؟ العسر مذكور فى الآيتين

معرفاً واليسر مذكور فى الآيتين مَنكَّراً وفى اللغة العربية أن المعرَّف إذا أعيد بنفسه كان الثانى عين الأول، وأن المنكَّر إذا أعيد بنفسه كان الثانى غير الأول، فكأنه أى اليسر مذكور مرتين لأنه منكَّر فى الآيتين، والعسر وإن كان مذكوراً مرتين إلا أنه معرف فيهما فكان العسر الثانى هو نفس العسر الأول فكأن اليسر مذكور مرتين والعسر مذكور مرة واحدة ولهذا قال النبى ﷺ : «**لن يغلب عسر يسرين**» لأن العسر وإن تكرر إلا أن فيه أل فهى للعسر المذكور، واليسر ذكر مرتين إلا أنه منكَّر فيكون اليسر الثانى غير اليسر الأول، فهما يسران، ولهذا جاء الحديث «**لن يغلب عسر يسرين**» ومتى يكون اليسران؟ يسر فى الدنيا ويسر فى الآخرة أو اليسران فى الدنيا بكُلٍّ قيل، ولا مانع من أن يجعل اليسرين فى الدنيا ولاشك أن فى الآخرة تيسيراً عَظيماً للنبى ﷺ ولأمته ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ فإذا فرغت؛ يا حبذا أن نتأمل فى هذه الآية وأن نأخذ منها عظة لأنفسنا وأن نتأدب بما أدب الله به نبيه ﷺ وكيف؟ ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ**﴾ فإذا فرغت من دعوة الخلق إلى الرب فانصب: فأتعب نفسك فى طاعة ربك؛ إذا فرغت من صلاتك فأنصب نفسك فى الدعاء، إذا فرغت من شئون دنياك فأنصب نفسك فى شئون أخراك، فكأن الله أدب نبيه بأن يكون دائماً فى عمل؛ إذا فرغ من شأن الدنيا أقبل على شأن الآخرة، إذا فرغ من الصلاة أقبل على الذكر، إذا فرغ من دعوة الخلق إلى الله أقبل على تلاوة كتابه، أقبل على ذكره، أقبل على الثناء عليه، ما هذا؟! إذا كان الله يؤدب نبيه ويحمله على ألا يدع وقتاً دون عمل ألا نتأمل؟! ألا نفتح قلوبنا حتى نقتدى بالقدوة الكبرى ﷺ. تأملوا ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ لم يقل فإذا فرغت من الدعوة إلى الخلق فاسترح فقد أديت ما عليك، إذا فرغت من دعوة الخلق إلى الرب فانصب فخذ فى طاعة الرب، فإذا فرغت من الصلاة ومن دعوة الخلق إلى الله فأقبل على الجهاد فى سبيل الله ليتنا نتأمل فى هذه الآية ونتخذها منهاجنا فنفلح، إذا فرغت فانصب وليس فنم أو فاسترح ما هذا؟! سبحانك هذا هو أدب الإسلام بل أدب رب الإسلام لنبى الإسلام، ليت المسلمين يسلكون هذا المنهاج؛ إذا فرغت من عمل خذ فى عمل آخر لأن العمل الآخر غير العمل الأول تجد فيه راحة لأن فى التبديل راحة، ولم يقل فاسترح، وإنما قال فاعمل عملاً مستمراً، ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ**

فَانصَبْ ﴾ إذا فتحت لك مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فانصب نفسك فى طاعة ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ انصب مخلصاً لربك معتمداً عليه بقلبك وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





الجزء الثلاثون سورة التين

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ﴿١﴾ وطور سينين ﴿٢﴾ وهذا البلد الأمين ﴿٣﴾
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴿٤﴾ ثم رددناه أسفل سافلين
﴿٥﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴿٦﴾
فما يكذبك بعد بالدين ﴿٧﴾ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴿٨﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة التين مكية وآياتها ثمان نزلت بعد «البروج».

- ابتدأت السورة بالقسم بالأماكن الكريمة التى نزل فيها الوحى على رسل الله وهى بيت المقدس وجبل الطور ومكة المكرمة.

- كرم الله تعالى الإنسان فخلقه في أحسن صورة وأثاب المؤمنين الصالحين جزاءً موفوراً، أما من كفر به فإن جزاءه جهنم.

- وختمت السورة بإثبات البعث وعقاب المكذبين إذ هو أعدل العادلين.

أسباب النزول:

أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فسئل عنهم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

الشرح:

﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾ هما الثمرتان المعروفتان ثمرة التين وثمرة الزيتون ولمَ أقسم الله بهما؟ لكثرة منافعهما: التين لا عجم له أى لا نواة له، والمصطفي ﷺ ينسب إليه: «**لو كان ثمرة في الدنيا من ثمار الجنة لكان التين**» لأن ثمار الجنة لا نوى فيها،

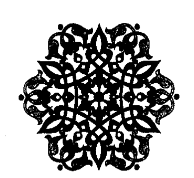
وهذه الثمرة لا نواة فيها، وله فوائد طيبة، والزيتون ما أكثر منافع الزيتون، شجرة مباركة تبقى آلاف السنين مثمرة ويؤخذ منها زيت كم له من منافع ويستضاء بهذا الزيت، أو أقسم الله تعالى بمنابت التين والزيتون أى بالمكان الذى ينبت فيه التين والزيتون وهما ينبتان في الشام مولد عيسى عليه السلام فكأن الله أقسم بمولد عيسى، والشام أيضاً مُهاجَر إبراهيم. إبراهيم كان في العراق فهاجر إلى الشام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ جبل الطور معلوم لنا وهو في بلادنا، وهو قريب من الشام ولمَ أقسم الله بالطور؟ لأن نبياً من كبار الأنبياء وأولى العزم وأصحاب الشرائع ألاَ وهو موسى عليه السلام أُرسل إليه جبريل فيه وجاءته النبوة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ ما البلد الأمين؟ هو مكة ولمَ وصف الله هذا البلد بالأمين؟ لأن من أوى إليه مهما كانت جنايته حُفظ مادام فيه فكما أن الأمين يحفظ أمانته ولا يخون فيها كذلك هذا البلد من أوى إليه ولو كان جانياً حُفظ وما طولب بجنايته حتى يخرج منه. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قامته منتصبة، ويأكل بيده، ومنظره أحسن منظر ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ هيئة الإنسان وقوامه أحسن هيئة وأجمل قوام وبعد هذه الهيئة الكريمة ﴿رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ صيرناه في أسفل سافلين؛ جعلناه قبيح الهيئة أو جعلناه في الدرك الأسفل من النار بعد أن كانت صورته أحسن صورة وهيئته أجمل هيئة، إذا كفر بربه أصبحت هيئته أقبح هيئة وأصبح موضعه في النار أسفل موضع، ويمكن أن نقول ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ بعد أن كان شاباً حسن الهيئة منتصب القامة أسود الشعر جيد الحواس حينما يكبر سنه يتقوس ظهره ويذهب سمعه وتضعف عيناه وبدل أن كان عاقلاً متزناً يصبح شبه مجنون مخرفًا.

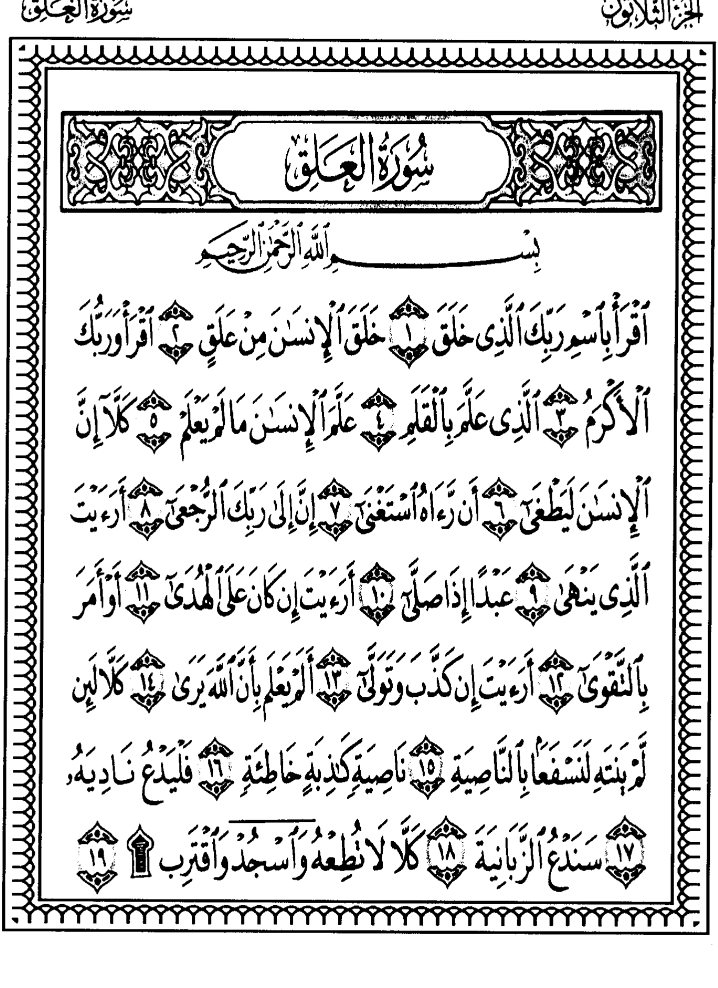
﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اللهم اجعلنا منهم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فلهم ثواب لا ينقطع، كانوا يعملون في شبابهم بطاعة ربهم فإذا أصابهم الكبر وَعَدتْ عليهم الشيخوخة وضعفوا أن يعملوا ما كانوا يعملونه في شبابهم جعله الله لهم في شيخوختهم وإن لم يعملوا، وفي الحديث وطالما ذكرته لكم قال الله تعالى: «**إذا مرض عبدى أو سافر فاكتبوا له ما كان يعمله صحيحاً مقيماً**» ولأن المسلم أطاع ربه في شبابه وفي نيته أن يطيع ربه ما بقى فإذا بلغت سنه إلى الهرم وصعب عليه العمل

ما كان يعمله في شبابه يَعُدُّه الله له باقياً في شيخوخته وإن لم يعمله فيؤتيه ثوابه، ما عملوه وتهيأ لهم أن يأتوا به في شبابهم وإن لم يستطيعوه في شيخوختهم يكتب لهم ثوابه.

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ «الدين» الجزاء. يا أيها الإنسان أنت عليم كيف خلقك ربك وبالأطوار التى مرت عليك حتى صرت شاباً وحتى صرت شيخاً فمن أوجدك من نطفة ورباك حتى صرت فتياً وكبرك حتى شخت، كل هذه إذا نظرت إليها وتأملت فيها أدركت أن من قدر على إيجادك قادر على إعادتك بعد إماتتك وإذا كان الأمر كذلك فما الذى يحملك على أن تكذِّب بيوم الجزاء. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ بأعدل العادلين، وأقضى القاضين، فحسِّن عملك حتى تجد الجزاء كريماً عند ربك، وإذا أسأت فلابد أن تجد جزاء إساءتك، أليس الله بأحكم الحاكمين ؟ بلى هو أحكم الحاكمين، ونسأل أحكم الحاكمين أن يوفقنا لما يرضيه وأن يحول بيننا وبين معاصيه، وأن يجعلنا على الجادة، وأن يوفقنا لأن نسلك مسلك نبيه ﷺ في قوله جل شأنه ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الضحى: 8,7].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿١﴾ خلق الإنسان من علق ﴿٢﴾ اقرأ وربك الأكرم ﴿٣﴾ الذي علم بالقلم ﴿٤﴾ علم الإنسان ما لم يعلم ﴿٥﴾ كلا إن الإنسان ليطغى ﴿٦﴾ أن رآه استغنى ﴿٧﴾ إن إلى ربك الرجعى ﴿٨﴾ أرأيت الذي ينهى ﴿٩﴾ عبدا إذا صلى ﴿١٠﴾ أرأيت إن كان على الهدى ﴿١١﴾ أو أمر بالتقوى ﴿١٢﴾ أرأيت إن كذب وتولى ﴿١٣﴾ ألم يعلم بأن الله يرى ﴿١٤﴾ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ﴿١٥﴾ ناصية كاذبة خاطئة ﴿١٦﴾ فليدع ناديه ﴿١٧﴾ سندع الزبانية ﴿١٨﴾ كلا لا تطعه واسجد واقترب ۩ ﴿١٩﴾





ما تشير إليه السورة:

سورة العلق مكية وآياتها تسع عشرة وهى أول ما نزل من القرآن ونزلت على دفعتين.

- ابتدأت السورة ببيان فضل الله تعالى على نبيه بإنزال هذا القرآن والدعوة إلى القراءة والكتابة والعلم وذلك فى بدء نزول الوحى.

- تحدثت عن طغيان الإنسان وجحده نعمة الله عليه وأن مرده إلى الله فكان مقتضى الحال الشكر.

- تناولت السورة قصة أبى جهل «فرعون هذه الأمة» الذى كان ينهى الرسول ﷺ عن الصلاة ويتوعده فتوعده الله بأشد العذاب فى جهنم.

- وختمت السورة بالصلاة والعبادة.

أسباب النزول:

- أخرج ابن المنذر عن أبى هريرة قال: قال أبو جهل هل يعفر محمدٌ وجْهَهُ بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب، فأنزل الله ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ**﴾ [العلق :6] الآيات.

- وأخرج إبن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلى فجاءه أبو جهل فنهاه، فأنزل الله : ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ**﴾ إلى قوله ﴿**نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾ [العلق :16:9].

- وأخرج الترمذى وغيره عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يصلى فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبى ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر منى، فأنزل الله ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾ [العلق :18:17] قال الترمذى: حسن صحيح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

الشرح:

سورة العلق وهى سورة مكية نزلت على دفعتين ؛ نزل منها أولاً قوله تعالى ﴿**اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ (٢) اقْرأْ وَربُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذى عَلَّمَ بالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ هذا هو الذى نزل منها أولاً ومتى نزل وأين؟ نزل فى غار حراء، روى البخارى ومسلم عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى خديجة ـ رضى الله عنها ـ فيتزود لمثلها حتى فَجئه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال ﴿**اقْرأْ**﴾ فقال ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فغطه الثانية حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه الثالثة حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال ﴿**اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ (٢) اقْرأْ وَربُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ . . . فأنتم ترون مما قصصته عليكم أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق إنما هو هذه الآيات الكريمات . ﴿**اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ**﴾ اقرأ مفتتحاً قراءتك بـ«بسم الله الرحمن الرحيم » حتى تكون بركةُ اسم ربك مصاحبة لك من أول قراءتك حتى نهايتها وفى قوله ﴿**ربِّكَ**﴾ لفظة رب مضاف إلى ضمير المصطفى ﷺ فهى إشارة إلى تربية الله إياه وتكوينه التكوين اللائق وإبلاغه أقصى درجة يبلغها إنسان ألا وهى النبوة .

﴿**الَّذى خَلَقَ**﴾ الذى شأنه الخلق أو الذى خلق المخلوقات كلها أو الذى خلق الإنسان، أبهم أولا ثم فصله ثانياً فقال ﴿**خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ**﴾ والمراد بالإنسان الجنس ولذا قابله بقوله ﴿**منْ عَلَقٍ**﴾ لأن العلق جمع علقة والإنسان الواحد إنما يخلق

من علقة واحدة لا من علق إذن المراد بقوله الإنسان جميع الإنسان حتى يقابله العلق فيخلق كل إنسان من علقة وما العلقة؟ قطعة دم جامدة . وفى قوله ﴿**خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ إشارة إلى أن قدرة الله فائقة ولا حد لها إذ قَدَر أن يكون الإنسان على ما هو عليه من ذهن راجح وعقل قويم أمكنه أن يتغلب بعقله على كل ما أوجده الله فى أرضه .

﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴾ هذه الآية تأنيس للنبى ﷺ حينما ضمه جبريل إليه فى غار حراء اعترته وحشة فأزال الله وحشته بقوله ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ ﴿**الأَكْرَمُ** ﴾ أكرم من يعطى وأفضل من يهب؛ خلق الإنسان وما اكتفى بخلقه بل أمده بما يُبقى عليه حياته ومكنه من أن يتصرف فى كل ما خلق الله على وجه البسيطة بعقله الراجح .

﴿ **الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ من كرم الله أن علم عباده العلم، ومن كرمه أيضاً أن علمهم الكتابه فبالعلم يفهمون الشرائع ويحسنون معاملة بعضهم، وبالكتابة تبقى مجهودات أفكارهم وتبقى مؤلفاتهم وتبقى شرائع الله التى أنزلها عليهم . فلولا الكتابة لما وصلت إلينا علوم ولا وصلت إلينا شرائع وما بقيت الحكم التى يؤلفها الحكماء ولا العلوم التى تعب فى وضعها العلماء . إذن الكتابة من أجل نعم الله على عباده فهى تالية فى الفضيلة لخلق الإنسان ﴿ **الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن: 4:1] والبيان: إما باللسان وإما بالكتابة بل إن بيان الكتابة أفسح مجالاً من بيان اللسان، لأن بيان اللسان إنما يخص من أمامك أما بيان الكتابة فهو للبعيد عنك والآتى بعد عهدك، ولولا الكتابة ما بقيت علوم ولا حفظت شرائع ولا بقيت نتائج الأفكار التى يتعب الناس فى تأليفها والتفكير فيها، فتأمل كيف تفكر وكيف تنطق وكيف تكتب؛ أعطاك الله التفكير حتى تولد به المعانى، وأعطاك اللسان حتى تنطق بالمعانى التى ولدتها بلفظك، وأعطاك الكتابة لتخلد ما كونه فكرك وما نطق به لسانك على صفحات قرطاسك .

فلا تقل يا محمد ما أنا بقارئ فإن من خلقك وأوجد الإنسان من عدم قادر على أن يعلمك الكتابة والقراءة وإن لم تكن قارئاً ﴿ **اقْرَأْ** ﴾أمر تكوينى من الله جل شأنه

لرسوله ﷺ أي كن قارئاً وإن لم تتعلم القراءة فسأنزل عليك كتاباً ما أفصحه وما أبلغه وما أعجزه وهو المعجزة الباقية الخالدة تقرؤه وتعلم الناس قراءته وإن لم تكن قارئاً الآن فأقول لك اقرأ تتعلم القراءة ﴿ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فإذا كان الخالق جل شأنه علم الإنسان ما لم يعلم فعلمه الكتابة أيضاً ، كان لا يعلمها فعلَّمها الله إياه لتبقى شرائع الله ولتبقى آثار السلف إلى الخَلَف . إلى هنا انتهى الكلام على الآيات التي أنزلت أول ما أنزل .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾

بقية السورة نزلت في أبي جهل وذلك أن أبا جهل كان كثير المال فكان يتباهى ويفتخر بماله فأنزل الله قوله ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⑥ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ كَلاَّ : ازدجر يأيها الغنى المتكبر بغناك على مولاك ، المستضعف لعباد الله بسبب قُواك ﴿ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾ ليتجاوز حده ويتعالى على عباد ربه بما آتاه الله من مال ﴿ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ إن وجد نفسه غنياً يتكبر على عباد الله ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ يأيها المتكبر الباغى على عباد الله إن مرجعك إلى مولاك ؛ تهديد من الله جل شأنه لأبى جهل ومن على شاكلته من الأغنياء المترفين المستكبرين على عباد الله الفقراء : مرجع الأمور إلى ربك وهو المتصرف فيها فينقل من عز إلى ذل ومن غنى إلى فقر ومن مُلك إلى عبودية وفى النهاية المرجع إليه جل شأنه فيعاقب المتكبر على كِبْره .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑩ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا

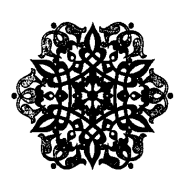
بالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ سبب نزول هذه الآيات أن أبا جهل ـ لعنه الله تعالى ـ رأى المصطفى ﷺ يصلى فى الكعبة فنهاه وقال: لئن رأيت محمداً يصلى مرة أخرى لأطأن عنقه، حينما أخبر النبى ﷺ بقوله هذا قال: « **لئن فعل لتتخطفه الملائكة عضواً عضواً** » ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ** ﴾هذا الناهى إنما هو أبو جهل والمصلى إنما هو النبى ﷺ وما معنى ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ** ﴾: أخبرنى عن هذا الشقى الذى ينهى المصلى وهو رسول الله ﷺ ولم يقصد بقوله أخبرنى أن يجاب وإنما قصد تسفيه هذا الناهى لرسول الله ﷺ عن صلاته وأنه بلغ المنتهى من ضعف العقل وضآلة الفهم إذ لو كان عقله قوياً وفكره سليماً لما نهى المقبل على طاعة ربه المتزلف إلى حضرته.

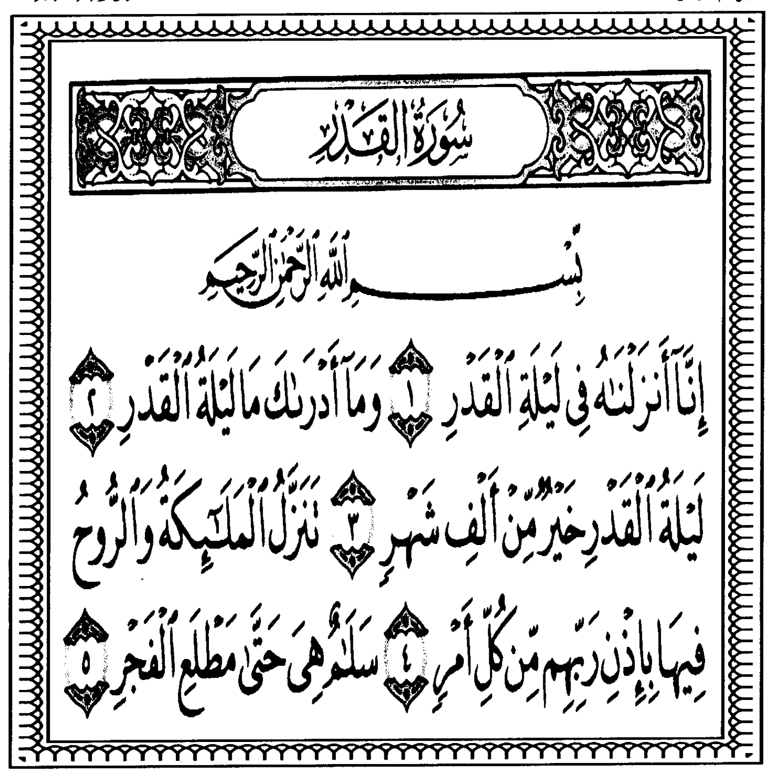
﴿ **أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ** ﴾ أرأيت إن كان المصطفى ﷺ على الهدى أو كان آمراً بتقوى الله ﴿ **أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ أرأيت إن كذب أبو جهل رسول الله ﷺ وتولى عن الإيمان بالله ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ ألم يعلم هذا السفيه الناهى رسول الله ﷺ عن الصلاة المهدد له بأن الله يراه ويعلم سره ونجواه فلو عقل لما فعل ما فعل ﴿ **كَلاَّ** ﴾: زجر من الله لأبى جهل: ازدجر عن نهيك رسول الله ﷺ عن الصلاة وترقب عاقبة نهيك: ﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ** ﴾ عن نهيه رسولى عن الصلاة ﴿ **لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ** ﴾ السفْع معناه الأخذ بشدة وعنف والناصية الشعر النابت على مقدم الرأس فكأن الله يقول لئن لم ينته أبو جهل عن نهيه رسولى عن الصلاة لنأخذن بناصيته ﴿ **نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ** ﴾ الناصية الأولى ناصية أبى جهل والناصية الثانية وصفت بأنها كاذبة خاطئة تفعل الخطأ متعمدة فيدخل فيها كل من كان على شاكلة أبى جهل من التكذيب والخطأ المتعمد.

أبو جهل قال: أتهددنى يا محمد وأنا أكثر الناس نادياً والنادى معناه القوم المجتمعون فى المجلس وكان لأبى جهل مجتمع يجتمع إليه أحبابه الكثيرون فحينما هدده رسول الله ﷺ قال: أتهددنى وأنا أكثر الناس نادياً فأنزل الله تعالى ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** ﴾ فليدع أهل مجلسه الذين يتباهى بهم ويفتخر وإذا دعاهم ماذا يكون منا ﴿ **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾ الزبانية: الملائكة الغلاظ الشداد المعدون لعذاب أهل جهنم ولإلقاء أهلها فيها وهى جمع زِبْنية والزبنية الشرطة، فشرطة الله الملائكة الغلاظ

الشداد الذين حين أراد أبو جهل أن يدعو ناديه لأذية رسول الله ﷺ هدده الله بقوله ﴿ **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾ سندعو الملائكة الغلاظ الشداد إذا دعا أهل ناديه حتى يأخذوه من ناصيته ويلقوه فى جهنم، ثم أقبل الله على رسوله فقال ﴿ **كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾ حقاً يا محمد لا تطع أبا جهل فى نهيه إياك عن الصلاة بل صلِّ وتقرب إلى ربك وأكثر من اللجوء إليه والاستعانة به وإنك كلما تقربت إليَّ بسجودك ازددت حظوة عندى ومكانة لديّ وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. أسأل الله أن يجعلنا من الساجدين المخبتين المتقبلين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة القدر مكية، وآياتها خمس، نزلت بعد عبس، وقد تحدثت عن بدء نزول القرآن الكريم، وفضل ليلة القدر، وما فيها من فيوضات وتجليات وسلام، وعن نزول الملائكة في هذه الليلة.

أسباب النزول:

أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ عملها ذلك الرجل.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)

الشرح:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.
سبب هذه السورة أنه ذكر عند النبى ﷺ رجل من بنى إسرائيل جاهد في سبيل ربه ألف شهر، فعجب المؤمنون من هذا، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾: أى القرآن وما معنى إنزاله في ليلة القدر مع أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة؟: بُدئ نزوله فيها وذلك أن النبى ﷺ حينما كان يتعبد في غار حراء أنزل الله عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

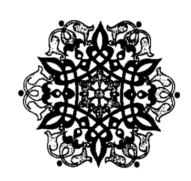
الْقَدْرِ﴾ أى بدأنا نزوله في ليلة القدر ، وقوله تعالى **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾** [البقرة: 185] ويقول الله تعالى في ليلة القدر أيضاً **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾** [الدخان: 3] إذن القرآن أنزل في شهر رمضان وأنزل في ليلة مباركة وهذه الليلة المباركة هى ليلة القدر ، وقال الله إنا أنزلناه ؛ تولى إنزاله بنفسه وبنون العظمة جل شأنه ، وذكره مضمراً إشارة إلى أنه من الشهرة بحيث يجزى فيه الضمير عن الإظهار ، وأنزله في ليلة مباركة – إذن اجتمع إنزال الله إياه وإنزاله في ليلة مباركة وذكره مضمراً وفي هذا من التعظيم للقرآن ما فيه ، وما معنى ليلة القدر؟ القدر معناه التقدير ؛ كل ما يقدِّر الله تعالى وقوعه في العام ينزله على ملائكة في هذه الليلة إلى مثلها من العام القابل .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ إنك يا محمد لا تدرك قيمة هذه الليلة وسأعْلمك بقيمتها **﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** من يعبد الله في هذه الليلة ؛ عبادته فيها تساوى عبادته في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ولمَ نالت ليلة القدر هذه المنزلة؟ **﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾** لأن الملائكة تنزل فيها إلى سماء الدنيا أو تنزل الملائكة فيها إلى الأرض قيل بهذا وقيل بذاك والروح أيضاً ينزل فيها وما الروح؟ هو جبريل ، أو الروح ملائكة يعلم حقيقتهم ربهم جل شأنه لا ينزلون إلا في هذه الليلة أو الروح الرحمة **﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾** لكل أمر يقضيه الله تعالى في هذا العام تَنْزل الملائكة .

﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هذه الليلة ليُمْنها عند الله تعالى لا يقضى فيها إلا السلامة وما عداها من الليالى يقضى فيها الخَير والشر أما هذه الليلة فلا يقضى فيها إلا السلامة أو معنى سلام هى أن الملائكة تنزل فيها وتسلم على المؤمنين والمؤمنات **﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** ومتى طلع الفجر انتهى التسليم من الملائكة على المؤمنين والمؤمنات وتم إنزال ما قضاه الله تعالى في شئون عباده ، وليلة القدر يقول المصطفى ﷺ : **«من قامها إيماناً واحتساباً ـ أى يبغى بهذا القيام وجه ربه ـ غفر له ما تقدم من ذنبه»** ، وما الدعاء الذى يستحسن أن يقال فيها؟ **«اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى»** وهل تُحْيا هذه الليلة في المساجد؟ هذه الليلة وليلة الإسراء وليلة النصف من شعبان لم يكن لها إحياء في عهد الصحابة في المساجد وإنما بدأ إحياء أمثال هذه

الليالى في عهد التابعين وكان بدؤه في الشام والأفضل أن تُحْيا هذه الليالى ؛ يحييها كل على انفراد، ويكره الاجتماع على إحياء هذه الليالى في المساجد؟ وكيف تُحيا هذه الليالى؟ تحيا إما بقراءة القرآن وإما بالصلاة على المصطفي ﷺ وإما بتعليم الناس العلم فكل طاعة تَعملُها فيها إحياءٌ لها، وإن أفضلَ طاعة يقوم بها العبد إنما هى تحبيب الله جل شأنه في عباده، وتحبيب العباد في ربهم، ولا يكون هذا إلا بتعليم العلم فإن العلم أفضل عبادة تَعلَّمتَه أو عَلَّمتَه كذلك تعلُّم القرآن وتعليمُه **«خيركم من تعلَّم القرآنَ وَعلَّمه»** .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين منفكين
حتى تأتيهم البينة ﴿١﴾ رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة ﴿٢﴾
فيها كتب قيمة ﴿٣﴾ وما تفرق الذين أوتوا الكتب إلا من
بعد ما جاءتهم البينة ﴿٤﴾ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين
القيمة ﴿٥﴾ إن الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين
في نار جهنم خلدين فيها أولئك هم شر البرية ﴿٦﴾ إن
الذين ءامنوا وعملوا الصلحت أولئك هم خير البرية ﴿٧﴾
جزاؤهم عند ربهم جنت عدن تجري من تحتها الأنهر خلدين
فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴿٨﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة البينة مدنية وآياتها ثمان نزلت بعد الطلاق.

- ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم العدائى من دعوة رسول الله ﷺ رغم ما جاءهم من الدليل القاطع على بطلان ما هم فيه.

- الأمر بالإخلاص فى العبادة لله وحده.

- وختمت السورة الكريمة ببيان مصير الكفار والمشركين والمؤمنين الصالحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

الشرح:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ والمشركون هم عبَّاد الأصنام ﴿مُنفكِّين﴾ عن كفرهم

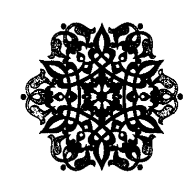
وتاركين له حتى تأتيهم البينة ، حتى يأتيهم الدليل القاطع على بطلان ما هم فيه ، وما الدليل القاطع ببطلان ما هم فيه؟ ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ هذا الدليل الذى ينقطع به المشركون والكافرون من أهل الكتاب عن دينهم الباطل إنما هو رسول الله ﷺ ، ﴿ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يتلوها بفمه ، والصحف المطهرة هى الصحف التى كتب فيها القرآن ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ فيها أحكام قويمة عادلة ليس فيها من عوج ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ كان أهل الكتاب يقولون إنا إذا بعث إلينا الرسول الذى نجده مكتوباً فى كتبنا آمنا به واتبعناه ، فلما بعثه الله لهدايتهم عز عليهم أن يتركوا ما هم فيه من جاه وحسدوه فأبوا أن يؤمنوا به وإنما آمن به القليل منهم .

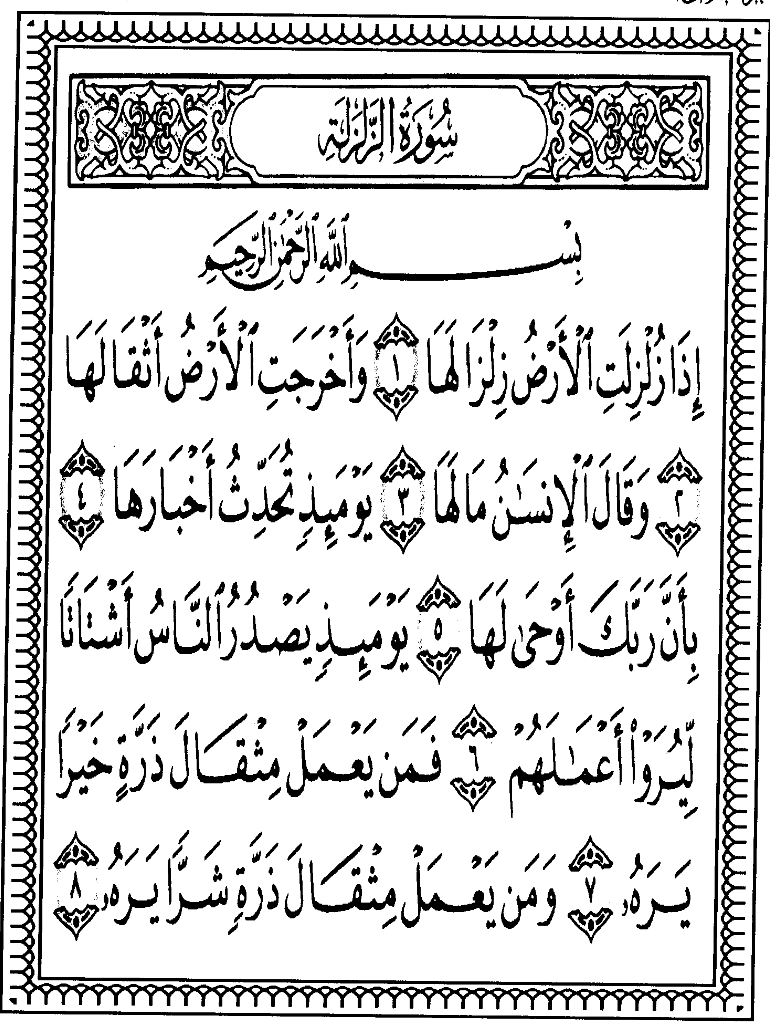
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق وهو دين الإسلام ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ دين الإسلام وهو الدين الصحيح القيم الذى لا عوج فيه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ أى إن الذين كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ من اليهود النصارى وعبدة الأوثان ، هؤلاء جمعيًا يوم القيامة فى نار جهنم ماكثين فيها أبدًا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها لأنهم شر الخلق على الإطلاق . وقال الإمام الفخر لمَ ذكر (كفروا) بلفظ الفعل و(المشركين) بإسم الفاعل ؟ لأن أهل الكتاب لم يكونوا كافرين من أول الأمر بل كانوا مصدقين بالتوراة والإنجيل ومقرين بمبعث النبى ﷺ ثم كفروا بعد ذلك ، بخلاف المشركين فإنهم نشئوا على عبادة الأوثان وإنكار القيامة . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ يؤخذ من هذه الآية أن المؤمنين أفضل من الملائكة وكيف؟ لأن الله تعالى يقول ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ والبرية معناها الخلق فإذا كان المؤمنون خير البرية إذن هم خير من الملائكة .

﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضوا بربهم إلهاً ، ورضوا بأقضية ربهم ، فتسبب عن رضاهم بربهم إلها ورضاهم بتدبير ربهم أنّ الله تعالى يرضى عنهم بأن يقبل أعمالهم من

الطاعات وفعل الصالحات في الدنيا ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ **ذلك**: رضاء الله عنهم يكون **لمن خشى ربه**: لمن خاف الله واتقاه، ومن الذى يخشى ربه؟» ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28] فالعلماء العارفون بقدر ربهم هم الذين يخشونه، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من العلماء العاملين وأن يوفقنا لنشر الشريعة والدين وأن يجعلنا من الراضين عنه المرضيين عنده.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





سُورَةُ الزَّلزَلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة اكزكزكة لـدنية وآياتها ثمان نزكت بعد اكنخاء ويقـول المصطفي ﷺ عنها «**إنها تعدل نصف القرآن**» لأنها اختصت بأحكام الآخرة .

– لشهد آخر كلخلائق وهم ينصرفون لن فبورهم أشتاتاً لتفرفين لا بين شقي وسعيد .

أسباب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير فال لما نزكت ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ**﴾ [الإنسان: 8] (الآية) قـال المخلمـون يرون أنهم لا يؤجـرون على اكشيء اكقليل إذا أعطوه ، وقـان آخرون يرون أنهم لا يلالـون على اكذنب اكيـخيـر : اككذبة واكنظرة واكغيبة وأشباه ذكك ـ ويقوكون : إنما وعد اكله اكنار على اككبائر فأنزل اكله ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ⑦ **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧

الشرح:

هذه اكخورة اككريمة يقول المصطفي ﷺ عنها « **إنها تعدل نصف القرآن**» ؛ لأن اكقرآن فيه أحكام اكدنيا والآخرة ، وهذه اكخورة لـختصة بأحكام الآخرة ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ تحرقت حرقة شديدة فخر لا عليها لن جبال وأبنية وتشققت ، واكله

تعاكى يقول في اكزكزكة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: 4,3] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أثقال الأرض لا في جوفها لن لوتى، ولتى تكون هذه اكزكزكة؟ تكون حينما ينفخ إسرافيل في اكصور اكنفخة اكثانية فيقوم اكناس كرب اكعالمين ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾الإنخان المراد به الجنس والمقصود به هنا اككافر، ألا المؤلن فيعلم اكخاعة وأنها لا ريب فيها وفد فالت فلا يخأل عنها لأنه يعرفها، وألا اككافر المنكر كها فإنه يخأل عنها فيقول: لا كها؟ لا اكذي حدث حتى اهتزت الأرض هذه اكهزة وخرج لا في جوفها لن لوتى؟ قما يقول لاكها؟ يقول: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس: 52] ألا المؤلن فيقول: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يوم إذ زكزت الأرض زكزاكها وأخرجت الأرض لا فيها لن لوتى؛ يولئذ تحدث أخبارها: تحدث الأرض أخبارها ولا أخبارها؟ أخبارها أن قل لن عمل عليها خيراً أو شراً تشهد عليه به الأرض، فتقول عملت يا فلان يوم قذا: قذا وقذا، وعملت يا فلان يوم قذا: قذا وقذا، فلنخجل لن الأرض، وكنخجل لن ربنا جل شأنه، وكنخجل لن الملكين اكلذين يكتبان حخناتنا وسيئاتنا، وكنخجل لن جلودنا.

تحقيق ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: 24] ـ ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: 21] إن كم يكن خجل لن اكله لأنّا كم نره بأعيننا ـ وإن قانت عقوكنا في غاية اكرؤية والمشاهدة كه ـ فلنخجل لن الحفظة، فلنخجل لن الأرض اكتي تشهد علينا، فلنخجل لن أنفخنا.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ولماذا حدثت بأخبارها ولا عمل اكناس عليها؟ ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ألرها بأن تشهد على قلٍّ بما عمل عليها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أعماكهم طيبة وخبيثة، فلا يعقل أن يكون اتجاههم لتحداً بل لابد لن أن يختلف اتجاههم لاختلاف أعماكهم فمنهم اكفرح اكذي يتجه ناحية الجنة، ولنهم اكبائسُ الحزينُ اكذي يتجه ناحيةَ اكنّار ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ ينصرفون لن ألكنة خروجهم لن فبورهم لتفرفين فرفتين فخعداءُ يخلكون لخلك أهل اكخعادة، وأشقياءُ يخلكون لخلك أهل اكشقاوة.

﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ كيشهدوا جزاء أعماكهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فمن عمل لنهم لثقال ذرة لن عمل صاكح لابد وأن يشهد جزاءه. ولا اكذرة؟ اكذرة هي أصغر نملة، وبعض اكعلماء يقول: إن اكذرة إذا وضعت يدك على الأرض فما كصق فيها لن غبار قل واحدة لن هذا اكغبار اكلاصق بيدك هو اكذرة، وبعضهم يقول: إن اكذرة إذا قانت نافذة لفتوحة وفيها شعاع اكشمس فما يبدو لن غبار لتطاير لن هذه اكنافذة؛ اكواحدة لن هذا اكغبار هي اكذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فلا تختهينوا بالحخنة وكو قانت يخيرة فقد يكون رضاء اكله فيها، واكخيدة عائشة لر عليها سائل فتصدفت عليه بحبة عنب فاستقلها بعض اكناس فقاكت: قم فيها لن ذرة.

و لا سبب نزول هذه الآية؟ يقوكون إن سبب نزوكها أن بعض اكناس قان يعز عليه أن يتصدق بالأشياء الحقيرة ويقول إن اكصدفة لا تقبل إلا إذا قانت مما تحبُّه أنفخنا وتخرتيح إكيه فلوبنا وبعضهم قان يختهين باكخيئة اكصغيرة فيتهافت على فعلها ولا يباكيها فأنزل اكه هذه الآية المحكمة الجالعة اكتى كيس في اكقرآن أحكم لنها وهى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ لا تختهينوا بالحخنات اكقليلة ولا تختخهلوا اكخيئات الحقيرة فإن اكخيئة وكو قانت حقيرة إذا ضمت إكيها أخرى لع الأيام يصبح الحقير جليلاً ويصبح اكصغير قبيراً فتهلكوا، قذكك الحخنات وكو قانت صغيرة لا تختهينوا بها فقد يكون رضاء اكله عليكم فيها، فهاتوا لن الحخنات لا تيخر ككم، وابتعدوا عن قل اكخيئات، فلعل الحخنة اكتى تختهينون بها هى اكتى فيها رضا اكله وكعل اكخيئة اكتى تحتقرونها فيها غضب اكله. فاكعمل وإن قان حقيراً لا يختهان به؛ اكخيئة وإن قانت صغيرة لا يختهان بها، والحخنة وإن قانت يخيرة لا يختهان بها.

وطالما فلت ككم إن اكله أخفى رضاه فى طاعته وأخفى غضبه فى لعصيته، فلعل اكطاعة اكتى تختصغرها وتحتقرها هى اكتى فيها رضا اكله عنك، وكعل اكخيئة اكتى تزدريها وتختنل بها هى اكتى فيها سخط اكله عليك، فاحذر قل اكخيئات، وحاول أن تأتي بما تهي لك من الطاعات فلعل الله يرضى عنك، ولعلك تأمن غضبه.

وصلى اكله عل سيدنا لحمد وعلى آكه وصحبه وسلم.



الجزء الثلاثون — سورة العاديات

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ
لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾



سورة العاديات

ما تشير إليه السورة:

- سورة العاديات مكية، وآياتها إحدى عشرة، نزلت بعد العصر، وقد بدأت السورة بالقسم بخيل المجاهدين فى سبيل الله مع وصف دقيق لحالها فى أثناء إغارتها السريعة المفاجئة للعدو على غرة.

- جحود الإنسان لنعمة الله تعالى، ويشهد على ذلك حاله ومقاله؛ حب الإنسان الشديد للمال والخير لنفسه وبخله الشديد فى تأدية حق ربه.

- وختمت السورة الكريمة بأن مرجع الخلائق إلى الله تعالى للحساب والجزاء لا تخفى منهم خافية.

أسباب النزول:

أخرج البزار وابن أبى حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبثت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

الشرح:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ العاديات: الخيول المعدة للجهاد، والعاديات الماشية

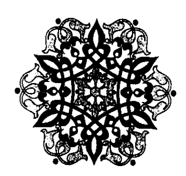
بسرعة، ضبحا: الضبح أن يضبح صوتها ويحصل فيها نفس من شدة جريها يشبه أحْ أحْ ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ يقال قدح الزند فأورى، وقدح الزند فأصلد، فأورى أشعل ناراً وفأصلد لم يحدث ناراً ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ يخيل إلىَّ أن هذه الخيول التى كانت تعدو للجهاد فى حوافرها قطع حديد فقطع الحديد التى فى حوافرها كانت تصطك بالحجارة، اصطكاكها بحجارة الصَّوان كان يحدث ناراً وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ ما فى أخفافها وأرجلها من حديد كان يصطك بحجارة الصوان التى تجرى عليها فكانت تحدث ناراً وإلى هذه اللحظة إذا ضربت قطعة الصوان بزند الحديد تشتعل النار.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الميغرات على الأعداء فى وقت الصباح، ولماذا آثر الله وقت الصباح؟ لأن عادة العرب أنهم إذا أرادوا أن يغيروا على أعدائهم ينتهزون وقت غفلتهم، ولا وقت أنسب للغفلة من وقت الصباح: نائمون أو قائمون من النوم ليغسلوا وجوههم ولينشطوا أنفسهم فهم فى هذا الوقت فى غفلة ولذا كان من أراد أن يغير على عدوه يتحين وقت غفلته ولا وقت للغفلة مثل الصباح. ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ النقعُ: الغُبارُ، والإثارة: هى التهييج، هذه الخيول حينما عَدَت على هؤلاء القوم أثارت من الأرض الغبار وهيجته ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ توسطن به: بالغبار، والجمع: جمع عدوهم، ثم يقول الله تعالى بعد هذا ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ كنود: شديد الكفران بنعم الله عليه وعظيم الإنكار لها، وما الذى يدل على شدة إنكاره نعم الله؟ أنه لا يؤدى شكرها، ولا يطيع المنعم بها عليه ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ وإنه على كنوده وكفرانه نعم الله عليه لشهيد: يشهد على نفسه بأنه غير مؤد حق ربه.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ والخير: المال، لشديد: لبخيل أو وإنه لقوى فى حب المال ضعيف فى عبادة ربه وتأدية حقه ﴿أَفَلا يَعْلَمُ﴾ السالك هذا المسلك الكافر بنعمة ربه البخيل بحقه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ وما الذى فى القبور يبعثر؟ الأجسام، يعنى إذا أزيل التراب عن القبور وبعث وقام من فيها ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ميز ما فى القلوب من خير وشر ليجازَى كلٌ بما عمل، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ إن ربهم

بهم يَوْمَ إذْ قاموا للعرض عليه ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ بما يستحقون من جزاء فيجزى المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته والله عليم بأعمال الصدور وبأعمال الجوارح فلماذا خصص هنا أعمال الصدور بقوله : ﴿وحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ﴾ ؟ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال الصدور فلا تُصدر جارحة من الجوارح عملاً إلا إذا سبق القلب بالتفكير فيه وصمم عليه، فكأن أعمال الجوارح تابعه لأعمال الصدور، وأعمال الصدور وهى النيات سبب فيها، فلذا ذكر الله تعالى أعمال القلوب بقوله : ﴿وحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ﴾ وأعمالُ الجوارحِ تابعةٌ لها والعقاب على عمل الجوارح وعلى النيات الباعثة على هذا العمل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة القارعة مكية وآياتها إحدي عشرة نزلت بعد قريش .

- تتحدث عن القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها وما فيه الناس من حيرة وما صارت إليه الجبال من هباء .

-وختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التي توزن بها أعمال الناس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

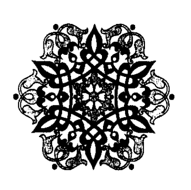
الشرح:

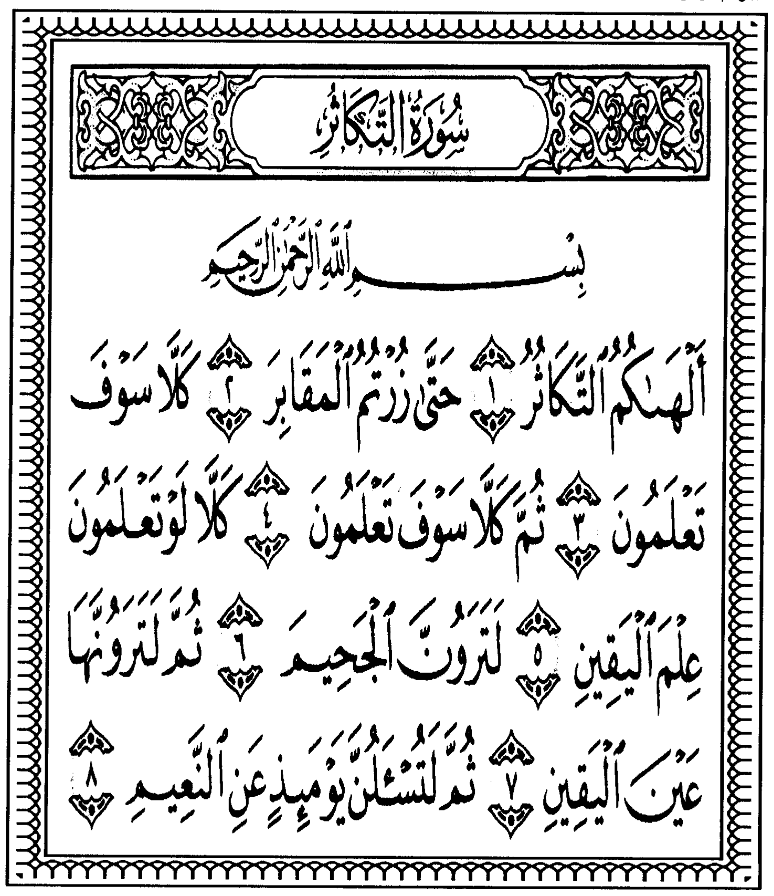
﴿الْقَارِعَةُ﴾ : القيامة وإنما سُميت بالقارعة لأن القرع هو الصوت الشديد المفزع وذلك أن أجرام السماوات وأجرام الأرض تتبدل فالسماوات متشققة والشمس والنجوم منكدرة والأرض مبدلة وبدلت الأرض غير الأرض والجبال مندكة منسفة ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ﴾ يوم عظيم وحال شديد لا يعلم شدته إلا الله جل شأنه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : 2,1] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾حالتها مفزعة وأمرها شديد ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ علمها لا يدركه البشر ولا يعلمه إلا الله جل شأنه فلا يتأتى لأحد أن ينبئك عنها يا محمد؛ لأن حالتها الشديدة جلت عن أن يدركها إلا الذي علْمُها عنده .

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ الفراش هو ما ترونه يتطاير على النار فالناس يوم القيامة حينما يخرجون من قبورهم يخرجون بكثرة ويتطايرون إلى الداعي تطاير الذباب على الشراب، وتطاير الفراش على النار وهم في منتهى الذلة والصغار ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العهن: الصوف المصبوغ بألوان متعددة، والمنفوش: المندوف، فإذا كانت الساعة أثرت في الجبال وجعلتها كالصوف المنفوش فماذا يكون حال ابن آدم في ضعفه؟! وإنما شبه الله تعالى الجبال بالعهن الذي صبغ لأن الجبال كما شاهدها من حج ذات ألوان متعددة ما بين أحمر وأسود وأبيض فكذلك الصوف المصبوغ بالألوان المتعددة، والجبال تتطاير لأنها كالقطن المندوف.

فكما أن القطن يتطاير ويمتليء به الجو كذلك الجبال لأنها منسوفة تتطاير ويمتلئ بأجزائها المتلاشية الجو ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ من كانت أعماله الجميلة راجحة فيثقل ميزانه لأنه لم يوزن به إلا الحق وإن الحق إذا وضع في ميزان فما أرجح هذا الميزان لأن الحق موزون به ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ فالله تعالى يدخله الجنة ويرضى بمعيشته فيها ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ لأنه اتبع شهواته وما تميل إليه نفسه فلم يأت إلا بالباطل وما أخف الباطل إذا وزن ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ أي ما علمك يا محمد بالهاوية؟ بينها الله بقوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ بالغة الغاية في الحرارة، وإن نار الدنيا لهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقانا الله شرها. آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





الجزء الثلاثون سُورَةُ التَّكَاثُرِ

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ما تشير إليه السورة:

– سورة التكاثر مكية وآياتها ثمان نزلت بعد الكوثر .

– تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الدنيا حتى يأتيهم الموت فجأة فينقلهم من القصور إلى القبور .

– تكرار الزجر والإنذار تفويفاً وتنبيهاً للناس بانشغالهم بالفانية عن الباقية .

– وختمت القورة الكريمة ببيان أحوال الآخرة والتأكيد على محاسبة الله عباده .

أسباب النزول:

أخرج ابن جرير عن على قال : كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾فى عذاب القبر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

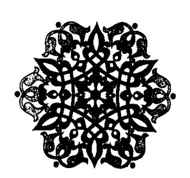
الشرح:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ألهاكم : شغلكم عن الحق وأبعدكم عما يجب أن تأتوا به ؛ تباهيكم بأموالكم وتفاخركم بكثرة أولادكم وعماراتكم ، وكان الواجب أن تتعقلوا ولا تشغلنكم هذه الأشياء الفانية عن العمل للدار الباقية ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى متُّم ، ولو عقلتم لشغلتم أنفقكم بما يبقى لكم ثوابه وتجدون

عند ربكم جزاءه، إلا إنكم لقصر عقولكم، واتباع شهواتكم، ملتم إلى الدار الزائلة، وتباهيتم بها، وتفاخرتم بكثرة أموالكم وأولادكم وما تمتلكونه من حطام هذه الدنيا الفانية، وما ذلك إلا لغضب الله عليكم، وعدم توفيقه لكم، ولو أرادكم أن تكونوا من حزبه لشغلكم بما يوصلكم إلى قربه ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى متُّم، يقال فلان زار المقبرة إذا مات، ويؤخذ من قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أنه لابد من البعث لأن الزائر لابد أن يرجع إلى داره، ولذا حينما سمع هذه الآية الكريمة بعض العرب قال: لقد بعثوا وربِّ الكعبة، وقال عمر بن عبد العزيز: لابد لمن زار من الرجوع إلى الجنة أو النار، وقال بعض الصالحين: إن المقابر دهليزُ الآخرة، وبعض العلماء يقول: إن قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بعد أن تفاخروا بالأحياء منهم وبأموالهم وبأولادهم انتقلوا إلى التفاخر بمن مات.

﴿كَلَّا﴾ ازدجروا وارتدعوا ولا تتفاخروا بحطام الدنيا الزائل واعملوا للآخرة الباقية ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند الموت أن ما كنتم فيه من التباهى باطل وليس له من حاصل ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عندما تبعثون وترون الحقيقة تعتقدون أن ما كنتم فيه إنما هو لهو ولعب لم تنتفعوا منه أى منفعة ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لو علمتم العلم اليقينى الذى لاشك فيه لرأيتم الحق ولعلمتم الواقع، ثم يقول الله تعالى ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ هذا جواب قسم محذوف كأنه قال: والله لترونَّ الجحيم: ترونها بقلوبكم ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ حينما تقوم القيامة ويدخلها أهلها، وإذ ذاك يتيقنون أن ما أوعدوا به هو الحق ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ عن كل ما أنعم الله به عليكم من أموال وأولاد وصحة وحواس هل أديتم شكرها بأن استعملتموها فيما أوجدها الله له أم بذلتموها فيما يغضب الله جل شأنه؟

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





الجزء الثلاثون سورة العصر

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ العَصْرِ

ما تشير إليه السورة:

سورة العصر مكية وآياتها ثلاث نزلت بعد الشرح أقسم الله تعالى بالعصر وهو الزمان وما فيه من العبر الدالة على قدرة الله وحكمته على أن جنس الإنسان فى خسارة ونقصان إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

الشرح:

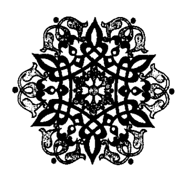
﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ : العصر : اختلف العلماء فيه على ثلاثة معان : المعنى الأول أنه الوقت الذى نصليه وإنما أقسم الله تعالى به ليبين للناس منزلته حتى يحافظوا عليه ، والمصطفى ﷺ قال : «**من فاتته العصر فكأنما وُتِرَ أهلُه ومالُه**» وتر : فقد ، بمعنى من فاتته صلاة العصر وقع فى مصيبة كأن أهله وماله فقدوا منه بل شتان بين أن يفقد الأهل والمال وبين أن تضيع صلاة العصر ، والله تعالى سمى العصر الصلاة الوسطى **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾** [البقرة: 238] أى صلاة العصر .

وبعضهم يقول إن العصر إنما هو آخر النهار فكما أقسم الله تعالى بالضحى أقسم بآخر النهار .

وبعضهم يقول إن المراد بالعصر الزمن وإنما أقسم الله تعالى بالزمن ليله ونهاره لأنه موضع الحوادث وكم فيه من أعاجيب ، فإقسام الله تعالى به ليوجه الناس إلى ما فيه من المنافع لهم ، نهار يقضون فيه مطالبهم ويسعون لما ينفعهم ، وليل يستريحون فيه من عناء أعمالهم ويسكنون فيه ليستريحوا .

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ﴾ كل إنسان خاسر ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ كمال الإنسان إنما يكون بأربعة أشياء أولها أن تكون عقيدته سليمة وهو ما أشار إليه الله تعالى بقوله : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمنوا بربهم وآمنوا بكتبه وآمنوا برسله فهذه هى المرتبة الأولى من مراتب النجاة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أتوا بالأعمال الصالحة التى أمرهم الله تعالى أن يأتوا بها واجتنبوا الأعمال السيئة التى نهاهم الله عنها وهى المرتبة الثانية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ الحق ما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله ﷺ هذه هى المرتبة الثالثة، والمرتبة الرابعة أن يتواصوا بالصبر بأن يوصى كل واحد منهم الآخر على أن يأتى بالعمل الصالح وأن يصبر على العمل الصالح وإذا ابتلاه الله تعالى أن يصبر على بليته وأن يصبر عن الشهوات، فالحاصل أن هذه السورة الكريمة كما يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه : «لو تدبرها الناس لكفتهم» وكيف تكفيهم؟ لأنها اشتملت على ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم لأن مراتب الكمال الأربعة توافرت فى هذه السورة وجمعتها كلها، الأول الإيمان ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والثانى العمل الصالح ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والثالث: أن يوصى كل واحد منهم بالحق والرابع أن يوصى كل واحد منهم أخاه بالصبر، فإذا توافرت هذه الأمور الأربعة لرجل أو لامرأة بلغت غاية الكمال. والله المسئول أن يكملنا باتباع دينه وأن يحول بيننا وبين ما يغضبه وما ذلك على فضله بعزيز.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الجزء الثلاثون		سورة الهمزة



سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة ﴿١﴾ الذى جمع مالا وعدده ﴿٢﴾ يحسب أن ماله أخلده ﴿٣﴾ كلا لينبذن فى الحطمة ﴿٤﴾ وما أدرىك ما الحطمة ﴿٥﴾ نار الله الموقدة ﴿٦﴾ التى تطلع على الأفئدة ﴿٧﴾ إنها عليهم مؤصدة ﴿٨﴾ فى عمد ممددة ﴿٩﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

ما تشير إليه السورة:

سورة الهمزة مكية وآياتها تسع نزلت بعد القيامة . - تحدثت عن الذين يعيبون الناس بالطعن والسخرية والاستهزاء .

- كما ذمت الذين ينشغلون بجمع الأموال كأنهم مخلدون لجهلهم وغفلتهم .

- ختمت السورة بذكر عاقبة هؤلاء الأشقياء فى جهنم .

أسباب النزول:

أخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال : «كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزة ولمزة» ، فأنزل الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (السورة كلها) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

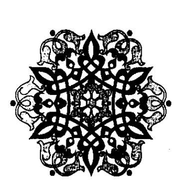
الشرح:

﴿وَيْلٌ﴾ عـذاب عظيم وبلاء شـديد ﴿لِّكُلِّ هُمَـزَةٍ﴾ الذى يعـيب الناس فى وجوههم ﴿لُّمَزَةٍ﴾ الذى يعيبهم وهم غائبون وصيغة فُعَلَة كهمزة ولمزة صيغة مبالغة أى صار العيب فى الإنسان طبيعة له وصفة ذاتية لا يستطيع أن ينفك عنها ﴿ الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ جمع أموالاً طائلة وعددها سروراً بتعديده لها وحباً فى جمع المال، أو عدده : أعد هذا المال الذى جمعه عُدَّةً للزمان وظن أن ماله الذى جمعه يخلِّد ذكره ويبقى اسمه وينيله الحياة الدائمة ، وهذا تعريض من الله تعالى بأن الذى ينيل الحياة الدائمة والمنزلة العالية إنما هو العمل الصالح الذى يدخل صاحبه الجنة

وفيها يخلد خلوداً لا نهاية له، أما المال الذى جمعه وعدده فهو عرضة للنفاد، ويسلط الله به عليه البلايا والنوازل التى ينفق فيها ماله، ولو عقل لأنفقه فيما يرضى الله عنه حتى يجد جزاءه عند ربه النعيم المقيم والخلد الدائم ﴿ **يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**﴾ ﴿ **كَلاَّ** ﴾ فليرتدع هذا الجامع للمال المعدِّد له الذى يأبى أن ينفقه فيما يعود عليه فى الآخرة. ﴿ **لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ**﴾ والله لينبذن ويطرحن فى الحطمة؛ وهى النار التى تحطم كل ما يلقى فيها﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ** ﴾ قد بين الله تعالى الحطمة بقوله : ﴿ **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ وفى إضافة النار إلى الله جل شأنه ما يدل على أنها نارٌ عظيمة لا يقدرها قدرها إلا الذى خلقها ليعذب بها من كفر بنعمه وأبى أن يؤمن به، وفى وصفها بالإتقاد زيادة مبالغة فيها ﴿**الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ** ﴾ تدخل فى أجوافهم وتصعد إلى صدورهم وتحاول أن تشرف على أفئدتهم التى هى وسط قلوبهم، وإن القلب سريع الإحساس شديد التأثر، فأقل ما يؤلم يؤلمه إيلاماً شديداً، ولذا قال الله تعالى فى صفتها ﴿**الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ** ﴾ تحيط بها وتشرف عليها نكاية فى تعذيب من كفر بالله جل شأنه.

﴿ **إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**﴾ إن الحطمة مغلقة على الكفار ﴿**فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ**﴾ولم يكتف الله تعالى بإغلاق أبوابها، بل زاد الإغلاق استيثاقاً بأن وضع عُمُداً ممددة على تلك الأبواب زيادة فى إيصادها والعمد ما هى إلا نار حتى تزداد النار التى فى الداخل شدة بالنار التى فى العمد، وييأسوا يأساً عظيماً من خلاصهم لأن جهنم أطبقت عليهم وأوصدت أبوابها وزيد إيصاد الأبواب قوة بأن مدت عمد على الأبواب؛ هذه العمد مشتعلة ناراً حتى تُقْبل النار التى من الخارج على النار التى فى الداخل فيزداد عذابهم عذاباً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة الفيل مكية وآياتها خمس نزلت بعد الكافرون، تتحدث عن قصة أصحاب (الفيل وأبرهة الأشرم وجيشه) الذين أرادوا هدم الكعبة المشرفة فأهلكهم الله وأبادهم وكان ذلك فى عام ميلاد المصطفى ﷺ سنة سبعين وخمسمائة ميلادية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

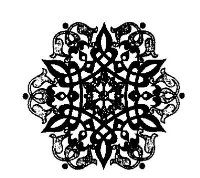
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ ألم تر يا محمد ما فعله ربك جل شأنه بأصحاب الفيل، ومن أصحاب الفيل؟ وما الذى فعله الله بهم؟ أصحاب الفيل هم جيش أبرهة وكان حاكما على اليمن من قبَل والى الحبشة، سمع بالكعبة فبنى كنيسة فى صنعاء وقال لملك الحبشة إنى بنيت لك كنيسة ما بنى ملك من قبلك مثلها وستحل محل الكعبة فى إقبال الناس عليها، فعلم بعض العرب هذا الكلام، فذهب إلى هذه الكنيسة وتبرز فيها وحينما علم والى اليمن الذى بنى هذه الكنيسة ببراز العربى فيها أمر جنده وجمع جيشه محاولاً أن يهدم الكعبة، فأخذ فيلاً عظيماً ومعه اثنا عشر فيلا أصغر منه، وتوجهوا إلى ناحية الكعبة وكانوا إذا وجهوا الفيل نحوها برك، وإذا وجهوه إلى ناحية أخرى اتجه، ثم إن الله تعالى سلط عليهم طيراً أبابيل جماعات جماعات متتابعة بعضها فى إثر بعض، ومع كل طائر من هذه الطيور ثلاثة أحجار، حجر فى فمه وحجران فى رجليه، وعلى كل حجر اسم من يضرب به، فكانت الطيور تلقى الأحجار على جيش

أبرهة، فكانت الحجارة تدخل من رءوسهم وتخرج من أدبارهم، وابتلى الله قائدهم بمرض تساقط منه جسمه أنملة أنملة حتى لقى مصرعه ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ الله تعالى جعل كيدهم وما كيدهم؟ كيدهم أنهم أرادوا أن يهدموا الكعبة لتحل محلها كنيستهم فقلب الله عليهم قصدهم، وهيأ ذلك العربى أن يتبرز فيها ملطخا إياها ببرازه، وسلم الكعبة منهم، وأهلك جيشهم، فما كادوه بالكعبة رد الله كيدهم عليهم وأهلكهم، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات، واحدها إبَّوْل أو واحدها إبِّيل ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ السجيل هو الطين المتحجر الذى لَم يحرق وكان مَع كل طائر من هذه الطيور ثلاثة أحجار وكل حجر مكتوب عليه اسم من يضرب به ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ فجعل الله تعالى هذا الجيش كالتبن الذى تأكله الماشية ثم يخرج منها فلا فائدة فيه، وهو فى منتهى التفرق والتشتت وكان ذلك فى عام ميلاد المصطفى ﷺ وإرهاصاً بنبوته ومن خوارق العادات والمعجزات التى تسبق قدوم الأنبياء عليهم السلام. والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



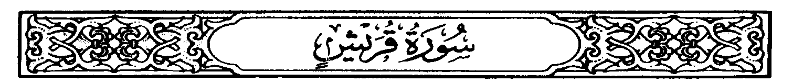


الجزء الثلاثون — سُورَةُ قُرَيْشٍ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة قريش مكمية، واياتها أربع، نزلت بعد التين، تحدثت عن نعم الله الجليلة على أهل مكة إذ يسر لهم التجارة والغنى واليسار وأنعم عليهم بالأمن والاستقرار، فحق عليهم عبادته.

أسباب النزول:

أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فضل الله قريشا بسبع خصال**» (الحديث) وفيه نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ**﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

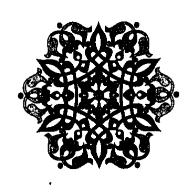
لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

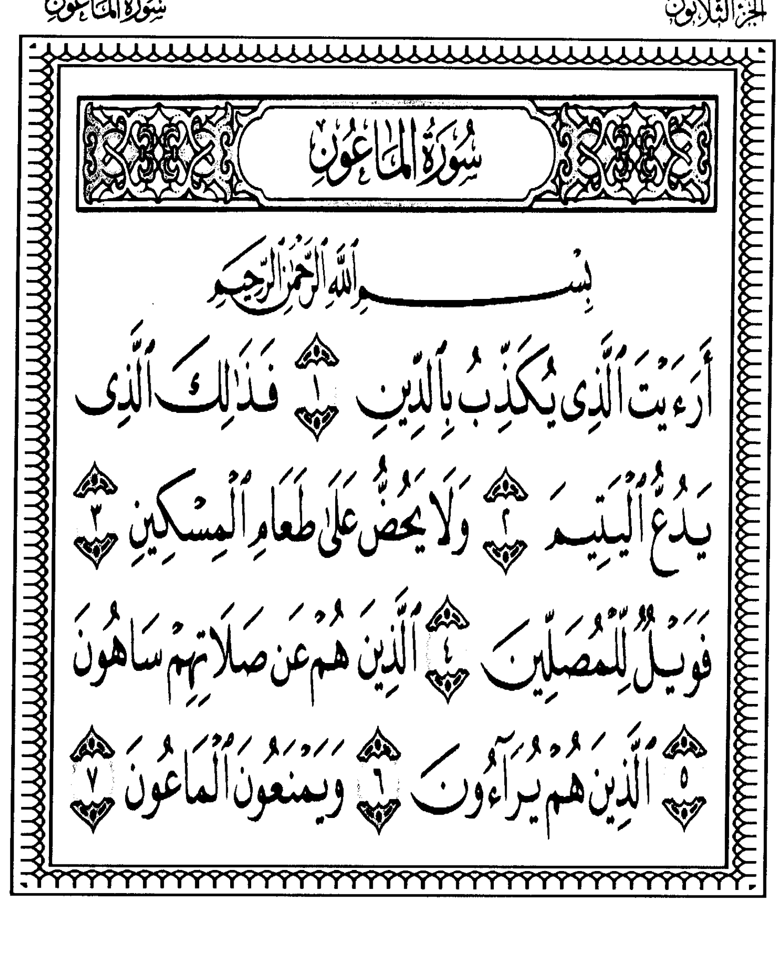
الشرح:

﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)**﴾ نعمُ الله تعالى على العرب كثيرة لا يحصيها إلا الله جل شأنه، وإن من أعظم نعمه عليهم، أن جعل قلوبهم تألف رحلتين، رحلة فى الصيف إلى الشام، ورحلة فى الشتاء إلى اليمن، ﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾ لتحبيب الله قريشا فى هاتين الرحلتين وهما من أجل نعم الله عليهم لأنهم كانوا يذهبون صيفا إلى الشام ويذهبون شتاء إلى اليمن فيتجرون ويرجعون بمكاسب عظيمة ولا يتعرض لهم أحد من العرب وكانوا يتعرضون للتجار سواهم فيأخذون أموالهم وقد يقتلونهم، أما القرشيون فإن الله تعالى سلمهم فى رحلتيهم ببركة هذا البيت فحق عليهم أن يذكروا تلك النعمة وهى نعمة تحبيب الله إياهم فى أن يرحلوا صيفاً إلى الشام وشتاء

إلى اليمن وهم آمنون مطمئنون ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67] . لهذه النعمة العظيمة ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فليذكروا إنعام الله عليهم بتلك النعمة الكريمة وهى تحبيبهم فى الرحلتين فليشكروها وليعبدوا الله الذى ألهمهم إياها وهيأها لهم ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وهذا البيت هو الكعبة ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ من جوع شديد كانوا يعانون شديد الألم منه، حتى إنهم كانوا يأكلون الجيف ويحرقون عظام الحيوانات الميتة ويأكلونها من شدة جُوعهم، فآمنهم الله تعالى بهاتين الرحلتين، وأغناهم وأذهب عنهم شر الجوع الذى كان متملكا لهم، قاضيا عليهم ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ من خوف أبرهة ملك اليمن حينما أراد أن يسطو عليهم ليهدم الكعبة، وهذا ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً﴾ [البقرة: 126] .
أسأل الله أن يؤمننا فى الدنيا والآخرة، وأن يقينا الشر، وأهل الشر وما ذلك على فضله بعزيز .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم





الجزء الثلاثون سورة الماعون

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أرءيت الذى يكذب بالدين ﴿١﴾ فذلك الذى يدع اليتيم ﴿٢﴾ ولا يحض على طعام المسكين ﴿٣﴾ فويل للمصلين ﴿٤﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴿٥﴾ الذين هم يراءون ﴿٦﴾ ويمنعون الماعون ﴿٧﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة الماعون مكية ثلاث الآيات الأُول ، مدنية الباقى وآياتها سبع نزلت بعد التكاثر .

- تحدثت عن الكفار المكذبين بيوم الدين وسوء معاملتهم لليتيم ، والمنافقين المرائين بأعمالهم وصلاتهم وتوعد الله إياهم بالهلاك .

أسباب النزول:

نزلت هذه السورة الكريمة لأن أبا سفيان كان يذبح كل أسبوع ناقتين أو جملين فأتاه مسكين يطلب شيئاً من اللحم فضربه بعصاه ، ومما ذكر فى سبب نزولها أن أبا جهل كان وصيا على يتيم فبليت ثيابه ، فذهب إلى أبى جهل يطلب شيئاً من ماله ، فزجره زجراً شديداً ، وطرده بشدة ، فقال بعض المستهزئين بالإسلام والمسلمين لا يُنصفك إلا إذا استشفعت بمحمد «صلى الله عليك وسلم ياسيدى يارسول الله » ، وما قصدوا إلا الاستهزاء برسول الله ﷺ حتى إذا ذهب مع اليتيم إلى أبى جهل أساءه ، وكان من دأب النبى ﷺ أن يستجيب للمستغيث به فذهب مع اليتيم إلى أبى جهل فقال : «**يا أبا جهل أعط هذا حقه**» فقال : مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، وأعطاه ما يطلب فلامه الكافرون قائلين يا أبا جهل تركت دينك وصبوت إلى دين المسلمين ، فقال : ما ترك البعيد دينه ولكنى رأيت على يمين محمد حربة وعلى يساره حربة فلو تلكأت فى إجابته خشيت أن أطعن بهما . هذا هو السبب الذى حملنى على الإستجابة لا التَّرك لدينى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

الشرح:

﴿أرأيْتَ الَّذى يُكَذِّبُ بالدّين﴾ أرأيت: استفهام المقصد منه تعجيب المخاطَبين وتشويقهم ليعلموا جواب هذا الاستفهام ويتطلعوا إلى العلم به ﴿**أرأيْتَ الَّذى يُكذّبُ بالدّين**﴾ ما الدين؟ الدين يطلق على الجزاء على الثواب والعقاب يوم القيامة؛ على ثواب الأعمال الصالحة وعلى عقاب الأعمال السيئة ومنه دنَّاهم كما دانو ﴿**مَالك يَوْم الدّين**﴾ [الفاتحة: 4] مالك يوم المثوبة والمعاقبة ويطلق الدين أيضا على الإسلام ﴿**إنَّ الدّينَ عندَ اللَّه الإسْلامُ**﴾ [آل عمران: 19] .

﴿أَرَأَيْتَ الَّذى يُكَذّبُ بالدّين﴾ إن لم تعرفه يا محمد وإن لم تعلمه يا أيها العاقل المخاطب فاسمع تعريفه من الله جل شأنه ﴿ **فَذلكَ الَّذى يَدُعُّ الْيَتيمَ**﴾المكذب بالجزاء والمكذبُ بالإسلام هو الذى يدعُّ اليتيم أى يدفعه دفعا عنيفا، ويزجره زجرا شديدا إذا طلب منه لقيمة أو ما يستعين من الحاجات ﴿**وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمسْكين**﴾ ولا يحض: ولا يحث نفسه ولا يحض الأغنياء ولا يحثهم على بذل الطعام للمسكين لماذا؟ لأنه لو صدَّق بيوم الجزاء ولو صدق بالإسلام وما فيه من أحكام ما وسعه إلا أن يقدم عملاً يجده فى آخرته، وأن يطيع ربه فيما أمره به ونهاه عنه، لكن من يدفع المسكين عن حقه ولا يحض الناس على إطعامه مكذب بالدين؛ لأنه لو آمن بالجزاء وآمن بالإسلام لعلم أن المحسنَ يحسنُ إليه، وأن المسىء يساء إليه وأن الإسلام حض على إطعام المساكين، وعلى الدعوة إلى الإحسان إليهم، والقيام بشئونهم، ولماذا قال الله تعالى ﴿**وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكين**﴾ ولم يقل على «إطعام

المسكين»؟ ليشير إلى أن المساكين لهم حق فى أموال الأغنياء، وأنهم إذا طلبوا منهم لا يطلبون إلا حقهم ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19] والطالب حقه لا يُعاب ولا يُسَفَّه ولا يمتنُّ عليه من أعطاه. كأن الله قال ولا يحض على طعام المسكين حتى لا يمتنَّ المعطى وينغص العطية على من أعطاه من المساكين، وحتى يعلم المسكين أن له حقاً فى ذلك المال وما طلب إلا حقه فلا يخجل أن يطلب.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كأن الله يقول: يا أيها العقلاء احذروا أن تقلدوا هؤلاء من يَدُعُّون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين لماذا؟ لأنهم بخلاء لا مروءة عندهم فإياكم مخالطتهم فإن طباعهم تسرى إلى طباعكم فَتَفْسد أخلاقكم، وتذهب مرؤءتكم، ويغضب عليكم ربكم. إذن معاملتهم مع الخلق ما أسوأها فانظروا معاملة هؤلاء مع الخالق.

إذا كان من يدُعُّون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين حذر الله أن نخالطهم حتى لا تسرى طباعهم إلى طباعنا فنهانا الله أن نخالط من لا يصلى ولذا قال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ كان المقام أن يقال: فويل لهم أى لمن يدعون اليتيم ولمن لا يحضون على طعام المسكين ولكن الله قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ويلٌ: عذابٌ وهلكةٌ وجُبٌّ من أجباب جهنم إذا فتح تستغيث النار من شدة حره ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين هم ساهون وغافلون عن صلاتهم بشئون دنياهم وبلهوهم وهزلهم ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يتركون الصلاة ولا يبالون بها لأنهم لا يعتقدون أنها فريضة عليهم وأن الله طالبُها منهم، فإذا فاتتهم لم يحسوا أن فرضاً فاتهم لأنهم لا يؤمنون بافتراضها ولا يخشون عقاباً على فواتها لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا يؤمنون بمن يُعاقبُ فيها.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ يأتونها إذا كانوا بين الناس ليقول الناس إنهم مسلمون، وليأمنوا أن يعاقبوا العقاب الذى أمر به الله لتاركى الصلاة، وإذا كانوا فى خلواتهم لا يؤدونها، إذن يؤدون الصلاة إذا وجدوا أمام الناس، وإذا خلوا لا يبالون بالصلاة ولا يؤدونها لأنهم لا يعتقدون افتراضها، ولا يخشون العقاب عليها لأنهم لا يؤمنون بها ولا بمن فرضها. والمراءاة هى أن ترى الناس أعمالك

ليثنوا عليك، تُشْهدهم أعمالك ويُشهدونك الثناء عليك. فالمراءاة ما هي إلا أن تأتي بالعمل تبغي أن يشهده الناس فيحمدونك على هذا العمل وإن كنت لا تعتقد هذا العمل ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ما الماعون؟ الماعون: الزكاة، وما الذى حملنا على أن نفسر الماعون بالزكاة؟ لأن أكثر السلف يفسرون الماعون بالزكاة ولأن الله تعالى دائماً يقرن الزكاة بالصلاة ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان:4] وبعض الصحابة قال: أُثر عن رسول الله ﷺ أنه فسر الماعون بما يستعار وتكثر إعارته كالإبرة والملح والنار والقصعة.

وبالجملة فالماعون: المَعْن؛ أي المعونة اليسيرة سواء أكانت مالية أم آلية؛ مالية كالزكاة وآلية كالإبرة والفأس والقدوم، هذه أشياء تافهة ولذا يقول العلماء: يطلب من ذى الدين أن يكثر من الأشياء التى يحتاج الناس إليها فى بيته حتى إذا طلبوا إعارتها منه وجدوها وبادر إلى إعطائها، ونجد كثيراً من الناس حتى مع الجيران يأبون أن يقدموا إليهم أى مساعدة، وهذا خطأ لأن الله تعالى جعل من علامة التكذيب بالدين منع الماعون، وهو شيء تافه إن لم يكن فيه قربة إلى الله فحق على ذى المروءة أن لا يمنعه الإنسانية، فكيف وقد حث الله عليه وأمر به.

بعض العلماء الكبار يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يشمل من ترك الصلاة رأساً، ويشمل من ترك الصلاة حتى يفوت وقتها، ويشمل من ترك الصلاة ويؤديها فى آخر الوقت، ويشمل من لا يستعد للصلاة استعداداً كاملا فيحسن طهارتها ويحسن ركوعها ويحسن سجودها ويحسن الإقبال على ربه فيها. وبالجملة فالسهو عن الصلاة يشمل كل هذه الأشياء التى ذكرتها لكم فمن توافرت فيه كلها فهو المنافق الكامل ومن توافر فيه بعضها كان فيه من النفاق بقدر ما اجتمع فيه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


الجزء الثلاثون
سُورَةُ الكَوْثَرِ
سُورَةُ الكَوْثَرِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣



ما تشير إليه السورة:

- سورة الكوثر مكية، وآياتها ثلاث، نزلت بعد العاديات، تحدثت السورة عن فضل الله العظيم وخيره العميم على نبيه ﷺ ودعته إلي إدامة الصلاة ونحر الهدي والأضحية تقربا إلي الله.

- وضَّحت السورة الكريمة بالإخبار بأن الكافر مبتور من رحمة الله بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد.

أسباب النزول:

لما مات القاسم ابن النبي ﷺ قال العاصي بن وائل: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فنزلت السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

الشرح:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ رسول الله ﷺ دعا إلى الإسلام وحده، وكم لقي من عناء في الدعوة إلي ربه، وكم وقف أهله في وجهه، وكم حاربوه، ولبغضهم إياه وهو أهل لكل حُب كانوا إذا مات بعض أولاده فرحوا وقالوا: صار محمد أبتراً أي انقطع نسله وسينقطع ذكره فرد الله عليهم قائلاً: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ «إنا» بعظمتنا وقدرتنا أعطيناك يا محمد الكوثر. وما الكوثر؟ هو الكثير كثرة لا يأتي لها العد ولا يحيط بها الحد؛ إلكثرة المفرطة التي تفوق الحد والعد في كل شيء في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا شمتوا حينما مات أولاده الذكور فأعطاه الله من السيدة فاطمة ما لا يعد في كل بقاع الأرض، أولادها لا يأتي عليهم العد، وكما أعطاه الله الأولاد من السيدة فاطمة الأولاد الكرام الأذكياء النبلاء الذين يعد الواحد منهم

بألف، كما أعطاه الله الأولاد من هذه السيدة المباركة الكريمة أعطاه الإسلام، وكم في الإسلام من منافع للإنسانية، وكم فيه من فوائد وكم فيه من مصالح لأعدائه قبل أوليائه، وكم فيه من منافع في الآخرة؛ أعطاه الشفاعة لفصل القضاء يوم القيامة، أعطاه أنواعاً أخرى من الشفاعات، أعطاه القرآن وكم فى القرآن من معجزات وكم فيه من ايات وكم فيه من منافع للإنسانية.

أعطاه معجزات جمة لا يحيط بها العد؛ أعطاه الذكر، المسلمون من فاتحتهم إلى خاتمتهم أبناؤه ﷺ أبناء مخلصون وشتان بين أبيهم الأكرم الروحي النبوي وبين آبائهم في النسب يفدونه بأنفسهم فضلاً عن آبائهم وأموالهم. أعداؤه الذين شمتوا بموت أولاده نُسيَ ذكرُهم وإذا ذكروا فباللعن وبئس الذكر باللعن ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يذكرك كل مؤذن، ويذكرك كل خطيب، ويذكرك المقيم، ويذكرك المتشهد، وتذكر إذا قرئ العلم، وإذا تلي الحديث، وتذكر في الشهادتين وبالجملة فما أشيع ذكره بكل مكرمة وجميل ومأثرة وفضلٍ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فصل يا محمد شكرًا لربك الذي أنعم عليك بكل هذه النعم التي جاوزت الحد والعد. ولماذا أمره الله بالصلاة؟ لأن الصلاة تجمع أنواع الشكر، فصلِّ شكراً لربك لأنك إذا أسْدي إليك جميل اعتقدت أن المسدي إليك عظيم وكريم وأحبه قلبك وأثنى عليه لسانك وإذا تهيأت لك خدمته سارعت إليها، والله أنعم على محمد ﷺ بكل هذه النعم فأمره بأن يشكره عليها - أمره بماذا؟ بالصلاة، دم مصليا شكراً لربك، وإنما عين له الصلاة لأن الصلاة جمعت أنواع الشكر؛ شكر بالقلب وهو اعتقاد العظمة في المنعم بهذه النعم، وشكر باللسان وما أعظم الشكر في أم الكتاب ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 1-6] فالفاتحة ذكر لساني يجمع أفضل أنواع الشكر بل يجمع الذي علمه الله لخلقه وعلمه لنبيه، وفي الصلاة شكر بالخدمة، خدمة الله بماذا؟ بما أمرك أن تخدمه به وخدمتك لربك ما هي إلا خدمتك نفسك، فما أغناه عن تعبك وإنما تعبك لك ﴿ وَانْحَرْ﴾ وانحر ماذا؟انحر البدن وهي الجمال ووزعها علي عباد الله، كأن هذه السورة تقابل السورة الماضية لأن السورة

الماضية كان فيها مصلون ساهون عن صلاتهم وهذه السورة فيها صلاة ما أكرم مصليها وما أشرفه، والسورة الماضية فيها بخل متناه على ذي الحق بحقه، وهذه السورة فيها بذل لأكرم أموال العرب وهو الإبل المنحورةً إذ أمره الله بنحرها وتوزيع لحومها على المحتاجين، وبعض العلماء يفهم أن المراد بالصلاة صلاة العيد، والمراد بالنحر نحر الأضحية وأن الأضحية لا تكون أضحية إلا إذا ذُبحت بعد صلاة العيد في المصر، أما في القرى التي لا تصلى فيها العيد فلك أن تذبح ولكن إذا كنت في قرية يصلي فيها العيد أو في مدينة إن ذبحت قبل العيد فذبيحتك لحم لأهلك وليس لك ثواب الأضحية. متى تنال ثواب الأضحية؟ إذا صليت العيد وذبحت، وبعضهم يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أقصد بصلاتك وجه ربك وانحر ذبائحك لوجه ربك. السابقون كانوا يصلون رياءً وكانوا يذبحون باسم أصنامهم، ولكنك أنت يا محمد صل مخلصاً في صلاتك لربك ودم عليها واذبح باسم ربك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك يا محمد ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ منقطع الأثر، وإذا ذكر لا يذكر إلا باللعن والسب ولكنك يا محمد أعطيناك الكثير فكل الأمة الإسلامية من فاتحتها إلى خاتمتها؛ المسلمون أبناؤك صحابتهم وتابع صحابتهم، وبقيتهم في مختلف العصور ما هم إلا أبناؤك وهم أخلص لك من أبناء النسب يفدونك بآبائهم وأولادهم لأنك أبوهم والمشرف على تربيتهم، ولا يكمل دينهم إلا بتفديتك وتقديمك على آبائهم وأموالهم وأولادهم ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ هو المنقطع أثره الذي لا ذكر بالحسن له، وإن كان له ذكر فالبالسيئ الذي عَدَمُ الذكر أشرفُ فيه من الذكر؛ أبو جهل وأبو لهب وابن أبي معيط بم يذكرون؟ لا يذكرون إلا إذا قرئت السيرة وإذا ذكروا تتبعهم اللعنات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.




الجزء الثلاثون
سورة الكافرون
سورة الكافرون
بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦



ما تشير إليه السورة:

سورة الكافرون مكية، وآياتها ست، نزلت بعد الماعون، وهى سورة التوحيد والبراءة من الشرك قطعت أطماع الكافرين فى زعزعة إيمان المؤمنين.

أسباب النزول:

1- الكافرون ذهبوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا له ما حاصله بدل أن نستمر على عدائك وتستمر على عدائنا فأنصفنا من نفسك لننصفك؛ اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك، أو استلم آلهتنا أى المسها نذعن لك، فقال رسول الله ﷺ : «**معاذ الله أن أشرك بالله شيئاً**» فنزلت هذه السورة.

2- اأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن ميناء، قال: لقى الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت فى أمرنا كله، فأنزل الله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ إلى آخر السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

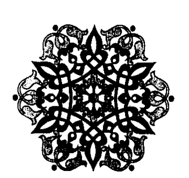
الشرح:

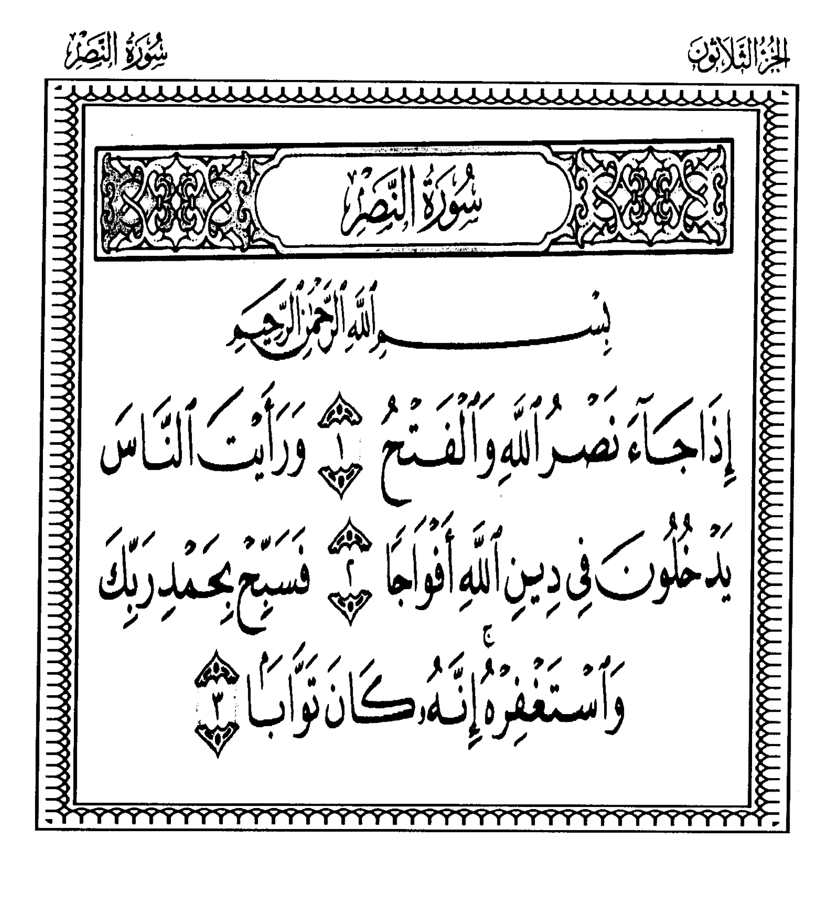
﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ والمخاطب بها كافرون مخصصون علم الله أنهم لا يسلمون ويموتون كافرين ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ لا أعبد فى مستقبل حياتى أو فى الوقت الراهن ما تعبدون من أصنامكم ﴿**وَلا أَنتُمْ**﴾ فى مستقبل حياتكم ولا فى حالتكم الحاضرة ﴿**عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ لأنى أعبد الواحد الحى القيوم وأنتم تعبدون ما

تصنعون بأيديكم من أحجار لا تنفعكم ولا تضركم ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ولا أنا فى حالى وفى مستقبلى عابد ما عبدتم من أصنامكم ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم يا أيها الكافرون فى حالكم وفى مستقبلكم عابدون إلهى الذى أعبده، وقد قلت لكم إن هذه السورة نزلت فى قوم كفرة قضى الله عليهم أن يموتوا على الكفر. لماذا قال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ ولم يقل «ما عبدت» ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ كان المناسب للفظه ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أن يقال ولا أنتم عابدون ما عبدت فى الماضى - لماذا قال ما أعبد ولم يقل ما عبدت ؟ لأن رسول الله ﷺ قبل النبوة ما عرف عنه أنه كان يعبد الله على أية كيفية لأنه كان يعبد الله على بقايا من ملة إبراهيم وملة إبراهيم لم يكن مكلفاً بها وإنما استراح قلبه إليها فعبد. إذن عبادته ليست بعبادة مشروعة لأن العبادة متى تكون مشروعة؟ إذا أمره الله بها - وهو لم ينبأ بعد فلمْ يؤمر بأن يسلك العبادة على البقايا التى كانت فى جاهلية العرب من ملة إبراهيم، لكن بفضل الله وحسن طبيعته وكريم استعداده عبد. هل هذه تسمى عبادة؟ لا تسمى عبادة، وهل كان العرب يعتقدون فى جاهليتهم أن رسول الله ﷺ كان يعبد ما كانوا يعتقدون؟! هذا وما كان الرسول ﷺ يعتقد أنه يعبد ولكن طبيعته كريمة واستراح إلى هذا الجنس من العمل والذكر فقام به. لم يأمره الله ولم يسلكه على أنه دين وعبادة ولكن لأن طبيعته كريمة وجهه الله تعالى هذه الوجهة لكنه لم يؤمر بها فلا تسمى عبادة لأن العبادة أمْر المعبود أن تفعل كذا وكذا. هل نبئ حتى يؤمر؟ لم ينبأ ولكن حينما نُبِّئ وأُمر بما يجيء به ، فما أمر به هو الذى يسمى عبادة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر وعليكم جزاؤه من ربكم ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإيمان ولى فيه ومن يتبعنى النعيم المقيم فى جنات النعيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



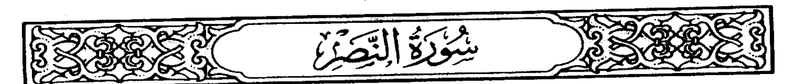


الجزء الثلاثون سورة النصر

سُورَةُ النَّصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾



سُورَةُ النَّصْرِ

ما تشير إليه السورة:

سورة النصر نزلت فى حجة الوداع ، فتعد مدنية ، وهى آخر ما نزل من السور ، وآياتها ثلاث ، نزلت بعد التوبة .

تتحدث السورة عن فتح مكة وانتشار الإسلام وارتفاع رايته بنصر من الله وحده دون سواه ودعوته رسوله ﷺ بالإقبال عليه .

أسباب النزول:

أخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر عن الزهرى قال : لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا فى الدين ، فأنزل الله ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ حتى ختمها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

الشرح:

﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**﴾ إذا جاءت معونة الله لك يا محمد ونصَرك الله على مشركى العرب ﴿**وَالْفَتْحُ**﴾ وفتحت لك مكة ولماذا قال ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**﴾ وليعلم المسلمون وليعلم الرسول ﷺ أن النصر ليس بالعَدَد ولا بالعُدَد وإنما هو من الله فلا يخيل إليهم أنهم انتصروا بعَددهم وعُدَدهم ولا يخيل إلى الرسول كذلك ولذا قال الله ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**﴾ لا نصْرُك ولا نصر جندك ولا نصرُ عَددك ولا نصرُ عُددك وإنما نصر الله فاشكر ربك ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ وفتح مكة ﴿**وَرَأَيْتَ النَّاسَ**

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ وشاهدت الناس يا محمد حينما ينصرك الله النصر العزيز البين ويفتح لك مكة، شاهدتهم يدخلون فى الإسلام جماعات جماعات وفئات فئات وقبل هذا ما كان يدخل إلا الواحدُ بعد الواحد أو الاثنان بعد الاثنين.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ إذا جاءك نصر الله وفتحت لك مكة ورأيت الناس متهافتين على الدخول فى الإسلام جماعات جماعات، انتهت مهمتك فى الدنيا فأقبل على ربك كل الإقبال، فما كلفناك به فى الدنيا أديته، فاستعد لمقابلتنا والقدوم علينا على أكمل حال وأتم خدمة لأنك الأولى بالوسيلة التى هى منزلة لا يستحقها إلا أخلص العباد، وأنت أخلصهم فاجْهَد لتبلُغ ما أعددته لك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ «فسبح»: فاشكر ربك وتعجب مما أفاء عليك وحدك، دعوت وكم تعبت وكم أسيء إليك فأمدك الله بنصره وأعانك على عدوك وانتهت مهمتك فى الدنيا فأقبل على ربك شاكراً إياه، متعجباً من زائد إنعامه عليك وفتحه لك، حامداً ربك على ما أتاك مستغفراً لأمتك أو مستغفراً لما عساه حدث منك من تقديم المفضول على الأفضل، الرسول ﷺ معصوم والمعصوم لا يعصى فلم يستغفر؟ يستغفر لعله استبطأ نصر الله ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 214] أو لعله فى بعض الأحيان وجد جسده الشريف محتاجاً إلى راحة فمال إليها، مال إليها ناوياً الاستعانة بتلك الراحة على القوة للمجاهدة فى سبيل الله فعدها تقصيراً وإلا فما أبعده عن التقصير ﷺ.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وبالجملة فحق الله عظيم لا يؤديه أحد، ولذا أمر المصلين بعد الانتهاء من صلاتهم أن يستغفروا - هل كانت الصلاة موضع معصية حتى يستغفر بعدها؟ إنها صلاة وقد تأتى بها كاملة وقد أتى بها الرسول ﷺ وما أكمل صلاته، ومع هذا كان يستغفر بعد أفضل عمل، وهو أفضل متوجه إلى ربه ومستحضر إياه، يستغفر بعد أفضل عمل وهو أكرم مستحضر لِمَ هذا؟ لأنه يعلم عظمة الله وأن حقه لا يؤدى.

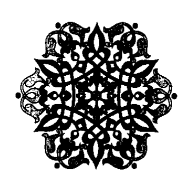
إن العبد مهما بذل جهده فى سبيل خدمة ربه لكان مقصراً ولو أتى بأقصى ما يستطاع، فما يستحقه الله فوق كل جهد وفوق كل عامل ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ إن ربك

منذ أوجد الخلق تواب وليست توبته كانت ماضية وانقطعت، «كان» إذا أسندت إلى الله كان معناها اتصاف اسمها بخبرها وانقطعت عن الزمن . تقول كان محمد غنيا - كان في الماضي ولكن لو قلت كان الله مقتدراً فكان معناها إسناد القدرة الدائمة إلى الله فمعنى ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ دائم التوبة جل شأنه - وما معنى دائم التوبة يقبل التائبين إليه من عباده فمعنى «إنه كان توابا» : كثير قبول توبة التائبين ومعنى فلان تواب : كثير الرجوع بالتوبة إلى ربه . فتواب إذا أسند إلينا كان معناه كثير الرجوع من العبد إلى الرب، وإذا أسند إلى الله كقوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ كان المعنى أنه كثير القبول للتائبين الراجعين إليه .

أسأل الله أن يلهمنا الصواب وأن يفهمنا الكتاب وأن يجعلنا من الموفقين لذكره وشكره وحسن عبادته وأن يعيننا على نشر العلم والعمل به .

اللهم أعنا على العلم والعمل به وما ذلك على فضلك بعزيز .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



سُورَةُ المَسَد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة المسد مكية وآياتها خمس، نزلت بعد الفاتحة، وتسمى سورة اللهب وسورة تبت.

تحدثت عن هلاك «أبى لهب» عدو الله ورسوله وتوعدته السورة فى الآخرة بالعذاب فى نار جهنم هو وزوجته واختصتها هى بلون من العذاب شديد.

أسباب النزول:

ولماذا قال الله تعالى تبت يدا أبى لهب؟ إن المصطفى ﷺ حينما أنزل الله ﴿**أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: 214] صعد على جبل الصفا وقال: يا بنى عبد مناف يا بنى عبد المطلب ودعا كل قريش فلما اجتمعوا قال: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً فى أسفل الجبل تريد أن تغير عليكم لتستأصلكم أكنتم مصدقى**؟ قالوا: **نعم ما جربنا عليك كذباً**. قال: **إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فآمنوا بى تفلحوا وإنها للجنة أبدا أو النار أبداً ولا يدخلكم الجنة وينجيكم من النار إلا الإيمان بى فآمنوا**. فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، وتناول حجراً وأراد أن يرمى به النبى ﷺ وقيل إن أبا لهب قال للنبى ﷺ مالى إذا آمنت بك ألى فضل أكثر من الناس فقال النبى ﷺ: «**لك ما للناس**» فقال: تباً لدين يسوى بين الشريف والوضيع. أخرجه البخارى وغيره عن ابن عباس».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ تبت: خسرت وهلكت، وأبو لهب عم الرسول ﷺ وكان من ألد أعدائه واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وتب: وهلك، فالجملة

الأولى وهى قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ﴾ دعاء من الله تعالى على أبى لهب بالهلاك، وأخبر الله تعالى أن دعاءه على أبى لهب بالهلاك حصل ولذا قال : ﴿وتَبَّ﴾ ولماذا قال الله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ﴾ لأن المصطفى ﷺ حينما أنزل الله ﴿وأنذر **عشيرتك الأقربين**﴾ . صعد على جبل الصفا وقال : يا بنى عبد مناف، يا بنى عبد المطلب ودعا كل قريش فلما اجتمعوا قال : أرأيتكم **لو أخبرتكم أن خيلاً فى أسفل الجبل تريد أن تغير عليكم لتستأصلكم أكنتم مُصَدقىَّ** ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً، فقال : «**إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فآمنوا بى تفلحوا، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً، ولا يدخلكم الجنة وينجيكم من النار إلا الإيمان بى فآمنوا**» . فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا دعوتنا وتناول حجراً وأراد أن يرمى به النبى ﷺ، وقيل إن أبا لهب قال للنبى ﷺ : مالى إذا آمنت بك ألىَ فضل أكثر مما للناس فقال النبى ﷺ : «**لك ما للناس**» فقال : تباً لدين يسوى بين الشريف والوضيع .

والمصطفى ﷺ أراد أن يسلك مع أبى لهب مسلك نوح عليه السلام مع قومه دعاه جهراً فأبى أن يؤمن، ودعاه نهاراً فأبى أن يسأل فيه، لم يبق إلا أن يدعوه ليلاً فذهب إليه فى بيته، فلما رآه أبو لهب قال : جئتَ معتذراً ؟ وجلس رسول الله ﷺ أمامه جلسة المحتاج، وقال له : «**آمن بى تنجو**» فقال أبو لهب مستهزئاً به : لا أومن بك حتى يؤمن هذا الجدى وأشار إلى جدى فى منزله فقال رسول الله ﷺ **للجدى من أنا** ؟ فقال : أنت رسول الله وأخذ يثنى على رسول الله ﷺ ويمدحه فقال أبو لهب للجدى أثر فيك سحر محمد وقام وقطع الجدى لأنه آمن برسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ كما قطع يد الجدى وقطع الجدى .

وكما أراد أن يرمى رسول الله ﷺ بحجر أمسكه بيديه حينما دعاه إلى الإسلام أنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ﴾ خسرت يداه وهلكتا وحصل هلاكه ووقع بالفعل فتبت : قطعت وخسرت وكما تقولون أهلك الله فلاناً وهلك، فأهلك الله فلاناً دعاء عليه بالهلاك، وهلك استجاب الله الدعاء فيه فأهلكه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أبو لهب قال : إن كان ما يقوله ابن أخى حقاً فسأفتدى بمالى وولدى وأخلص نفسى فنزل قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ما أغنى عنه ماله الذى ورثه

من أبويه وما كسبه بتجارته، أو ما أغنى عنه ماله الموروث وما اكتسبه بوجاهته من إخوان وأعوان وأموال، أو ما أغنى عنه ما اكتسبه من عداوة النبى ﷺ وإيذائه إياه ومن آمن به ﴿ وَمَا كَسَبَ﴾ أبو لهب قال: سأفتدى بمالى وولدى إذن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَسَبَ﴾ أولاده لأن الأولاد مكسب للوالد، وأطيب ما أكل الرجل من كسبه، وَوَلَدُه من كسبه. فأنت ومالك لأبيك.

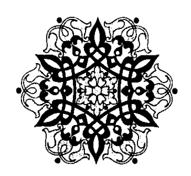
ما أوتى أحد من الأموال ما أوتى قارون وقد خسف الله به الأرض. وما أوتى أحد مُلْكا مثل ما أوتى سليمان عليه السلام وما دفع عنه الموت ملكه. فأبو لهب وإن افتخر بغناه وافتخر بولده فالله تعالى أهلكه فإن الله لا ينفع عنده ذا الجَد والغنى جدهُ وغناه وإنما ينفعه عمله الذى أخلص فيه لوجه الله ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيصلى يوم القيامة أبو لهب ناراً ذات لهب: ناراً متقدة مشتعلة وهى نار جهنم، وامرأته ستصلى النار معه، ومن امرأة أبى لهب؟ هى أم جميل العوراء بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب وعمة معاوية وكانت من ألد أعداء النبى ﷺ وأعانت زوجها على معاكسة رسول الله ﷺ وعلى الوقوف فى دعوته وكان من عملها أنها كانت تأتى بالحسك والشوك والسعدان فتحزمه وتضعه فى طريق رسول الله ﷺ ليلاً حتى يلصق بقدمه أو بجسده ويتعثر فى طريقه.

ولذا يقول الله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ حمالة الحطب: كانت تحتطب الشوك والسعدان وتضعهما فى طريق رسول الله ﷺ، أو حمالة الحطب: الساعية بين الناس بالنميمة المفسدة لما بينهم من مودة، فسميت حمالة الحطب لأن الحطب توقد به النيران فتشتعل والنميمة توقد نار العداواة بين الناس، وشتان ما بين نيران الحطب ونيران العداوة، نيران الحطب قد تقضى على الناس فى الدنيا، أما نيران العداوة فقد تقضى عليهم فى الدنيا والآخرة، أو حمالة الحطب: كافرة، كثيرة الخطايا والأذى لرسول الله ﷺ فكفرها وأذيتها لرسول الله ﷺ ما هى إلا الحطب الذى يوقد عليها به فى نار جهنم لأنه السبب فى إلقائها فيها وتعذيبها به. ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ هى من سادات قريش، وشريفة من أشرافهم كانت تُعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، فدافع الله عن رسوله وعيَّرها بأن جعلها حطابة تجمع الحطب من

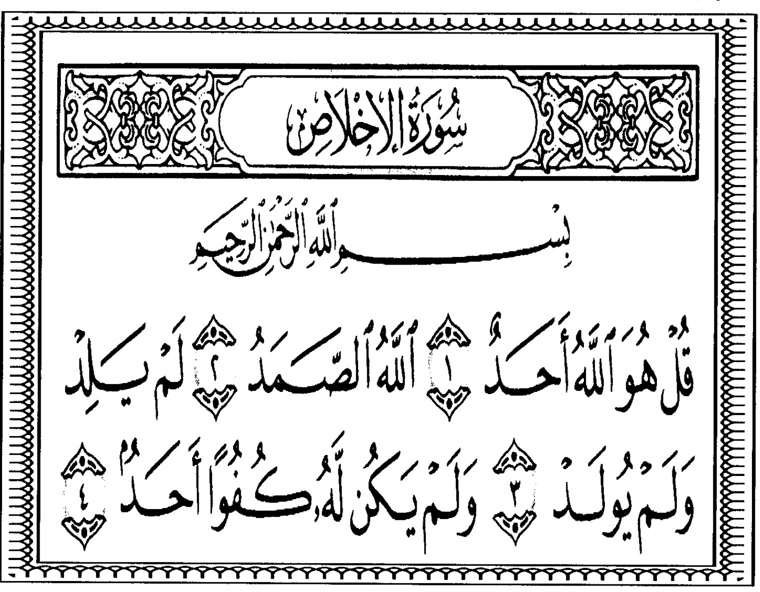
الصحارى والأودية والحسك والسعدان وتضعه متعلقاً بحبل فى عنقها سامها خسة وما أقبحها صفة! إنما قال الله حمالة الحطب إرغاماً لها وإذلالاً وكذلك إرغاماً لزوجها وإذلالاً. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: فى عنقها حبل من مسد. المسد: ما فتل من الحبال فتلاً جيداً سواء أكانت هذه الحبال من ليف أم من سعف أم من حرير، وبالجملة فالمسد هو الحبل المفتول فتلاً جيداً من أى شىء من الأشياء التى تفتل.

وما المراد بقوله ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ المراد أن سلسلة طولها سبعون ذراعاً تُدخل فى فمها وتخرج من دبرها وتطوق على عنقها فهذا هو الحبل الذى أعدهُ الله لها فى نار جهنم. وبعضهم يقول كانت تضع الحطب فى طريق رسول الله ﷺ فزائداً عن السلسلة التى تدخل فى فمها وتخرج من دبرها وتطوق على عنقها يجعل الله لها حبلاً من مسد تجمع به من حطب جهنم وتلقى على زوجها الذى كانت تعينه فى كفره وفى عداوته لرسول الله ﷺ زيادة فى النكاية به واستصعاباً فى أذيته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الجزء الثلاثون سورة الإخلاص



سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة الإخلاص مكية، وآياتها أربع، نزلت بعد الناس.

- تحدثت عن وحدانية الله عز وجل وأحديته، المقصود على الدوام، الغنى عن كل ما سواه وعن المجانسة والمماثلة.

أسباب النزول:

كفار قريش سألوا رسول الله ﷺ من ربك الذى دائماً تدعونا إلى الإخلاص فى عبادته وإلى الإيمان به وإلى توحيده، كذلك يهود المدينة سألوا رسول الله ﷺ إن الله جاءت صفته فى التوراة فما صفة ربك يا محمد؟ فأنزل الله تعالى ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ إلى آخر السورة. أخرجه الترمذى والحاكم وابن خزيمه من طريق أبى العالية عن أبىٍّ بن كعب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

الشرح:

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ الله الذى سألتمونى عنه إنما هو الله المنعوت بالأسماء الحسنى والموصوفُ بالربوبية والمتصفُ بالألوهية والذى لا يعجزه طلب ولا يغلبه غالب وهو القادر على كل شىء القاهر فوق عباده. وهو أحد واحد لا مثيل له ولا شريك له ولا نظير، واحد فى ذاته، واحد فى صفاته، واحد فى أفعاله.

﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ ما الصمد؟ هو الغنى المطلق الذى يحتاج إليه ما عداه ولا يحتاج إلى أحد. أو الصمد؛ المقصود من خَلْقه فى حوائجهم، الذى يطلبونه لمصالحهم ومنافعهم والصمد بأل معناها هو الخاص بأن يقصد ولا يصح أن يقصد سواه لأن كل مصالح عباده عنده وما عند أحد من عباده إلا ما أقدره عليه، وسواء أكان القصد

لله تعالى بالنيات كما يطلبه الأُناس أم كان القصد بالطبيعة أم كان القصد بالاستعداد الأصلى فإن كل المخلوقات متجهة إلى خالقها الأعلى جل شأنه تطلب كمالها منه .
إذن الله الصمد : المقصود الذى لا يصح أن يقصد سواه سواء قصدته بنيتك أو قصدته بطبيعتك أو قصدته باستعدادك لأن كل المخلوقات متجهه إلى خالقها تطلب منه كمالها وما أعَدَّ لها .

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لماذا لم يلد؟ لأنه أحد صمد والولادة تنافى الأحدية والصمدية . قلت لكم إن معنى أحد أنه واحد فى ذاته ، والولادة تستلزم انفصال شىء من الوالد وتستلزم أنثى يوضع فيها هذا المنفصل ، والله تعالى لا مجانس له . إذن لا أنثى وهو واحد فى ذاته فلو انفصل منه شىء لما كان واحد وإنما كان مركبا . وهو واحد برىء من أى نوع من أنواع التركيب ، وانفصال جزء دليل على التركيب وهو منزه عن التركيب ، ولذا يقول الله تعالى شارحاً هذا المعنى فى آية أخرى . ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الانعام: 101].

﴿ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه أحد صمد ولأنه لو ولد لما كان فاتحة الوجود ، ولأنه قديم والقديم معناه لا ابتداء لوجوده ، فلو ولد لسبقه عدم ، وحاشاه أن يسبقه عدم ، لأنه لا أول لوجوده ، ولأن المولودية تقتضى والداً وأنثى ولا مجانس لله جل شأنه ولا يسبقه عدم ، والمولودية تقتضى سبق العدم ولهذا قال الله : ﴿وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكن الله جل شأنه مماثلاً أحدا . والخلق إما أجسام وإما أعراض والله ليس بجسم ولا بعرض ، ولا مثيل له ولا نظير فمن أين يأتى المماثل له؟ .

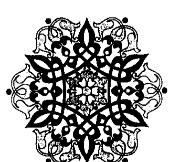
وإذا تأملنا هذه السورة الكريمة على قلة ألفاظها نجدها أثبتت التوحيد غاية الإثبات ، وردت على كل الفرق الضالة المشركة ؛ ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ : ردٌ على من يعتقدون أن الله اثنان ظلمة ونور وهم المجوس ، وردٌ أيضاً على من يعتقدون التثليث ، ورد أيضاً على من يعتقدون أن الله مكون من أصلين غير ماديين أو مكون من أصول غير مادية ﴿اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ : رد على من يعتقدون أن لله شريكاً ؛ كيف يفهم الرد من هذا؟ لأن الصمد معناه المقصود وحده لمطالب عباده ولمصالحهم فلو أن هناك إلهاً آخر لما كان مقصوداً وحده إذن لا إله آخر ﴿لَمْ يَلِدْ ﴾ ردٌ على اليهود الذين

يعتقدون أن عزيزاً بن الله لأن الله لم يلد، ورد على النصارى الذى يعتقدون أن المسيح ابن الله لأن الله لم يلد، ورد على مشركى العرب الذين يعتقدون أن الملائكة بنات الله ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ [الزخرف: 15، 16]. ورد على الصابئة الذين يعتقدون الكواكب آلهة ويعتقدون النجوم. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ رد على مشركى العرب وكيف؟ لأنهم جعلوا الأصنام شركاء له.

إذن هذه السورة تضمنت الرد على كل الفئات الكافرة وأثبتت التوحيد إثباتاً لاشك فيه ولهذا جعلها رسول الله ﷺ تعدل ثلث القرآن كما صح فى البخارى ومسلم أن سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثُلث القرآن وكيف؟ لأن القرآن أحكام، وقصص وتوحيد، هذه السورة اشتملت على التوحيد فهى ثلث القرآن بهذا الاعتبار ومن قرأها فكأنما قرأ ثُلث القرآن ولا يبعد أن أن يكون له من الثواب عند الله ما لقارئ ثُلث القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إحدى عشرة مرة فقد بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة فقد بنى له قصران ومن قرأها ثلاثين فقد بنى له ثلاثة فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : إذن تكثر قصورنا فقال: «**الله أوسع**» ، وكان بعض الصحابة فى سفر فكان يصلى إماماً بمن معه ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بعد أن يقرأ ما تصح به الصلاة فشكاه أصحابه لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لماذا يقرؤها**» فسُئل فقال: أقرؤها لأنها صفة الله فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه بأن الله يحبه**». وإذا دخلت بيتك إن كان لك به أهل فسلم عليهم، وإن لم يكن به أهل فسلم على نفسك واقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يزدْ فضل بيتك.

وبالجملة فهذه السورة شرحها يحتاج إلى دروس وحسبنا هذا القدر فيها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾



ما تشير إليه السورة:

سورة الفلق مكية، وآياتها خمس، نزلت بعد الفيل.

- تعليمٌ للعباد أن يلجئوا إلى حمى الله وأن يستعيذوا به من شر مخلوقاته وهى تعويذة من السحر.

أسباب النزول للمعوذتين:

أخرج البيهقى فى «دلائل النبوة» من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: «مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فأتاه مَلَكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: ما ترى؟ قال: طُبَّ قال: وما طب؟ قال: سُحر، قال: ومَن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى، قال: أين هو؟ قال: فى بئر آل فلان تحت صخرة فى كُرَيَّة، فأتوا الرَّكيَّة فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الكرية وأحرقوها، فلما أصبح رسَول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر فى نفر فأتَوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الكريّة وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأنزلت عليه هاتان السورتان، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فجعل كلما قرأ آية انحلت عقده. «لأصله شاهد فى الصحيح بدون نزول السورتين، وله شاهد بنزولهما».

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئاً فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخلَ عليه أصحابه فظنوا أنه لمٌ[1] (وردت لَمَّا فى «أسباب النزول للسيوطى» وفى بعض المعاجم لمم به)، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحاً.

---

(1) لمٌّ: ملموم أى مسه جن.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

الشرح:

﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ قل يا محمد أعوذ: التجئ واتحصن ﴿**بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ وما الفلق: الفلق: الصبح لأنه ينفلق عن ظلام الليل وينشق عنه أو الفلق كل الموجودات تسمى فلقاً ولماذا تسمى كل الموجودات فلقاً؟ لأنها كانت معدومة فأوجدها الله وأزال عنها ظلام العدم بضياء الوجود فهى منفلقة إذ سلب الله العدم عنها وأوجدها فكأن الله تعالى يقول: قل يا محمد ألتجئ وأتحصن برب كل شىء ﴿**مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ من شر كل ذى شر: حية، عقرب، وحوش مفترسة، شيطان، نفس، هوى، جنون، نيات، أعمال ملفقة، من شر ما خلق تشمل كل ذى شر وإن أشأم الشر وأصعبه وأعمله فى هلاك صاحبه إنما هو الذنوب والمعاصى.

﴿**وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾ الغسق: الظلام والغاسق: الليل، وقب: دخل. فكأن حاصل معنى هذه الجملة: استعذ يا محمد من شر الليل إذا انتشر ظلامه ودخل ظلامه فى كل شىء ولماذا؟ لأن الليل كم فيه من ويلات، وكم فيه من موبقات، وكم فيه من نفوس مفسدات تستعين بالظلام على الإجرام. والليل بظلامه تخرج فيه الهوام وتنتشر فيه الوحوش وتنبث الشياطين ويخرج قطاع الطريق والسراق والفساق وبالجملة فالليل الذى جعله الله راحةً لخلقه ومناماً لبنى آدم - الفاسقون بدلوا الطبيعة فيه فجعلوه موضعاً لفسقهم ومكاناً لإجرامهم؛ يسهرون والخمور أمامهم والرقص فى وجوههم، ويفجرون بإماء الله ولا يخشون بأس الله.

﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ**﴾ النفاثات جمع نفاثة وما النفث؟ النفث: النفخ ويحصل مع هذا النفخ ريق حين يخرج سواء أكان النفاثة ذكراً أم أنثى، إذن نفاثة كعلامة تطلق على الذكر والأنثى ﴿**فِى الْعُقَدِ**﴾ وما العقد؟ العقد جمع عقدة وهى

الربطة المحكمة، الربطة المحكمة تسمى عقدة فإذا جئت بخيط وعقدت فيه عقدة محكمة فهذه العقدة المحكمة هي التي ذكرها الله بقوله ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ وما النفاثات؟ النفاثات النساء، وما العقد؟ العقد عزائم الرجال؛ تعقد أمراً وتعزم عليه وتؤكد فعله في قلبك وإذا بالنساء لأنهن يستولين على القلوب وسلطانهن على الرجال عظيم لا يزلن بك يحتلن عليك حتى تبدل عزيمتك ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ من شر النساء اللاتي سلطانهن عظيم على الرجال؛ يعزم الرجال على أمور ولا يزال النساء بهم حتى يَدَعوا الأمور التي عزموا عليها وينقضونها، أو من شر النفاثات: الجماعات الساحرات اللواتي يستعن على سحرهن بالنفخ بأفواههن على العقدة ليسهل عقدها أو ليسهل حلها وليخرج من أفواههن ريق خبيث يؤثر فيمن يسحرنه. وهل السحر موجود وهل للسحر أثر؟ السحر موجود وللسحر أثر وإنكار أثر السحر كُفر لأن الله تعالى يقول ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

إلا أن السحر بعضه ضار وبعضه تخييل، ومنه عمل الحواة الذين نمر عليهم كثيراً في الشوارع ويخيلون أنهم ذبحوا تخيلا، ويخيلون أنهم أخرجوا ناراً، ويخيلون أنهم قطعوا كذا وقطعوا كذا، كل هذه خيالات طريقها خفة اليد والمران على هذه الصنعة، وهذا لا أذى منه، ونوع منه يحدث أذى وقد يحدث قتلاً ومن قتل بالسحر قُتل.

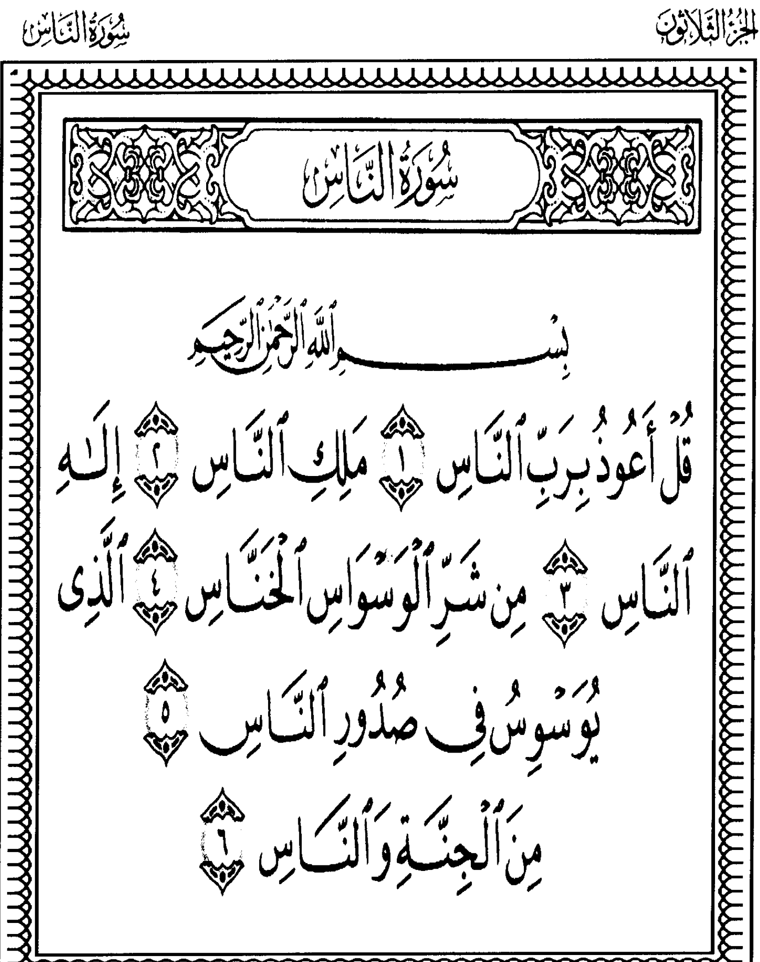
﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد معناه تمني زوال نعمة الغير، وهناك نفوس خبيثة بمجرد أن تنظر إلى الشيء مستحسنة له يخرج منها مادة روحية من هذه الروح الخبيثة قد تفسد هذا الشيء الذي استحسنته، وقد تجر إلى قتله، فالعين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: 51] وحاصل هذا أن حاسداً استُؤجر على أن يحسد رسول الله ﷺ فنظر إليه فلولا لطف الله به لأوقعه هذا الحاسد ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ

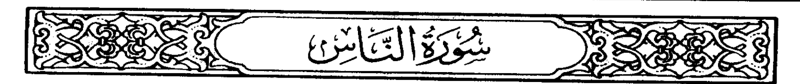
كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ ليسقطونك . وهل سُحر رسول الله ﷺ ؟ بعض العلماء ينفى وبعض العلماء يثبت . إلا أن الأحاديث الصحيحة المتواترة تثبت إنه سُحر ، وهل أثَّر هذا السحر فى دعوته الكريمة؟ لا ، إنما أثر فى جسده الشريف ولم يؤثر فى علمه المنيف ، ومن الذى سحره؟ لبيد بن الأعصم اليهودى وسحره بماذا؟ بمشط وشعر وأين وضع هذا السحر؟ وضعه فى بئر من آبار المدينة .

المصطفى ﷺ مكث شهراً وهو فى منتهى التعب والمرض من هذا السحر ، ثم رأى ملكين أحدهما يسأل الآخر ما الذى أصاب هذا؟ سحر ، ومن الذى سحره؟ فلان ، وأين مكان السحر؟ : فى بئر فلان ، فبعث علياً وبعض الصحابة ليأتوا بهذا السحر من تلك البئر وكان سحره ﷺ فى وتَر خيط ، فى هذا الوتر إحدى عشرة عقدة ، سورة الفلق وسورة الناس إحدى عشرة آية كلما تلا جبريل آية انحلت عقدة ، فخف ألم رسول الله ﷺ حتى تلا الآية الأخيرة قام وكأنه نشط من عقال ، كان كأنه مكتف بحبال بمجرد أن انتهى من الآية الأخيرة كأن هذه الحبال حلت وأطلق .

من يقول إنه لم يسحر له نيته الكريمة والله يثيبهم ، ويقولون إن الكافرين يقولون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الإسراء: 47] فكأنه إذا سحر صدق قول الكافرين فيه ، ولكن هذه الآية كانت فى مكة ويقصدون بالسحر الجنون ، ولا يقصدون السحر المعروف ، هذا وهو أعقل العالم ولو وضعت عقول العالم بجانب عقله الكريم لكانت صفراً لا وزن لها لكنْ لأنه سفَّه أحلامهم وسفه آباءهم وعاب دينهم فحملهم كل هذا على أن يتهموه تلك التهم وهو أعقل من أن يكونوا صادقين فيها ولكنهم كاذبون مخالفون ما فى أنفسهم لأنهم أعقل من ألا يدركوا من إذا قيست عقول العالم به لكانت لا شىء بالنسبة إلى عقله الواسع العظيم . هم قالوا ساحر فكان سَحره ﷺ معجزة من معجزاته تؤيد نبوته وتؤكد دعوته لأنه لو كان ساحراً لعلم أنه سُحر ولفك السحر ، لكنه مرض ولم يعلم أنه سحر ، حتى جاء الملك مبيناً له أنه سُحر وحتى أنزل الله عليه تعويذة السحر وهى سورة الفلق وسورة الناس ، إذن سَحره كان معجزة من معجزاته الكريمة لأن المعجزة ما تَثبت بها دعوته ، ودعوته النبوة ثبتت بسَحره : اتهموه بأنه ساحر ولو كان ساحراً لعلم أنه سُحر ، إذن سَحره نفىٌ لدعوى كونه ساحراً ودليل على أنه ليس بساحر . صلى الله عليك وسلم ياسيدى يا رسول الله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم


الجزء الثلاثون
سورة الناس
سُورَةُ النَّاسِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾



ما تشير إليه السورة:

- سورة الناس مكية، وآياتها ست، نزلت بعد الفلق، وهى ثانى المعوذتين.

- فيها استجارة واحتماء برب الأرض والسماء من إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن.

أسباب النزول:

ذكرت مع سورة الفلق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

الشرح:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أتحصن وألتجئ برب الناس ولماذا قال برب الناس مع أنه رب كل شيء لأن الذى يستعيذ منه إنما هو شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس فكأنه يستعيذ برب الناس من شر الشيطان الموسوس فى صدورهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ مالكهم ومدبر شئونهم والقائم بمصالحهم كما يقوم الملك بمصالح رعيته وشتان. ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ معبودهم الذى يعبدونه والذى أعد لمطيعهم الجنة ولعاصيهم النار. وهل ﴿النَّاسِ﴾ المكررة معناها متحد أم معناها مختلف؟ بعض العلماء يقول على أن المعنى متحد وبعضهم يقول: إن المعنى مختلف فالناس الأولى يراد بها الأطفال ويدل على هذا رب لأن الرب من التربية، إنما التربية تكون للصغار ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ملكهم ولماذا وما الدليل على هذا؟ لأن الشباب فيه فتوة وقوة وفتوته وقوته وشبابه تحمله على المخالفة وعلى عزة النفس وعلى الفسوق فيحتاج إلى ملك يقفه عند حده وأحكامه ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ الشيوخ لأن شهواتهم ضعفت وميلهم إلى الاتصال بالله أكثر فيتعبدون.

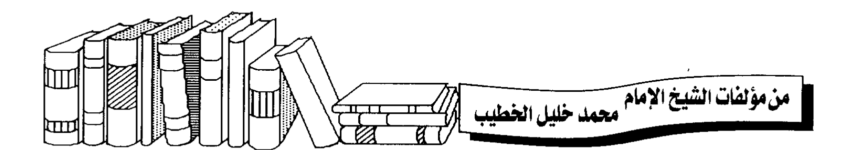
﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ من شر الوسواس، من الوسواس؟ الوسواس إنما هو الشيطان، الخناس: الرجاع، ما معنى هذا؟ يوسوس إليك الشيطان بأن تفعل كذا ويحسنه لك فإذا كنت رجلاً وذا عزيمة صادقة ولم تلتفت إلى وسوسته ودخلت حصن ربك «**لا إله إلا الله حصنى ومن دخل حصنى أمن عذابى**» ولَّى الشيطان عنك منهزماً فإذا غفلت عن الله رجع فوسوس لك ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾ الوسوسة فى الصدور أم فى القلوب؟ الوسوسة فى القلوب إلا أن الصدر فيه القلب وما الصدر إلا ساحة القلب ودهليز القلب فيدخل الشيطان فى الصدر ويلتقم القلب ويوسوس إليه ﴿فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾ من المراد بالناس؟ الصالحون لأنهم الذين عندهم الخير ويحب الشيطان أن يستولى على هذا الخير الذى عندهم بوسوسته لهم وإضلالهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للموسوس فكما يكون الشيطان من الجنة يكون من بنى آدم ولكل منهما وسوسته. الجن يوسوس فى الصدر ويأتى إلى الصدر، والإنس بحيلهم.

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ ما الوسواس؟ الوسواس هو الشيطان، وكيف يوسوس الشيطان؟ يلقى إليك الخاطر بالمعصية فى قلبك، وكل عمل تعمله لابد من أن يسبقه خاطر، الخاطر يولد الرغبة، والرغبة تولد العزيمة، والعزيمة تولد النية، والنية تحمل الأعضاء على العمل. وما الذى يسمَّى به ما يلقيه الملك فى خاطرك؟ يسمى إلهاماً.

وإذا ألقى الملك إليك، إلقاء الملك إليك يسمى إلهاماً، توفيق الله الذى يحوطك ويحملك على أن تعمل ما ألهمك الملك به يُسمى توفيقاً. إذن: الشيطان يلقى وسوسة، وخذلان الله العبد حتى يعمل بوسوسة الشيطان يسمى خذلاناً، وما يلقيه الملك يسمى إلهاماً، واللطف الذى يحف العبد ويحيط به حتى يعمل بما ألقاه الملك يسمى توفيقاً.

كيف تفرقون بين وسوسة الشيطان وما يلقيه الملك؟ الجواب: نتأمل ما ألقى فى القلب فإن كان من تقوى الله ويدل عليه الكتاب والسنة نعلم أنه من الملك، وإن كان من عصيان الله ويخالف الكتاب والسنة نعلم أنه من الشيطان، وما أوضح هذا الفرق وما أبينه؟ إذا ألقى إليك خبر فى فؤادك وكان الخبر من التقوى التى دل عليها الكتاب والسنة فأبشر فإن الملك ألهمك، وإذا كان ما ألقى فى فؤادك مما يغضب ربك ويخالف كتابه وسنة نبيه فتيقن أنه من الشيطان. وبمَ يوسوس إليك الشيطان؟ الجواب: يوسوس إما بخبر ماض، وإما بأخبار آتية يختلقها ويؤلفها، وإما بأوامر ونوايا وإباحات ما أبعدها عن دين ربك، خبر ما أبعد عهدك به يلقيه فى قلبك، وأخبار آتية يلقيها فى نفسك، ويأمرك وينهاك ويبيح لك غير ما أباحه لك مولاك، كل هذا من عمل الشيطان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



* اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام 572 خطبة مشروحة منسقة حل بها مشاكل الدنيا والآخرة .

* غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب أول كتاب يجمع شعره مشروحاً مستفيضاً لائقاً بمكانته .

* ألفية الخطيب وشرحها أجمع كتاب فى فن الصرف .

* القصص الحق لسيد الخلق ﷺ بأسلوب النبى مشروحه شرحاً جامعاً .

* شرح وترتيب حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* نظم حكم ابن عطاء الله السكندرى .

* التراجم المهمة للأربعة الأئمة .

* رباعيات الخطيب .

* روضات الخطيب .

* مجامع الأنوار .

* بشرى العاشقين .

* لامية الخطيب فى الوعظ والحكم وشرحها .

* الجُنة فى عقيدة أهل الجنة (عقيدة الخطيب وشرحها لشاعر النبى ﷺ) .

* ديوان الخطيب عدة أجزاء .

* ديوان الإمام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

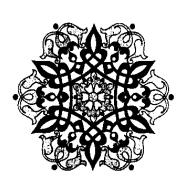
* ديوان الإمام الشافعى وشرحه .

* تشطير الخطيب النيدى لاميةَ ابن الوردى وشرحها .

* حكم الخطيب .

* ديوان ابى الفتح البستى وشرحه .

* تقريب صحيح الترمذى وشرحه .
* صور المجتمع الكبرى .
* من أسرار الذكر .
* الوسيلة والتوسل .
* بداية التعرف شرح نقاية التصوف .
* مناسك الحجاج .
* اتحاف الذاكرين .
* رسالة الجهاد .
* تفسير القرآن الكريم للخطيب النيدى .
* الفتاوى .
* شرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذى .
* مدرسة الشعراء .
* شرح أمثال القاسم بن سلام .
* وحى الحديث .
* حكمة الرجز .
* اتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .
* الأحاديث المختارة فى البخارى وشرحها خمسة أجزاء .
* اتحاف السادات بأحكام الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وتخريج وشرح أحاديث دلائل الخيرات .
* هذه المؤلفات منها ما طبع ومنها ما نسأل الله الكريم أن ييسر نشره وما ذلك على فضله بعزيز .



الفهرس

مطبعة المعارف ☏ ٠٤٠/٢٣٥٩٠٨٥